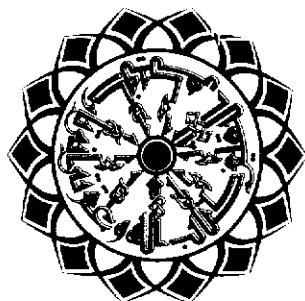


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سَائِلَاتُ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةُ إِسْلَامِيَّة جَامِعَةُ

العدد الرابع عشر . السَّنة الرابعة . ربيعُ الثَّاني - جُادى الآخرة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي:

* الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم. ص.ب: (٨٩٤ - ٣٧١٨٥)

* هاتف: ٧٤٠٢٩٤ فاكس: ٧٣٥١٧٩.

مجلة اسلامية جامعة

كلمة التحرير

- ٤ * من اتخذ الحق لجاماً أخذته الناس إماماً رئيس التحرير

من آفاق القيادة الإسلامية

- ١٥ * الحوزة ومتطلبات العصر . ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنئي (دام ظلّه)

دراسات

- ٢٥ * الشهادة في القرآن الكريم (٢) الشيخ محمد مهدي الأصفي

* المسجد - مفهومه وبعض احكامه

- ٤٥ * في القرآن والحديث عباس علي فراهي

ترجمة : عباس الاسدي

- ٧٧ * تزكية النفس والعمل الاجتماعي من منظور الثقلين (٢) السيد كاظم الحائري

- ٩٤ * ظروف حديث الغدير (١) عز الدين سليم (العراق)

- ١١٣ * النظام الاقتصادي والمالي للجماعة الصالحة . السيد محمد باقر الحكيم (العراق)

* الاسس المبدئية للوحدة الاسلامية في مدرسة أهل البيت(ع)

- ١٥٢ * الاساس الأول - وحدة العقيدة الاسلامية ... الشيخ فؤاد كاظم للعقادي (العراق)

من فقه مدرسة أهل البيت (ع)

* الاقتصاد الاسلامي : أسسه ، وأرضيته

- ٦٢ * العقائدية والتشريعية الشيخ محمد علي التسخيري

تحقيقات

- ١٧٠ * ابن ابي زينب في طبرية الشيخ جعفر المهاجر (لبنان)

من سيرة أهل البيت(ع)

* الدور السياسي للامام الصادق(ع) (٢)

- ٢٠٩ * الدكتور احمد عبدالمجيد حمود (استراليا)

فنون وآداب

- ١٦٨ * قصيدة : من الادب الاسلامي المعرب ابو هدي

- ٢٠٧ * قصيدة : شاطئ الدفء انور فرج الله (العراق)

• تسعى بإحياء المعارف

الاسلامية من منبع

الثقلين والدفاع عن

حريم القرآن الكريم وسنة

الرسول الشريفة وخط

أهل البيت الاحبار .

• تستقبل نتائج العلماء

والمفكرين والكتّاب

الاسلاميين التي تصب

في رسالة الثقلين

لتكريس وحدة الامة

الاسلامية وتثبيت

شيوحتها في أرحاء

العالم

• الاراء السوارة في

الموضوعات لا تعبر

بالضرورة عن رأي

الجميع أو المحلة

• نستعمل الموضوعات

يخضع لاعتبارات فنية

• يرجى ممن يرفد المجلة

ببستاجاته الاحسنفاظ

بصورة منها، فإنها لا

تعد نشرت أم لم تنشر.



الجميع العالم له السلام

المشرف على :

الشيخ

محمد علي التستحيبي

رئيس التحرير :

الشيخ

فؤاد كاظم القفاوي

العدد الرابع عشر

السنة الرابعة

ربيع الثاني - مجدي الآخرة

١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م

□ أهل البيت في روايات الصحابة

١٠٧ روايات عبدالرحمن بن صخر الأزدي (أبو هريرة) .. اعداد ناصر باقر البيدهندي

□ رأي

١٤٦ * الجوع في العالم روبرت جيروي (فرنسا)

□ تعريف

١٩٤ * كتاب في مقال : منهج الرشاد لمن اراد السداد الشيخ صادق الكاشاني

□ تقرير

* حضور الوفد الاسلامي الايراني في مؤتمر بكين حول المرأة

٢٢٦ الامين العام للمجمع العالمي لأهل البيت (ع)

□ من غير حكم أهل البيت (ع)

٢١٩ * النصيحة نظام حياة اعداد عبدالقادر فرج الله (العراق)

□ من أنباء القرن

٢٣٤ انباء وتقارير

□ مع قراء الثقلين

٢٧٥ رسائل القراء

مَنْ اتَّخَذَ الْحَقَّ لِحَامِيًا اتَّخَذَهُ النَّاسُ إِمَامِيًا

كلمة التحرير

* بقلم

رئيس التحرير

تتصاعد هذه الأيام الوتيرة الاعلامية والهجمة الثقافية والسياسية لمختلف اجهزة الاستكبار العالمي ويعلو ضجيجها بشعار الديمقراطية العائم ، فهي تثيره دخاناً وتلوح به عصاً ؛ تارةً بهدف جرّ منظومة دول الاتحاد السوفياتي المنهار - وخصوصاً ذات الاغلبية الاسلامية - إلى احضان المعسكر الرأسمالي الغربي ، وتارةً أخرى لتمرير مخططاتها في احتواء الموجة الاسلامية المتنامية التي تطالب باقامة الحكومة الاسلامية وتحكيم شرعة الله وقوانينه في واقعهم السياسي والاجتماعي ، وثالثة لتشيويه صورة النظام الاسلامي الرائد وتجربته الفريدة في ايران الاسلام ... فتنتهمه احياناً بالدكتاتورية والاستبداد ، وأخرى بالقصور عن تحقيق مصالح المجتمع وسعادته ، واخيراً - وهو الاخطر - محاولتها الدس والتشيويه لخلق تصورات منحرفة ، خصوصاً في اوساط المثقفين ، مدعية ان النهج الديمقراطي هو السبيل الذي لابد من الاخذ به لتطوير النظام السياسي الاسلامي وسد ثغراته وتجديده ليتناسب وتطلعات الشعوب لتقرير مصيرها ولينسجم والنظام السياسي الدولي القائم على اساس ديمقراطيتهم الغربية . وهذا في حقيقته محاولة تمهيدية لاحتواء النظام الاسلامي وتفريغه من محتواه الالهي الاصيل ، بل واسقاطه في حضيض انظمتهم الوضعية ونظرياتهم المادية . وليس هذا بغريب أو جديد في

أفق المواجهة مع الجاهلية الحديثة وشياطينها الانسية .

ولنتناول القضية من جذورها ، ثم نجلي الحقيقة ونظهر الحق مميزاً عن الباطل ليدمغه ويعلو عليه ، انطلاقاً من قوله تعالى : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لأعبين ﴾ لو أردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين ﴾ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴿ (١) .

(١) الانبياء: ١٦ - ١٨ .

فمنذ الغزو الحضاري الاوربي لعموم الشرق وخصوص الحواضر الاسلامية ، والنظريات الوضعية تتوالى في الافق الثقافي بكل مؤسساته السياسية والاعلامية والتعليمية وغيرها من جوانب المجتمع والدولة ، متخذةً أشكالاً متنوعة وأنماطاً براقة توحى بالحدثاء والجدة ، وهي في الواقع لا تخرج عن أصول الثقافة العلمانية ومقولاتها التي لا تتفاوت كثيراً في إنكارها ورفضها للدين ودوره في بناء الانسان والمجتمع والدولة على أسس الحق والعدل .

والعلمانية - كما هي مبانيها - بين حذّين في نظرتها إلى الدين ؛ ففي حدّها المتطرّف الأول تنكر الدين وتقيم نظريتها على اساس الالحاد المطلق ، وفي حدّها المتطرّف الثاني تحاصر الدين وتجرده من هويته الاجتماعية ، بل والانسانية ، وتجعله مجرد تصورات ذهنية محضة وحالة ذاتية محاصرة في الباطن ، إذ ليس له أية مصداقية واقعية تعبّر عن إيمان الانسان به ، وليس له أي انعكاس ملموس ومحسوس في سلوكه كإنسان اجتماعي . والديمقراطية - كنظرية سياسية تأسست على ضوء مقولة العقد الاجتماعي لـ « جان جاك روسو » في اقامة السلطة والحكومة في الواقع الانساني - تقع في الحدّ المتطرّف الثاني من صور العلمانية التي نادت بها اوربا إبّان الثورة الصناعية .

ولقد أخذت العلمانية بريقها وموقعها في اوربا لعاملين رئيسيين احدهما سلبي والآخر ايجابي :

أما العامل السلبي فمنها فهو الدكتاتورية المطلقة التي حكمت اوربا قروناً بما فيها دكتاتورية الكنيسة وهيمنتها باسم الدين والرب ، والتعسف البشع لرجالاتها في مواجهة التجديد والابداع العلمي والحرية الفكرية والثقافية ، وما رافق ذلك من اضطهاد للعلماء والمفكرين وسفكٍ لدمائهم لمجرد اكتشافهم

حقائق أو وصولهم إلى نظريات علمية مخالفة لنظريات الكنيسة .

وأما العامل الايجابي فقد تمثل بالثورة الصناعية التي قلبت موازين التفكير الاوربي - خصوصاً تجاه الكنيسة - الذي ظل متحجراً على العديد من النظريات العلمية الباطلة والمقولات الخرافية المتخلفة ، اثبتت الثورة الصناعية وما رافقها من اكتشافات علمية خلافاً ، وحطمت قدسية الكنيسة ومقولاتها ، معلنةً - كرد فعل على منهج الكنيسة - ألوهية العلم في منهجه التجريبي المادي ، وأنه المقياس الأوحد في صدق وكذب أية رؤية فكرية أو دعوى نظرية ، بما في ذلك المقولات الدينية . لهذا وذاك احتل العلم والمختبر العلمي مكان الدين والكنيسة في تنقيح العقائد والنظريات وقبولها أو رفضها . وهذا ما أطلق عليه اسم العلمانية .

والديمقراطية في واقعها نظرية قائمة على الأساس العلماني في مجاله السياسي ، فهي منهج وطريقة منح السلطة وتشكيل الحكومة وبناء الدولة وأجهزتها بمعزل عن الدين ومؤسساته .

ولسنا هنا بصدد المناقشة التأسيسية لفلسفة الديمقراطية في الحكم ، فلذلك مؤلفاته ومصنفاته يستطيع طلاب العلم والحق الرجوع اليها وتأمل ما فيها من مطالب ، إنما نحن هنا في معرض عقد مقارنة نكتشف من خلالها مدى التباين النظري بين الديمقراطية والاسلام في المنهج السياسي ... وهل هناك نقاط التقاء على المستوى النظري أو التطبيقي أم لا ؟

وقبل الدخول في مفردات الجواب لابد لنا من الإشارة إلى مسألتين مهمتين :

المسألة الاولى : ان الاسقاط التنظيري على الدين الاسلامي الذي يقوم به العلمانيون من المنادين بالديمقراطية العلمانية ومحاكمته على أساس تصوراتهم عن الكنيسة كروية وموقف خطأ فاحش ؛ ذلك لأن العلمانية وديمقراطيتها جاءت كرد فعل تجاه السلطة المتحجرة للكنيسة وحكومتها الفكرية والسياسية في الحقبة المظلمة ، وهذا يختلف أمره كلياً والدين الاسلامي وعلماءه ومفكره ؛ حيث إن الاسلام في مبانيه - اصولاً وفروعاً - يقوم على اساس المنهج العقلي في الاستدلال والبرهان على عقائده ؛ وانطلاقاً

من ذلك تقوم عملية الاستنباط لأنظمتها وتشريعاتها من مصادرها الشرعية في مختلف مجالات الحياة بما فيها المجال السياسي ونظريته حول السلطة والحكم . وهكذا كانت سيرة علمائه ومؤسساته الرسالية بالرغم من محاولات التحريف والتزوير التي حاول أعداء الاسلام وحكام الجور القيام بها على مرّ العصور للإجهاد على أصالة الدين الاسلامي أو لتوظيفه في خدمة مصالحهم وأهوائهم الخاصة تكريساً لدكتاتوريتهم في السلطة والحكم .

المسألة الثانية : إن عملية تقويم أية نظرية أو أطروحة في مجال الولاية والحكم لابدّ فيها من النظر إلى فارق أساسي بين النظريات والاطروحات الوضعية من جهة والأطروحات الإلهية المتمثلة بنموذجها الأكمل في الدين الاسلامي من جهة أخرى ، وهو أن السلطتين التشريعية والتنفيذية في الأنظمة الوضعية من صنع البشر وليس وراءهم أو فوقهم أي مصدر أو سلطة عليا ، وأن السلطة في أحسن صورها القائمة على اساس العقد الاجتماعي تفتقر إلى القدرة على اصابة واقع العدل والقسط والمصلحة الاجتماعية ، بل أن للميول والرغبات والمصالح الشخصية أو المشتركة للفئة المنتخبة مطلق العنان في التحكم فيها . أمّا في الاسلام فإن السلطة التشريعية مقومة بواقع العدل والقسط والمصلحة الاجتماعية ، وهذا لا يمكن تحقيقه ومعرفته إلا من خلال الرسالات الالهية ، لان الله وحده هو العالم بالمصالح والمفاسد الواقعية للحياة الانسانية ، وطريقته في بيان تشريعه وايصاله إلى البشرية هي ارسال الرسل الأمناء بكتبه وبياناته ، وهو مفاد قوله تعالى : ﴿لقد ارسلنا رُسُلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ...﴾ (٢) .

(٢) الحديد : ٢٥ .

(٣) النحل : ٣٦ .

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ...﴾ (٣) .

﴿هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم

(٤) الجمعة : ٢ .

الكتاب والحكمة ...﴾ (٤) .

﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة

(٥) البقرة : ١٢٩ .

ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم﴾ (٥) .

وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة الدالة على ذلك .

أما السلطة التنفيذية الموظفة لتطبيق هذه الشريعة الواصلة واقامة حكومتها في الناس فأمرها منحصر بالانسان العالم العادل الخبير والقادر على تحمل مسؤولية اقامة العدل والقسط في المجتمع الانساني : لذا فان الله سبحانه يصطفي لها من البشر الأعلم بشريعته والعادل الأقدر على الاستقامة عليها والأكفأ في حملها رسالة إلى الناس ، وهو المنصب الذي يصطلح عليه في الاسلام بالإمامة أو الولاية ، وهو مفاد قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾^(٦) .

(٦) البقرة : ١٢٤ .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾^(٧) .

(٧) السجدة : ٢٤ .

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾^(٨) .

(٨) الفرقان : ٧٤ .

وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة الدالة على ذلك .

ولعقد المقارنة المفترضة نقول : ان هناك أمرين اساسيين من مقولات الوجدان الانساني لا بد من توفرهما معاً وفق المنطق العقلي والعقلاني لتسوغ إقامة الحكومة وبسط سلطانها التشريعي والتنفيذي وإعمال ولايتها على الناس :

الأول : مصدر مشروع تستمد منه الحكومة المفترضة السلطة والولاية .

الثاني : قيام سلطة الحكومة المفترضة وبرامجها وفق المصالح الاجتماعية وبهدف تحقيق العدل في واقع المجتمع .

أما الأمر الأول : ففي الديمقراطية العلمانية - بمختلف صورها - يكون مصدر السلطة والحكومة في التشريع والتنفيذ هو الناس أو مجموعة منهم ، أما في الاسلام فمصدر السلطة والولاية هو الله تعالى ، وهذا كما يشمل أصل الولاية والحكومة فهو يستوعب السلم الطولي لها من السلطتين التشريعية والتنفيذية - على فرض صحة هذا التقسيم على ضوء الاسلام - والله سبحانه يصطفي لتبليغ رسالاته وتشريعاته الناس والولاية عليهم من تمحض الايمان والاخلاص والعدالة على دينه وارادته سبحانه وتأهل لمنصب الولاية الإلهية بجعله واعتباره

مبلغاً وإماماً وحاكماً يبلغ الناس رسالات ربه ، ويمارس هذه السلطة والولاية عليهم وفق الانظمة والتشريعات الالهية المبلغه إليه منه سبحانه ، كما له أن يجعلها ويعتبرها لمن يليه ممن تتوفر فيه مواصفات الولاية الالهية بشكل خاص أو عام ، حسب الظروف والعوامل التي تمر بها مسيرة المجتمع الانساني . وفي هذا الأمر نقطة افتراق اساسية وجوهرية - كما هو واضح - بين الديمقراطية العلمانية والنظرية السياسية في الاسلام .

وأما الأمر الثاني : فعلى أساس الديمقراطية العلمانية تبقى مشكلة تشخيص المصالح والمفاسد الواقعية للحياة الانسانية في بُعديها الفردي والاجتماعي مستعصية وقائمة تفقر إلى حل واقعي يصدقه العقل والمنطق ويدفع له الوجدان وتطمئن به النفس . وعليه فإن معالم طريق تحقيق العدالة والسعادة للمجتمع الإنساني على أساس الديمقراطية العلمانية تبقى غامضة تاركة المجتمع يتخبط في مجال تشخيص التشريع والنظام الصالح واختيار السلطة والحكومة العادلة والمؤتمنة على مصالحه وأهدافه . وبتعبير آخر ان العقبة الكؤود في وجه الديمقراطية العلمانية هي مسألة الجهل بالمصالح والمفاسد وعدم إحراز العدالة كشرط في مَنْ يتم اختياره للسلطة والولاية ، فهما نقصان جوهريان تعجز الديمقراطية العلمانية عن رفعهما بعيداً عن الدين والحق . ويمكننا تفصيل هذه المشكلة الأساسية بالنظر إلى أهم جوانبها من خلال طرح هذه المقارنة :

١ - كيف يمكننا أن نتصور قدرة الناس - عند غياب الدين الإلهي الحق - على اختيار ما به تحقيق المصلحة الاجتماعية في التشريع والتنفيذ ، وهم يجهلون مقاييس الصواب والخطأ في الاختيار ؟! اضافة إلى انهم محكومون بطبيعتهم الاولى للأهواء والنزعات الخاصة !

٢ - كيف يمكننا عملياً معالجة مشكلة التصرف بآراء الأكثرية من الناس عن طريق شراء الأصوات أو التفرير بالوعود الكاذبة والاعلام الخادع أو ممارسة الارهاب لتحميل اختيار معين دون غيره بعيداً عن لحاظ المصلحة الاجتماعية وسبيل العدالة ؟ وكشاهد شاخص على ذلك ما يحصل في الدول المدّعية

للديمقراطية ، كما في امريكا ودول اوربا الغربية ومن يجذو حذوهم من دول العالم الثالث ، وما جرى في الجزائر ومصر وامثالهما ليس ببعيد عن ذاكرتنا .

٣ - ما هو الضمان لاستقامة المنتخبين للحكم والسلطة وتغليبهم لمصلحة المجتمع على مصالحهم الذاتية وأهوائهم الخاصة عند تشريع الأنظمة والقوانين أو تنفيذها ؟ خصوصاً وان المقياس والغاية لديهم لا يعدوان هذه الحياة المادية بكل زينتها وشهواتها ، بل اننا نجد هذه الفئة المنتخبة تنتهي عادة إلى تغليب مصالحها الفردية والفئوية عند التشريع وسن القوانين . أمّا في المجال التنفيذي فتعتمد إلى التعسف الحكومي وبسط سطوتها الانتهازية على الشعوب والأمم عن طريق تشكيل الاجهزة العلية والسرية لإحكام السيطرة وإعمال النفوذ ولمنع إعمال أية ارادة خارج ارادتها وسلطتها . والنموذج البارز لذلك هو النظام الحاكم في أميركا ودول الغرب عموماً ومن سار على نهجهم السياسي من دول العالم الثالث .

ولم تنفع كل عمليات الترقيع والتحديث للديمقراطية العلمانية حيث ظلت عاجزة عن حسم هذه المشاكل ورفع صور التهاافت عن مبانيها وبنائها ، على أن أصل هذه المشكلة يكمن في عجز الانسان - فرداً أو مجتمعاً - عن تشخيص المصالح والمفاسد الواقعية في مجالات حياته الخاصة والعامة ، فكيف يمكنه اصابة الأصلح في السلطة والولاية على صعيدي الصواب في التشريع والعدالة في التطبيق ؟! والتجربة الإنسانية الوضعية طرأ بكل انتكاساتها وصراعاتها وما تحملته من آلام ومعاناة وشقاء إلى يومنا هذا دليل صارخ وشاهد حي على ذلك . أمّا في الاسلام فلأن المشرع والحاكم المطلق هو الله تعالى وهو العالم بمصالح ومفاسد الحياة الانسانية فلا وجود لهذه المشكلة ؛ فهو العادل الذي خلق بالحق وقدر بالحق وشرع بالحق وأعطى كل حقّه بلا حيف ولا ظلم ، وعندما يرسل رسله لتبليغ تشريعاته للناس يصطفى الصادق الأمين ، وعندما يعين حاكماً عليهم يختار الاعلم بتشريعاته وذا العدالة الأوثق في الاستقامة عليها وصاحب العزم الأكفأ في حمل رسالته وتطبيقها في حياة الناس .

لذا فإن التشريعات والقوانين الصالحة للبشرية مضمونة من الله لعلمه

سبحانه بمصالح ومفاسد الحياة ، وعامل العدالة والكفاءة في تحقيق المصلحة العامة عند التطبيق شرط أساسي جعله الله - منظمًا إلى شرط العلم والفقاهة بشريعته - في كل حاكم يلي أمور الناس ، وبذلك تتكامل الشروط ويتحقق الأمران الضروريان المسوغان لإقامة أية حكومة وبسط سلطانها على الناس ؛ فالمصدر المشروع الذي تستمد منه سلطتها وولايتها على الناس هو الله سبحانه لكونه الكمال المطلق ، إذ الأصل أن لا ولاية لأحد على أحد إلا بمرجح ، فكيف إذا كان الانسان محض الافتقار ، والله سبحانه ذاته عين الكمال المطلق .

كما ان العلم والفقه بالشريعة الالهية والعدالة والاستقامة عليها هو الضمان لسير الحاكم وحكومته وفق المصالح الاجتماعية ونهج العدل الإلهي في واقع المجتمع .

وهنا يتكامل لدينا الرد الحاسم والجواب التام على الشبهة التي حاول انصار الديمقراطية العلمانية إلصاقها بالحكم الاسلامي من أنه ينتهي إلى الاستبداد والديكتاتورية ، وذلك في إطار ادعائهم بأنّ مثل هذا الحكم الديني يعني الالتزام بالثيوقراطية ، التي تقول بان السلطة الحاكمة هي التي تستمد سلطتها وقدرتها على الحكم من الله تعالى وتضفي القدسية على أوامرها ونواهيها من قدسيته ، لذا فحكمها مطلق لا منازع له ولا رادع ، ومن ثم فهي مصونة من أي حساب ، فالرأى عليها راد على الله وهو على حد الشرك به ، وهل هذا إلا أشد أنواع الاستبداد والديكتاتورية ؟!

فمما اتضح لنا سابقاً أن هناك أمرين أساسيين قائمين في نظرية الحكومة الاسلامية ينفيان بشكل قاطع ورود هذه الشبهة مطلقاً :

الأمر الأول : كون التشريع لله تعالى وهو العالم بكل شيء دون الانسان ، وما يمارسه الانسان ليس إلا الاجتهاد في استنباط الاحكام الإلهية من مصادرها الشرعية وتنقيح موضوعاتها الخارجية ، وبذلك يتحقق أول شروط السلامة من اهواء الاستبداد والديكتاتورية الانسانية في الحكم .

الأمر الثاني : ان الله سبحانه لم يترك أمر منصب الحكم تتحكم فيه الاهواء الانسانية التي غالباً ما تقوم على اساس القهر والغلبة اللذين هما قواما أية

ديكتاتورية واستبداد في الحكم ، بل وضع شروطاً أساسية لا بد من توفرها في الحاكم حدوثاً وبقاءً ليكون صالحاً لمنصب الحكم والولاية في الاسلام . وعمدة هذه الشروط - كما أسلفنا - هي الفقاهة والعلم بالشريعة ، والعدالة والاستقامة عليها ، والعزم والكفاءة في حمل رسالته سبحانه والحكم على ضوئها . وللأمة الاسلامية الراشدة مراقبة مدى توفر هذه الشروط في الحاكم والدوام عليها ، وإلا فإنه يسقط عن مقام الولاية ومنصب الحكم . وتاريخ الأمة الاسلامية الغابر والمعاصر حافل بشواهد المواجهة المختلفة ، خصوصاً تلك التي قادها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وتابعهم من العلماء المجاهدين ضد الحكام المنحرفين عن الاسلام . وبهذين الامرين الاساسيين القائمين في نظرية الحكومة الاسلامية نقطع بعدم الانسجام بين طبيعة وشكل الحكم الاسلامي وبين الديكتاتورية والاستبداد ، فهما متباينان جوهرياً ولا يلتقيان أبداً .

ويتأكد هذا عقلياً وشرعياً وفق مباني المدرسة الاسلامية الكبرى لأهل البيت (عليهم السلام) التي ترى العصمة في الحاكم الاسلامي ؛ فالرسول (صلى الله عليه وآله) بعنوانه رسولاً مبلغاً وبعنوانه والياً حاكماً معصوم من الخطأ والزلل ، وأنه (صلى الله عليه وآله) نص - بأمر الله سبحانه - على الخلفاء والحكام من بعده ، وانهم معصومون ، أمّا في عصر غيبة الامام المعصوم فانه (عليه السلام) قد جعل بالتنصيب العام الحكم والولاية في مَنْ تتوفر فيهم الشروط الاساسية للحاكم الاسلامي الصالح من العلم والفقاهة ، والعدالة ، والعزم والكفاءة ، وهذا ما نراه اليوم نموذجاً متوفراً في حكومة الفقيه العادل الكفوء في ايران الاسلامية .

هذه هي وجوه المقارنة الاساسية بين الديمقراطية العلمانية في الحكم ونظرية الحكم الاسلامي . فهما متقابلان لا شيء من احدهما يلتقي مع الآخر . أمّا لو جردنا الديمقراطية عن علمانياتها واخذناها بما هي مجرد انتخاب وتصويت ، أي بما يساوق الشورى في الاسلام ، فالأمر سيختلف عند ذلك . وهنا لا بد لنا من توضيح معنى الشورى في الاسلام ، فنقول : ان الشورى يدعى لها معنيان رئيسيان :

الأول : انها الاساس الذي يثبت به جزء أو كل شؤون منصب الحكم والولاية

العامية .

والثاني : انها طريقة لتجميع وتطوير التجارب والخبرات وتوظيفها لإسناد الحاكم والحكومة الاسلامية والمشاركة في تحمل مسؤولية أداء وظائفها الرسالية .

وقد ثبت في محله^(٩) بطلان المعنى الأول وصحة المعنى الثاني بدلالة آيتي الشورى في القرآن الكريم^(١٠) والروايات الواردة عن الرسول ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام .

ومن اساليب تحقيق المعنى الثاني للشورى هو الانتخاب والتصويت ، بل ان مشاركة أهل الخبرة والتجربة من المتخصصين في مختلف شؤون الحياة من قبل الحاكم الاسلامي في عصر الغيبة هي أحد ملاكات تحقق شرط الكفاءة والتدبير في ادارة شؤون الحكم الاسلامي .

وقد يوجب الحاكم الاسلامي عند اقتضاء مصلحة الاسلام والمجتمع وفي اطار ظروفه الداخلية وما يحيطه من اوضاع سياسية سائدة في العالم انتهاج اسلوب الانتخاب والتصويت ، كما وقد يلزم بنتائجه . والذي نراه اليوم في الجمهورية الاسلامية الايرانية هو مصاديق حاكية عن هذا النهج ، كالتصويت على نظام الجمهورية الاسلامية والتصويت على الدستور الاسلامي وانتخاب مجلس الفقهاء العدول وانتخاب الاخير فقيهاً عادلاً كفواً من بينهم لولاية أمر المسلمين وقيادتهم وانتخاب رئيس الجمهورية مشروطاً بامضاء ولي الأمر القائد وانتخاب اعضاء مجلس الشورى وفق شروط النائب الصالح ، وهكذا في اختيار رئيس الجمهورية المنتخب اعضاء حكومته واجهزتها التنفيذية مشروطاً بموافقة أغلبية أعضاء مجلس الشورى - باعتباره ممثلاً للشعب - وامضائه له ، وغير ذلك مما هو واقع أو يستجد حسب مقتضيات مصلحة المجتمع الاسلامي . فبهذا المعنى من الديمقراطية نجد أنه اسلوب مساوق لمعنى الشورى في الاسلام الذي ندب اليه القرآن الكريم والرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ، كما وقد يجب - كما أوضحناه - وفق ضوابط وهدف تحقيق مصلحة الاسلام وأمرته المجيدة . وتشخيص هذه المصلحة يتم وفق قواعد

(٩) راجع على سبيل المثال :
الحكومة الاسلامية للامام
الخميني رحمه الله ، وكذلك اساس
الحكومة الاسلامية - ولاية
الامر - للسيد كاظم الحائري ،
وايضاً كتاب الحكم الاسلامي
بين النظرية والتطبيق للسيد
محمّد باقر الحكيم .

(١٠) الآية الاولى : ﴿ فِيمَا
رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَنَأْخُذَ بِهِمْ وَلَوْ
كَانَتْ فُتًى عَلَى الْقُلُوبِ لَافْتَضُوا
مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي
الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾
آل عمران : ١٥٩ ، والآية
الثانية : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا
لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

الشورى : ٣٨ .

الشرعية من قبل ولي الأمر والحاكم الاسلامي الجامع للشرائط الشرعية التي فرضها الاسلام فيه .

بهذه الحدود وعلى هذا الاساس يمكننا أن نتصور للديمقراطية الالعلمانية - بمعنى الانتخاب والتصويت - موقعاً ومكاناً في المجتمع السياسي الاسلامي . وبالرغم من اننا لسنا معقدين من هذه الاطلاقات الاصطلاحية إذا كان الهدف منها هو ايصال الحقيقة إلى طلابها وتيسير الخطاب والبيان لمن لا يفهمه إلا بهذه الاصطلاحات ، ولكننا نخشى سوء السريرة ومداخل الخلط والتشويه للمتربصين بالاسلام وحركته الرسالية الرائدة ، فلا شك ان للإسلام لغته واصطلاحاته العقائدية والشرعية الخاصة به ، كما ان للأنظمة والاطروحات الوضعية لغتها واصطلاحاتها الخاصة بها ، وبين اللغتين فوارق اساسية ؛ فاستعمال إحداها في بيان مطالب الأخرى لا يخلو من احتمال الخلط أو القصور في مفادها .

وعليه فمن أراد معرفة مباني وحقائق مبدأ معين عليه أن يحوطها بلغة ذلك المبدأ واصطلاحاته الخاصة ، ويتجنب اسقاطات الاصطلاحات الاجنبية عليه . على ان لغة المنطق والعقل هي لغة مشتركة بين العقلاء يكفي استرشادها والتوجه اليها لتتوحد الرؤية على ضوئها . ونهج القرآن الكريم والرسول الأمين ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ واحد في هذا السبيل . فمن الروائع القرآنية التي تختصر لنا كلمتنا هذه في اصول الحكم والحاكم على هذا النهج قوله تعالى في المصدر المشروع للولاية والسلطة : ﴿... أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أفمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ (١١) .

(١١) يونس : ٣٥

ومن نبع القرآن العظيم والرسول الكريم تفيض بلاغة امير المؤمنين علي عليه السلام في بيان طريق معرفة الحق ومنح الولاية لأهله في قوله : « اعرف الحق تعرف أهله » (١٢) و« من اتخذ الحق لجاماً اتخذته الناس اماماً » (١٣)

(١٢) غرر الحكم ودرر الكلم

للآمدي

(١٣) المصدر نفسه .

والحمد لله رب العالمين

من آفاق
القيادة الإسلامية

* ولي أمر المسلمين
آية الله السيد الخامني
«دام ظله»

الحِجْزَةُ

وَمُتَطَلِّبَاتُ الْعَصْرِ

نض الخطاب الذي أنقاه ولي أمر المسلمين وقائد الثورة الإسلامية
سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مدّ ظله) بمناسبة بدء السنة الدراسية
الجديدة لدروس العلوم الإسلامية في الحوزات العلمية وذلك بتاريخ ٩ ربيع الثاني
١٤١٦ هـ.

إن الموضوع الذي أودّ التطرّق إليه يبدأ بمقدمات بديهية وينتهي
إلى نتائج بديهية واضحة أيضاً؛ ولكن أنا شخصياً كطالب علوم
دينية أولاً وكمسؤول في الجمهورية الإسلامية ثانياً وممن يؤمن برسالة ودور
علماء الدين في معالجة قضايا ومشاكل الناس الدينية والدنيوية ثالثاً أرى أنّ أخذ
هذه النتيجة البديهية من مقدماتها البديهية لم يدخل بعدُ حيز العمل والتطبيق
بالشكل المطلوب. أنا لا أريد أن أبخس أو أضيّع جهود العاملين * ولا تبخسوا
الناس أشياءهم * بل من الحق والانصاف بمكان أن أقول: إن هناك الكثير من
الأعمال والمشاريع المهمة والنافعة قد أنجزت، ولكن ما ينبغي أن نقوم به وما هو
مطلوب منا أضعاف ما حققناه لحد الآن.

المقدمة البديهية الأولى:

وهي بيان مدى الحاجة الماسة إلى نشاطات وجهود الحوزة العلمية؛ فهناك

مبررات عديدة لضرورة تواصل نشاطات وجهود الحوزات العلمية وعلى رأسها الحوزة العلمية في قم والحوزة العلمية في مشهد المقدسة وغيرهما وحوزة النجف الاشرف - بعد أن تخرج من قبضة الأشرار والظلمة إن شاء الله - ومن هذه المبررات :

أولاً: حاجة الحكومة الإسلامية - والتي لم يؤسس من بعد حكومة الإمام علي والإمام الحسن المجتبي عليه السلام مثلها على مر التاريخ والتي تركز على أسس ومنطلقات دينية وإسلامية - إلى المعارف والأحكام الإسلامية وإلى فهم جديد واع للدين ؛ فهذه المرة الأولى التي يتم فيها إقامة حكومة على أساس القرآن ، كما أنها المرة الأولى التي يقام فيها مجتمع إسلامي - مع ما رافق ذلك من متاعب ومعاناة - ، ولذا فإن هذه الحكومة الإلهية وفي مرحلة العمل والتطبيق تحتاج إلى المعارف والتعاليم الإسلامية .

ثانياً : هناك حاجة ماسة وملحة في بعض المجالات إلى من يتصدى لإدارة شؤون وقضايا النظام الإسلامي ، وعليه يتوجب على الحوزات أن تقوم بأعداد هؤلاء الأشخاص .

إن ، فلا بد للحوزة العلمية أن تنهض بمسؤوليتها وتستجيب لهذه الحاجة وتملأ الفراغ الناتج عنها مادامت هناك حاجة إلى المعارف والعلوم الإسلامية على صعيد المجتمع والحكومة الإسلامية وعلى صعيد التطبيق والتنفيذ ، ولو كان المجتمع غير متدين فمن الطبيعي حينئذ أن لا يشعر بالحاجة إلى العلماء ، ولكنه إن كان مجتمعاً دينياً فسيشعر بالحاجة إلى العلماء ومعلمي الأخلاق والدين والعلوم الإسلامية .

وإذا كان لدينا في السابق ثلة من العلماء الذين يذودون عن الإسلام ويرفعون عنه الشبهات بأقلامهم وألسنتهم ويبلغون معالم الدين وعلومه ، فإننا اليوم بحاجة إلى أعداد مضاعفة من هؤلاء العلماء وبكفاءات أعلى ؛ نحن بحاجة إلى كتب ومجلات ووسائل إعلام تتحمل أعباء المسؤولية وتؤدي هذه الرسالة وتنشر مبادئ الإسلام ومكارم الأخلاق . وعلى علماء الدين أن يؤلفوا الكتب ويكتبوا في الصحف والمجلات ، كي يتسنى للفنانين - على سبيل المثال - أن

يخرجوا على أساس هذه الكتابات أفلاماً وبرامج متنوعة .

ثالثاً : الرد على أسئلة واستفسارات المثقفين من الشباب وغيرهم ، لأن الشبهات تُعرض على المثقفين ورجالات الفكر والمتعلمين بالدرجة الأولى ، وأغلبهم من الشباب ، وأما سائر الناس فلا يواجهون مثل هذه الشبهات وهم يحتفظون بايمانهم ويعيشون حياة صالحة بوحى ايمانهم هذا .

وأما الذين يقرأون ويطالعون فهم دائماً في تماس مع العالم ، ولذا تراهم يتحدثون في أساس الدين وأصوله وفروعه وتاريخه ويحاولون إلقاء الشبهات حوله . ومن هذا المنطلق لابد من وجود أناس يدرون عن الاسلام والدين هذه الشبهات ، وتقع مسؤولية إعداد وتربية هؤلاء على عاتق الحوزات العلمية . قد يوجد من يقوم بهذه المهمة خارج الحوزة ، ولكن المسؤول الأول والاساس الذي تقع عليه مسؤولية التصدي والدود عن الدين ودرء الشبهات عنه هم علماء الدين والحوزات العلمية .

رابعاً : حاجة المجتمعات الاسلامية الشديدة وكذلك الذين اعتنقوا الاسلام حديثاً إلى الحوزة العلمية ، فلو أُلقيت نظرة عابرة على العالم اليوم فستجدون أن هناك إقبالاً منقطع النظير على الاسلام سواء أكانوا من المسلمين الذين لم يكونوا يعرفون عن الاسلام إلا اسمه ولم يعوا رسالة وهدف الاسلام في الحياة ، بل كان فهمهم لا يتعدى كونه مجموعة عبادات وطقوس يؤديها الفرد المسلم في زاوية من زوايا المسجد أو في بيته ، أم كانوا ممن دخل الاسلام حديثاً .

واليوم فإن الاسلام مطروح حالياً باعتباراه رسالة الحياة والطريق الوحيد للخلاص من المشاكل والمصائب التي حلت بالعالم والتي ستحل فيما بعد ، وهو القادر على إعطاء الحلول الناجعة للمعضلات الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات البشرية .

هكذا يُنظر إلى الاسلام اليوم والذي حدا بالكثير لأن يتشرف باعتناقه ، حيث تشهد الدول الغربية بما فيها أميركا وكبريات الدول الأوروبية في الوقت الراهن تنامي التيار الاسلامي بسرعة . وهذه ليست دعوى من إنسان عادي سمع شيئاً فردده ، ما أقوله يستند إلى معلومات وتقارير دقيقة تفيد بأن هناك الكثير من

الناس في الدول المسيحية والغربية بدأوا يتجهون صوب الاسلام . لقد وعى هؤلاء الاسلام ولديهم ثمة أسئلة واستفسارات حوله ، ويريدون أن يطلعوا على أمور هذا الدين أكثر فأكثر .

الكثير من الشباب الجامعي الطيب النزيه في أوربا من الذين اعتنقوا الاسلام في الجامعات يأتون إلينا ويطلبون منا أن نجيب عن أسئلتهم في خصوص المسائل الاسلامية ونرشدهم للاسلام الصحيح ، فعلى من تقع مسؤولية هداية وإرشاد هؤلاء ؟ وعلى من يجب الذهاب إلى هؤلاء ليعيش معهم ويعلمهم أمور الدين ويربّيهم على الأخلاق الفاضلة ؟ ومن الذي عليه أن يزودهم بالكتب ؟ ومن الذي يجب عليه أن يبيّن لهم معالم الدين ومسائله ؟ .

إن مسؤولية الإجابة عن جميع هذه الأسئلة تقع على عاتق الحوزات العلمية . بالإضافة إلى ذلك فانه في الآونة الأخيرة أبدى الكثير من المجتمعات غير الاسلامية اهتماماً متزايداً بالاسلام - وإن لم يعتنقوا الاسلام - ولكنهم يريدون ان يتعرفوا بحقيقة الاسلام الذي استطاع أن يؤسس نظاماً و يقيم حكومة بهذه العظمة ؛ ينازل القوى العظمى ويتحداها ولا يخشى أحداً ، ويقرر مصير العالم ... هذا الدين الذي يدخل معترك الحياة دون أن يتأثر بالضرورات والضغط والخوف والضعف وغيره من العوامل التي تتحكم عادة بالدول والحكومات . إذن من الذي يتوجب عليه تبیین وتبليغ هذا الدين ؟

أن مسؤولية التعريف بالاسلام وتبيين مسائل الدين يجب أن ينهض بها العلماء من أهل التخصص والخبرة .

خامساً : حاجة الحوزة إلى مدرسين ومؤلفين ومحققين وفضلاء ومجتهدين ، ولله الحمد فإن الحوزات العلمية اليوم تؤمن كل هذه الاختصاصات ، ولكن إذا نظرنا إلى ما بعد عشرين سنة أو أكثر فسنجد أن هذا العدد من الفضلاء والعلماء لا يفي بالغرض أصلاً .

وعليه فإن هذا الأمر يجب أن يكون من أولى اهتماماتنا ، وعلى الحوزات العلمية أن تنهض بتربية وإعداد محققين وعلماء حتى نسد هذا الفراغ الموجود . هذه هي المقدمة الأولى وهي اثبات الحاجة إلى حوزة علمية ناشطة .

المقدمة البديهيّة الثّانية :

وهي وجود دوافع ومبررات مستمرة ولها امتدادات تاريخية لرفع لواء المعارضة ضدّ الحوزة ومعاداتها . فسلّطين القاجار كانوا معادين ومناهضين للعلماء والحوزة ، والسبب في معاداة السلّطين للعلماء هو تدخّل العلماء في قضايا الدولة وشؤون السلّطة . فمثلاً تصدّوا للسلّطة عندما أرادت التوقيع على معاهدة «رجي» وإقامة علاقات وطيدة مع الانجليز ، كما وقفوا بوجه الحكام عندما أرادوا الجمع بين الاختين بالزواج . وفي عهد بهلوي حدثت هناك عدة متغيرات ، فمنذ تسنّم رضا خان السلّطة استجذبت نوايا ومخططات تأمرية خبيثة من قبل الغرب وخاصة من جانب الانجليز الذين كانوا يهدفون إلى تحكيم قبضتهم على إيران وإيجاد حكومة انجليزية مئة بالمئة فيها - وهذا ما لم يستطيعوا تحقيقه - أو حكومة إيرانية عميلة تؤمّن لهم مصالحهم ويبدّهم زمام أمورها . وفي النهاية وقع اختيارهم على الطريق الثاني ، وعلى أساسه جيء بحكومة بهلوي .

الحقيقة أنّ رضا خان لم يكن سوى عميل للانجليز جاؤوا به للقضاء على المؤسسة الدينية في إيران ، ولذا منع لبس العمامة سنة ١٣١٤ هـ . ش (١٩٣٥م) كما حظر على علماء الدين الدخول في المجتمع والتواصل مع الناس ، واضطّروهم إلى لزوم بيوتهم وعدم مغادرتها . وعندما ولّى رضا خان وجاء بعده ابنه محمد رضا سار على خطى أبيه في تحقيق نفس الهدف الذي كان يرمي إليه وسعى وراء هدفه هذا ، ولكن بطريقة متقدمة وبآليات جديدة حتى انتصار الثورة الاسلامية . وبعد سقوط النظام البهلوي ظلت الدوافع والمبررات لمعاداة الحوزة والعمل ضدّها قائمة : فالولايات المتحدة الأمريكية حتى انتصار الثورة الاسلامية كانت تدعم وتسند محمد رضا وتعمل على القضاء على الدين . واليوم فإنّ أميركا مستمرة في تأمرها على الدين وذلك من خلال عملائها وأيادها التي ما فتئت تكيل التهم إلى الدين والعلماء والحوزات العلمية وتسعى إلى اضعافها .

في السابق كان رضا خان -ومن أجل أن يحطّ من شأن علماء الدين والحوزة العلمية - يقول : إنّ علماء الدين وطلبة الحوزة العلمية عالة على المجتمع ، يأكلون

ويشربون دون أن يقدّموا أي خدمة للمجتمع أو يعملوا شيئاً معيناً .

هذا الرجل بعقله القاصر يتصور أنّ أي إنسان ما لم يعمل في السوق يشتري ويبيع أو يعمل في الحقل أو يشتغل في دائرة من الدوائر الحكومية يجب أن لا يأكل شيئاً ، وإذا أكل فسيصبح متطفلاً على غيره ! وإنما يتفوّه بمثل هذا الكلام لأنه لا يعتقد بدور الدين ورسالته في الحياة ، ولا يرى للعمل الذي يؤديه عالم الدين أية قيمة أو أهمية . واليوم هناك من يردد هذه الدعوى ولكن بتعبير آخر .

إنّ هذه الطائفة التي أخذت على عاتقها هداية وإرشاد وتعليم الناس وراحت تبذل كل جهدها وطاقاتها لتوفير الأرضية اللازمة لتحقيق قول الباري تعالى : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ هؤلاء هم أهل الدين والهداية إلى سبيله ، يؤلّفون ويدرّسون ويعملون بجد واجتهاد ، فأبي دنيا هذه التي يتمتع بها طلبة الحوزة العلمية ؟ إنّ المرتب الذي يعطى لطالب يدرس في حوزة قم العلمية - وهي من أكبر الحوزات العلمية - لا يساوي نصف الراتب الذي يتقاضاه عامل عادي . ما يحصل عليه الطالب في الحوزة أقل من الحد الأدنى من الراتب الشهري الذي يحصل عليه الموظف العادي . والآن وبعد أن تبين لنا المستوى المعيشي الهابط الذي يعيشه طلبة وعلماء الحوزة ، فهل من الصحيح أن يقال : إنّ علماء الدين وطلبة الحوزة يرتزقون باسم الدين ؟ ألا يعدّ مثل هذا الكلام ظلماً وإجحافاً بحقّ الحوزة والطلبة ؟

إنّ حكومتنا حكومة إسلامية تُقرّ مبدأ حرية الكلمة وحرية التعبير ، ومثل هذا الكلام لم يكن ليقال لولا وجود هذه الحرية في التعبير وابداء الرأي .

ولا أريد هنا الردّ على ادّعاء هؤلاء ، بل ما أريد قوله هو : ان تعلموا أنّ هناك دواعي ودوافع عديدة تدفع هؤلاء إلى مناوئة الحوزة ، وبعض منهم ليس لديهم نوايا خبيثة ، وإنما لا يعون ما يفعلون ولا يدرون ما هي تبعات كلامهم وأعمالهم هذه ! وحتى في داخل الحوزة ، هناك الكثير من التوجهات التي تؤدي إلى تضعيفها ؛ فمثلاً تجد أحداً من ذوي الوضع المعيشي السيئ من طلبة الحوزة يضطر إلى تركها لتحسين وضعه المعيشي .

انظروا كم هي الجهود التي تبذلها الحوزة لتربية واعداد الفرد الواحد ، ولكن

ما أن توصله الحوزة إلى مراتب علمية متقدمة ويحين الوقت لتستفيد منه تراه ينتقل إلى مركز علمي أو دائرة من الدوائر وهو مضطر إلى القيام بمثل هذه الخطوة ، ولا يمكن أن نقول : إنَّ هذا العمل حرام ؛ لوجود حاجة وضرورة ضاغطة ، ولقد قام بعض بهذه الخطوة فعلاً .

وكما قلت : إنَّ خطوة من هذا القبيل تعني هجر الحوزة وتركها . كلامي هذا بالطبع لا يشمل الأشخاص الذين يتصدون لتحمل مهام ومسؤوليات حكومية ، فهؤلاء يجب عليهم أن يتصدوا ويتحمّلوا المسؤوليات المناطة بهم ، إنّما أقصد أولئك الذين يهجرون الحوزة ولا يؤدّون دورهم العلمائي .

إذن توجد هناك ثمة توجهات ودوافع داخلية وخارجية من شأنها أن تضعف الحوزة .

إنّنا اليوم نقف وجهاً لوجه أمام تحديات الأعداء ومؤامراتهم الخبيثة ، أضف إلى ذلك هناك متطلبات وضرورات جمّة تشكل ضغوطات كبيرة علينا .

والسؤال هو : ما هو واجب الحوزة في مثل هذه الظروف العصيبة ؟

إنَّ على الحوزة العلمية أن تستثمر جميع إمكاناتها في بناء كيائها على أحسن وجه ، وينبغي أن لا نفرط بإمكانات وقدرات الحوزة العلمية قيد أنملة ؛ خصوصاً وأنَّ القوى الانسانية تشكّل الرقم الاساس في هذه الامكانات . ينبغي أن لا يشغل طالب العلم أو الأستاذ وقته في دروس غير مجدية ولا ثمرة فيها ولا تلبي ضرورة من الضرورات التي ذكرناها ، كما أن على طالب الحوزة العلمية أن يسعى لتلبية إحدى متطلبات المجتمع سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي . وعليه أن يفرغ نفسه ويعدها اما للتأليف أو للتحقيق أو للتدريس والتعليم .

وفي السنوات الأخيرة خَطَّت الحوزة العلمية خطوات كبيرة ورائدة في هذا المجال . ومن هنا أرى لزماً عليّ أن أتقدّم بجزيل الشكر والامتنان إلى الهيئة العليا ومديرية الحوزة العلمية على قيامها بهذه الخطوات المباركة .

لقد بذلت الحوزة العلمية في قم جهوداً جبارة وأنجزت أعمالاً كثيرة ، بيد أن ما تبقى من أعمال ومتطلبات هو أكثر بكثير من المشاريع التي تمّ إنجازها . إذن ينبغي أن لا تفتقر هذه الحركة بل ينبغي أن تتضاعف سرعتها وتزداد استقامة

وصموداً ، وإذا حدث في هذه الأثناء ثمة خطأ أو تباطؤ ، يجب حينئذ أن يصحح لتزداد سرعة العمل .

على العلماء والأفاضل الذين هم على رأس الهيئة العليا للحوزة العلمية أن يتفهموا وضع بلادنا ووضع العالم أيضاً ويعوا طبيعة الظروف التي تحيط بالعالم كله ، وما هي المتطلبات والضرورات التي تحكم الخارج والداخل ، وكيف يمكن توفير هذه المتطلبات ، وما هو السبيل إلى تربية وإعداد أفراد بمقدورهم أن ينهضوا بأعباء هذه المسؤولية ؛ مسؤولية الاستجابة لهذه المتطلبات .

إذا كنا بحاجة إلى كتاب ما ، فهذا يستدعي وجود مؤلف ، ما هو السبيل إلى إعداد وتربية مؤلف ناجح وجيد ؟

يجب أن نتوفر على السبل الكفيلة بتربية وإعداد المدرسين الناجحين وندخلها ضمن البرامج الحوزوية . وإذا كنا بصدد تهيئة مبلغين بالمستوى المطلوب وبأعداد كبيرة لينتشروا في كل بقاع العالم ويؤدوا رسالتهم ، فما هي الظروف الموضوعية لتربيتهم وإعدادهم ؟ وكيف يمكننا أن نهتئ هذه الظروف المناسبة ؟

يجب أن تناقش المواد الدراسية كي تشخص الدروس غير الضرورية والزائدة عن الحاجة لتحذف .

ينبغي أن تكون المراحل أو الدورات الدراسية بشكل يستطيع الشخص الذي طوى بعض هذه المراحل أن ينتفع بها . وأما ما يُتصور من أن على الطالب أن يبقى في الحوزة العلمية عشرين أو خمسا وعشرين سنة فهذا تصور خاطئ وموهوم ؛ لأنّ قسماً من متطلباتنا يمكن تأمينه من خلال الدراسة في الحوزة أربع سنوات والقسم الآخر من المتطلبات يحتاج إلى دراسة عشر سنوات ، وبعض منها ربّما يحتاج إلى عشرين سنة من الدراسة . فلماذا نُبقي من يستطيع أن يلبي بعض متطلباتنا بدراسة أربع أو خمس سنوات ، عشر سنوات بلا مبرر ؟ يجب أن نتوفر على خطط وبرامج يمكننا على ضوئها أن نوصل هؤلاء إلى حدّ معين ومنحهم امتيازات معينة ، وعلى ضوء ذلك يتحدد دور كل فرد ومسؤوليته في تأمين وتلبية حاجة معينة ، وعلى الحوزة أن تمنحه أيضاً شهادة وتصادق عليها .

وهنا أودّ الإشارة إلى نقطة مهمة سبق وأن أشرت إليها وهي: أنّ المصادقة على درجة الاجتهاد من الأمور المتعارف عليها في الحوزة العلمية منذ القدم، ولا بأس بها في وقتنا الحاضر أيضاً.

يتصور بعضُ أُنّنا إذا أردنا أن نقيّم دروس الحوزة ونصادق عليها فمعناه أن نقول: إنّ هذا المقطع من الدراسة الحوزوية يعادل مقطعاً من الدراسة الجامعية، مثلاً درجة بكالوريوس «ليسانس» أو ماجستير، ولكن لا يوجد أيّ داعٍ لهذا العمل؛ لأنّ دروس الحوزة تختلف عن دروس الجامعة. وقد تستدعي الضرورة في بعض الأحيان القيام بمثل هذا العمل (معادلة الدراسة الحوزوية بالدراسة الجامعية)؛ فمثلاً قد يكون هناك شخص يريد أن يعمل في دائرة يُشترط على منتسبيها أن يكونوا من ذوي الشهادات، فحينئذٍ من الطبيعي أن الدائرة تريد أن تعرف المستوى الدراسي لهذا الشخص وبماذا تعادل شهادته قياساً بالدراسة الجامعية، ولكن الموضوع الأهمّ والرئيس هو: أنّ متطلبات الحوزة أوسع من ذلك بكثير، فنحن بحاجة إلى حوزويين في كافة المستويات وبقدرات وتخصصات متعددة.

لدينا قابليات وقدرات مختلفة ومتعددة، وعلينا بالدرجة الأولى أن نقوم بدراسة هذه القابليات، وعلى ضوء ذلك تُحدّد الدروس وتُجرأ المراحل والدورات، ويتصدى الطلبة الشباب الأفاضل لتحمل مهامهم ومسؤولياتهم في نطاق الحوزة العلمية، وبلا أدنى ريب أنّ عملهم سيعود علينا وعلى الحوزة العلمية بالبركات والخير الوفير.

إنّ الحوزة العلمية يراود لها أن تكون كالمعمل توفر للمجتمع متطلباته؛ ومن خلال العمل الدؤوب والسعي المتواصل، تعمل وتزود المجتمع بمنتجات، والتي هي عبارة عن مجاميع من المحققين والمبلغين والمدرسين والمؤلفين وغيرهم من المتخصصين.

كما أن على الحوزة أن تضع الخطط والبرامج اللازمة في النشاطات التي تقوم بها كافة، فمثلاً يجب أن يكون معلوماً لديها ما هو عدد المبلغين الذين يمكن تربيتهم وإعدادهم خلال الخمس سنوات القادمة للقيام بمهمة التبليغ بالمستوى

المطلوب في شتى أرجاء العالم وفي داخل البلاد . وكذلك بالنسبة إلى المجالات الأخرى كعلوم القرآن والتفسير وسائر العلوم الحوزوية الأخرى ، وفي مجال إعداد وتربية مدرسين وأساتذة ومحققين ومؤلفين للجامعات ، وللرد على الشبهات والاستفسارات التي قد تطرح ، لابد أيضاً من تخطيط وبرمجة واعية ودقيقة .

قال أمير المؤمنين (ع) :

إِنَّ لِلدِّينِ زُجْجًا زَخْمًا لَا يَسْخَرُ مِنْهُ إِلَّا الْخَوْنُ وَإِنَّ الْعِلْمَ دُونََ

كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا ..

بِنَايُ سَطَعِ السُّهُدَى سِتْجَلُ الْعَمَى ❖

نهج البلاغة

الرسالة الأولى في حياة البرء

٢

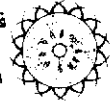
رسالة الشَّهَداءِ في حياة النَّاسِ

* الشيخ

محمد مهدي الآمفي

فيما يلي تتحدَّث عن المهام الأساسية الثلاثة للشَّهيد وهي :

١ - التذكير .



٢ - القدوة .

٣ - حفظ كتاب الله وشريعته من التحريف .

المهمة الاولى للشَّهيد في الدنيا : التذكير

هو الرسالة الاولى للشَّهيد . يقول تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ

سَبِيلًا ۝ (١) .

ورسالة الأنبياء « أن يعود الناس إلى أنفسهم » ، كما كان الامام الحسين عليه السلام

يخاطب الناس في كربلاء : « عودوا إلى أنفسكم » .

وأنفسهم هي فطرهم وعقولهم وضمائرهم التي يسلبها عنهم الهوى

والطاغوت والشيطان .

إن في نفس الانسان كنوزاً من القيم والمعرفة واليقين والاستجابة لله ،

ورصيذاً كبيراً من الفطرة الصافية النقية ، ومهمة الشَّهداء الوصول إلى هذه

الكنوز . إن هذه الأمة التي انطلقت من قلب الصحراء في جزيرة العرب ،

واستطاعت أن تهزم أكبر امبراطوريتين في التاريخ في مدة يسيرة من عمر

التاريخ لم تتمكّن من انجاز هذه الفتوح بقوة عسكرية نظامية متفوّقة ولا بالمال ، وإن كان لابدّ لهذه الدعوة من تلك وذاك معاً ، ولكن الأمة الشاهدة التي انطلقت من قلب الصحراء استطاعت أن تخاطب ضمائر الناس وفطرهم التي صدّهم عنها الطاغوت .

وفتحت هذه الأمة الشاهدة الطريق إلى فطر الناس وضمائرهم التي حاول الطاغوت في هاتين الامبراطوريتين أن يغمرهما ، واستجاب الناس في كل هاتين الامبراطوريتين إلى دعوة هؤلاء الفاتحين الذين جاءوهم برسالة العودة إلى أنفسهم .

إن لنا نحن الدعاة إلى الله رصيذاً من الفطرة في أعماق نفوس الناس ، ومهمتنا الوصول إلى هذه الاعماق ، فإذا استطعنا أن نصل إلى كنوز الفطرة فإن الناس يستجيبون لدعوة الله أفواجاً وأفراداً .

ونحن لا ننفي ولا ننكر أن الفطرة والضمير قد يجفّان وينضب معينهما تماماً ، وقد يطمرهما الهوى والطاغوت والشيطان تماماً ، فتستعدم الفطرة ، وينعدم الضمير ، كما حدث ذلك في قوم نوح عليه السلام ﴿وقال نوح ربّ لا تدزّ على الأرض من الكافرين دياراً﴾ إنك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً ^(٢) .

(٢) نوح : ٢٦ - ٢٧ .

ولكن الله تعالى قد أودع في فطرة الانسان وضميره وعقله من القوة ما يمكنه من المقاومة أمام ضغوط الهوى والشيطان والطاغوت ردحاً طويلاً من الزمن . فإذا تمكّن الدعاة إلى الله أن يصلوا إلى نفوس الناس ، واهتدوا الطريق إلى فطرهم وضمائرهم برفق ولين ، فإن الله تعالى يفتح عليهم من قلوبهم ما أغلقه الهوى والطاغوت .

بين [الميثاق] و[الشهادة] :

ماهي الرسالة التي يحملها الشهداء والأمة الشاهدة إلى فطر الناس ؟ إن هذه الرسالة هي العودة إلى «الميثاق» .

إن في فطرة كلّ إنسان عقداً وميثاقاً مع الله تعالى ، والتزاماً بالعبودية والطاعة ، ولا يشدّ إنسان عن هذا الميثاق الفطري . وقد شرحنا هذا الميثاق في

رسالة مستقلة في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ (٣).

(٣) الاعراف : ١٧٢.

وكل إنسان يرتبط في عمق فطرته بهذا العهد والميثاق مع الله تعالى عن وعي والتزام وتعهد .

إلا أن العوامل الضاغطة على الانسان تتمكّن من إخماد جذوة الفطرة وإضعافها وطمرها أحيانا ، فتختفي الفطرة من حياة الانسان ، وينسى الانسان هذا الميثاق ، ويغفل أنه شهد على نفسه بين يدي الله بهذا الميثاق ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ . فيأتي دور الشهيد والأمة الشاهدة في إعادة الناس إلى ميثاق الفطرة ، وتنبيههم إلى هذا الميثاق الذي عقده مع الله تعالى بوحي الفطرة ثم نسوه وأهملوه .

وإلى هذه العلاقة بين الشهادة والميثاق يشير الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : «فبعث الله فيهم رسله وواتر أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ، ويذكروهم منسى نعمته ، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ، ويثيروا لهم دفائن عقولهم»* .

(*) نهج البلاغة : ج ١ .

وإنما يتمكّن الشهداء من معرفة فطر الناس ، وما أودع الله تعالى في نفوسهم من الوعي الفطري العميق ، بسبب الموقع الوسط الذي يحلون فيه ، فإن هذا الموقع الوسط يمكنهم من شهود الفطرة ، وما أودع الله تعالى فيها من الوعي الفطري وميثاق الطاعة والعبودية لله تعالى ، وشهود الانحراف الذي طرأ على هذه الفطرة بعد وعي وعهد وميثاق .

وهذا الشهود يحملهم - كما ذكرنا - مسؤولية تنبيه الناس وتذكيرهم بهذا الوعي وهذا الميثاق . إن العودة إلى الله تعالى حاجة حقيقية في نفس كل انسان ، كما أن الأكل والشرب والنوم حاجات في الانسان ، فلا يحتاج الانسان إلى إكراه وضغط ليأكل أو يشرب أو ينام بقدر حاجته الطبيعية ، ولكن قد يحتاج الانسان إلى من ينبيهه بموعد الأكل والشرب والنوم ، كذلك (الدين) والعودة إلى الله حاجة فطرية مركوزة في عمق النفس ، فلا يحتاج الانسان لكي يعود إلى الفطرة إلى إكراه أو ضغط ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (٤) .

(٤) البقرة : ٢٥٦ .

ولكن الانسان يحتاج إلى من ينبيهه ويذكّره بالله تعالى .

وهذه هي المهمة الأولى للشهيد والأمة الشاهدة في التاريخ .

التذكير رسالة الانبياء في التاريخ :

إن القرآن الكريم صريح في أن رسالة الانبياء ﷺ في التاريخ هي التذكير أولاً ، ثم بعد ذلك التعليم ، وإن مهمة التذكير قبل التعليم ، وقد ورد التصريح بهذه الحقيقة في سورتين من أوائل ما نزل على رسول الله ﷺ من القرآن بعد تكليفه بالرسالة ، وهما سورتا «المدثر» و«المزمل» . يقول تعالى :

﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۚ ﴾ (٥) .

ويقول تعالى : ﴿ إِنْ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۚ ﴾ (٦) .

ويقول تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۚ ﴾ (٧) .

﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ ﴾ (٨) .

ويأمر الله نبيه ﷺ بالتذكير ، ويصرح له بأنه مذكّر قبل كل شيء ، بل يذكره الله تعالى بأن مهمته الوحيدة هي التذكير ، وسائر المهام التي يجب عليه أن ينهض بها إنما هي من شؤون التذكير .

وهذه الحقيقة تتضح في الحصر الوارد ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٩) ، والقرآن الكريم «ذِكْرٌ» أكثر من أي شيء آخر ، أو إنه ذِكْرٌ فقط ، والمسائل الأخرى التي يحفل بها كتاب الله من متطلبات الذكر ومستلزماته .

يقول تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ۚ ﴾ (١٠) .

﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لَحَسَنٌ مَّآبٌ ۚ ﴾ (١١) .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۚ ﴾ (١٢) .

﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ۚ ﴾ (١٣) .

ومهمة القرآن الكريم ورسالته هي التذكير وتيسير التذكير :

﴿ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۚ ﴾ (١٤) .

﴿ وَإِنَّهُ لَتَذَكُّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ۚ ﴾ (١٥) .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا ۚ ﴾ (١٦) .

ويقول الله تعالى لنبيه الكريم إنه لم ينزل عليه القرآن ليشقى بجهود الناس

(٥) المدثر: ٥٤ - ٥٥ .

(٦) المزمل: ١٩ .

(٧) الانعام: ٩٠ .

(٨) هود: ١٢٠ .

(٩) الغاشية: ٢٦ .

(١٠) يس: ٦٩ .

(١١) ص: ٤٩ .

(١٢) الحجر: ٩ .

(١٣) الانبياء: ٥٠ .

(١٤) القمر: ١٧ .

(١٥) الحاقة: ٤٨ .

(١٦) الاسراء: ٤٦ .

وعنادهم ولجاجهم ، وإنما بعثه بالقرآن ليدكرهم به فقط ، وما عليه بعد ذلك من أمرهم استجابوا أم لم يستجيبوا .

(١٧) طه : ٣-١ .

﴿ طه ﴾ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى ﴿ (١٧) .

الاستجابة والانغلاق عن التذكير :

وللناس تجاه التفكير حالتان : حالة الاستجابة والانفتاح وحالة الانغلاق والصدود .

وفيما يلي نتحدث عن هاتين الحالتين :

أولاً - حالة الاستجابة والانفتاح :

إن من الناس من يستجيب للذكرى من دون صدود وإعراض ، ويفتح قلبه للأنبياء والشهداء ، ويتلقى الذكرى ويتفاعل معها . هؤلاء هم أصحاب القلوب الواعية الذين لم يتمكّن الشيطان من قلوبهم ، ولم يصدّهم عن ذكر الله ، ولم تنغلق قلوبهم عن ذكر الله ، ولم يتمادوا في الإعراض عن الله .

وتعبير القرآن عن الذين يستجيبون والذين لا يستجيبون للذكرى دقيق وحريّ بالتأمل والتفكير .

يقول تعالى عن الذين يستجيبون للذكرى : ﴿ تبصرةً وذكرى لكل عبد منيب ﴾ (١٨) .

(١٨) ق : ٨ .

والإنابة هي العودة .

وكل عودة تتضمن بعداً وغفلة ، ولكن عندما يكون البعد والغفلة والتخلف عن الاستجابة والطاعة من غير عمد ولا صدود ولا لجاج فإن صاحبه يعود للذكرى سريعاً ، ويستجيب .

يقول تعالى : ﴿ لنجعلها لكم تذكرةً وتعيها أذنٌ واعية ﴾ (١٩) .

(١٩) الحاقة : ١٢ .

وتعبير القرآن دقيق ﴿ أذنٌ واعية ﴾ ، أما الأذان الصمّاء فلا تعي ولا تدرك ، ولا تنفعها التذكرة كيفما تكون الذكرى وأياً كان المذكر .

يقول تعالى : ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو

شَهِيدٌ ﴿٢٠﴾

(٢٠) ق: ٣٧

ذكرى لمن كان له قلب ، أما من مسخ قلبه مسخاً ، فلا تنفعه الذكرى ، وذكرى لمن ألقى السمع ، أما من صدَّ عن السمع فلا تنفعه الذكرى .
وذكرى لمن كان شهيداً حاضراً ، أما من كان غائباً بروحه وعقله وحاضراً بجسمه فقط فلن تنفعه الذكرى .

والشهيد هنا من الشهود والحضور ، وهو الشهيد المتذكر في مقابل الشهيد المذكر يقول تعالى : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢١) .

(٢١) الذاريات : ٥٥

والمؤمنون في مقابل أهل الجحود والكفر المعرضين عن الله .
وهؤلاء المؤمنون يستجيبون للذكرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله تعالى .
﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٢٢) .

(٢٢) الرعد : ٢٨

ثانياً - حالة الانغلاق والصدود :

وفي مقابل حالة الانفتاح والاستجابة والإنابة نواجه حالة مرضية هي حالة الانغلاق والجحود والصدود والإعراض عن الله تعالى ، وهؤلاء لا تنفعهم الذكرى .

يقول تعالى عن هذه الطائفة : ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴾ (٢٣) .

(٢٣) الصافات : ١٣

ويواجهون الذكرى والتذكير بالإعراض والصدود .

يقول تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ (٢٤) .

(٢٤) الشعراء : ٥٠

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنْ الذِّكْرِ مُعْرِضِينَ ﴾ (٢٥) .

(٢٥) المدثر : ٤٩

وهؤلاء المعرضون يعاقبهم الله تعالى بأشد العقاب ، ويجعل معيشتهم في الدنيا ضنكاً ، ويحشرهم يوم القيامة عمياناً لا يرون شيئاً ، كما تعاملوا في الدنيا عن ذكر الله تعالى .

يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

أَعْمَى ﴾ (٢٦) .

(٢٦) طه : ١٢٤

الإعراض عن الله عن علم وعن غير علم :

وحالات الإعراض عن الله تعالى على طائفتين :

فمن حالات الإعراض والضلال واتباع الباطل والهوى مايكون من دون علم

ولا هدى .

يقول تعالى : ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ﴾ (٢٧).

(٢٧) الروم : ٢٩ .

والحالة الأخرى من الإعراض ، أسوأ من هذه الحالة وأبعد عن الله ، وأكثر انغلاقاً وصدوداً عن ذكر الله ، وهي التي يعرض فيها صاحبها عن الله ، بعد أن جاءه العلم ، بغياً وظلماً ، ثم بعد أن استيقنتها نفسه ، يقول تعالى : ﴿ وما تفرقوا إلا

(٢٨) الشورى : ١٤ .

من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم ﴾ (٢٨) ، ويقول تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ (٢٩) ، ويقول تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ﴾ (٣٠).

(٢٩) الجاثية : ٢٣ .

(٣٠) النمل : ١٤ .

عقوبة الإعراض عن ذكر الله :

وعقوبة هؤلاء من سنخ الجريمة ، إن الجريمة هي الإعراض عن الله والتصام والتعامي عن ذكر الله وآياته ، والعقوبة هي الإضلال والختم والإغفال .

يقول تعالى : ﴿ وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾ (*) وهي عقوبة تتطابق مع الجريمة بدقة .

(*) الجاثية : ٢٣ .

يقول تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ (٣١).

(٣١) الكهف : ٢٨ .

والإغفال عقوبة من يتغافل عن ذكر الله ويتبع هواه ، و(الفرط) من الإفراط ، وهو الخروج والتجاوز عن حدود الله تعالى وحقوقه ، كحبات القلادة التي تنفرط وتتناثر وتخرج عن مواقعها ونظمها ، كذلك الانسان عندما يتبع هواه ينفرط أمره كله : عقله ، وضميره ، وقلبه ، وفطرته ، ووعيه ، ودينه ، ويختل تعادله وتوازنه . ومن عقوبة الذين يعرضون عن ذكر الله ويتعامون عن آيات الله أن يحشرهم يوم القيامة عمياناً ، كما تعاموا في الدنيا عن آيات الله ، ويجعل معيشتهم فيها

ضنكا ، وهما عقوبتان مع سنخ الجريمة .

يقول تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ قال ربِّ لمَ نحشرني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربِّه ولعذاب الآخرة أشدُّ وأبقى ﴿ (٣٢) .

(٣٢) طه : ١٢٤ - ١٢٧

ومن عقوبة المعرضين عن ذكر الله أن يقيض الله تعالى لهم شيطاناً ويجعله قريناً لهم ، ذلك أنهم مكّنوا الشيطان من أنفسهم ، فترك أيضاً عقوبة من سنخ الجريمة التي ارتكبوها .

يقول تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ (٣٣) .
والذي يضله الله تعالى ويغفل قلبه فلا هادي له ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ (٣٤) .

(٣٣) الزخرف : ٣٦ .

(٣٤) المؤمن : ٢٣

وهذا الضلال الذي يلزم الانسان إجباراً ولا علاج له عقوبة وجريمة وليس بجريمة فقط ، ولكن العقوبة هنا من سنخ الجريمة .

ولأن هذه العقوبة إلزامية ولا علاج لها يأمر الله تعالى نبيه بالاعراض عنهم .
يقول تعالى : ﴿ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ (٣٥) .
والإلزام في العقوبة لا ينافي الاختيار .

(٣٥) النجم : ٢٩ .

فإن هذه العقوبة نتيجة لما اختاروا من العناد والشقاق ، والنفاق بعد أن أتم الله تعالى لهم الحجة وجاءتهم البينات .

عوامل الاعراض والصدود :

نذكر منها عاملين يذكرهما القرآن الكريم :

الأول : الشيطان .

يقول تعالى : ﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه ﴾ (٣٦) .

(٣٦) يوسف : ٤٢ .

﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴾ (٣٧) .

(٣٧) المجادلة : ١٩ .

والشيطان يصد عن ذكر الله ﴿ يصدكم عن ذكر الله ﴾ (٣٨) .

(٣٨) المائدة : ٩١ .

والثاني : الانغماس ، والاستغراق في متاع الحياة الدنيا ولذاتها . يقول تعالى :

(٣٩) الفرقان : ١٨ .

﴿ وَلَكِنْ مَتَعْنَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ (٣٩) .

وساعات اليسر والرفاه تنسي الانسان ذكر الله ، وبالعكس فان ساعات الشدة والعسر تذكر الانسان بالله تعالى .

يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ (٤٠) .

(٤٠) ابراهيم : ٦ .

(٤١) الاعراف : ١٣٠ .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٤١) .

اسلوب التذكير:

مفتاح قلوب الناس اثنان : الصدق والرفق .

والكلام عندما يصدر من الانسان عن صدق ويكون صاحبه مؤمناً بما يقول ، وعاملاً بما يقول ، يكون حينئذٍ له في النفوس من الفعل والتأثير مالميس لغيره ، فإن الكلام عندئذٍ يصدر من عمق النفس ، ويحمل معه قناعة صاحبه وإيمانه وتفاعله معه ، والكلام عندما يحمل معه تلك الخصائص ، يكون له من التأثير مالميس للكلام الذي يصدر عن سطح ضحل من سطوح النفس ، ودون أن يكون له عمق وامتداد في نفس الانسان .

ولأمر ما ينهانا الله تعالى أن نقول ما لا نفعل . يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٤٢) .

(٤٢) الصف : ٢-٣ .

و(الرفق) المفتاح الآخر من مفاتيح النفس .

والذين آتاهم الله تعالى مفتاح الرفق يُحسنون النفوذ بالتذكير والموعظة إلى القلوب ، وتلين لهم القلوب الصعبة ، وتستجيب لهم القلوب النافرة .

ومهمة الوعظ ترقيق القلوب ، فإذا رقت القلوب استجابت للتذكير ، وانفتحت على ذكر الله ، وأقبلت على الله تعالى ، أما عندما تعشو القلوب فلا تستطيع الذكرى أن تنفذ إليها .

فلابد للمذكّرين بالله والدعاة إلى الله لكي يهتدوا إلى قلوب الناس أن يرفقوا بها ، ويتخيروا من أساليب الوعظ والتذكير أرقها وأكثرها ليناً ورفقاً ، ويتجنبوا الشدة والقسوة في الكلام ، فإن القلوب تستجيب للرفق ، وتصدّ عن الشدة . ولهذا

السبب يجب أن لا نحمل الناس في الوعظ والتذكير ما لا يتحملون وما لا يعرفون .
عن رسول الله ﷺ : « إنا أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس بقدر عقولهم .
أمرني ربي بمداواة الناس ، كما أمرنا بإقامة الفرائض » (٤٣) .

(٤٣) بحار الأنوار : ٦٦ .

ويقول الإمام الصادق عليه السلام : « خالطوا الناس بما يعرفون ، ودعوهم مما
ينكرون » (٤٤) .

(٤٤) بحار الأنوار : ٧١ .

وعن الإمام الرضا عليه السلام ليونس عليه السلام : « يا يونس حدث الناس بما يعرفون ، واتركهم
مما لا يعرفون » (٤٥) .

(٤٥) رجال الكشي : ٤٨٧ .

ومن الرفق الاعتدال في الترغيب والترهيب ، والخوف والرجاء .
عن أبي جعفر الباقر عليه السلام : « ألا أخبركم بالفقيه حقاً ؟ من لم يقط الناس من رحمة
الله ، ومن لم يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يؤيسهم من روح الله ، ولم يرخص في
المعاصي » (٤٦) .

(٤٦) وسائل الشيعة : ٤ : ٨٣٠ .

الرفق والعنف في الاسلام :

إن الرفق والعنف وجهان لحركة الدعوة على وجه الأرض ، ومن دون أن
يقترن هذان الوجهان لا تتمكّن هذه الدعوة أن تشق طريقها إلى قلوب الناس على
وجه الأرض ، من خلال العقبات والعوائق التي يزرعها ويضعها الطاغوت ، أمام
حركة الدعوة .

والوجه الأول لهذه الحركة هو الرفق واللين في دعوة الناس إلى الله تعالى ،
وتذكيرهم بالله واليوم الآخر .

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي
أحسن ﴾ (٤٧) .

(٤٧) النحل : ١٢٥ .

﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ (٤٨) .

(٤٨) طه : ٤٣ - ٤٤ .

﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم عليكم لا
نتبغى الجاهلين ﴾ (٤٩) .

(٤٩) القصص : ٥٥ .

﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا
بأذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ (٥٠) .

(٥٠) العنكبوت : ٤٦ .

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (٥١).

(٥١) فصلت : ٣٣ - ٣٤.

﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ فقل هل لك إلى أن تزكى ﴿وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ (٥٢).

(٥٢) النازعات : ١٧ - ١٩.

هذا هو الوجه الأول من حركة الدعوة وهو وجه الرفق واللين .
والوجه الآخر وجه يختلف تماماً عن هذا الوجه ، وهو وجه العنف والشدة .
ولنقرأ بعض ملامح هذا الوجه الآخر في كتاب الله تعالى .

(٥٣) البقرة : ١٩١.

يقول تعالى : ﴿واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ (٥٣).
﴿فخذوهم واقتلوهم حيث ثقتموهم﴾ (٥٤).

(٥٤) النساء : ٩١.

(٥٥) الانفال : ٥٧.

﴿فأما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم﴾ (٥٥).
وهذا هو الوجه الآخر لحركة الدعوة ، وهما وجهان متكاملان وليساهما وجهين متناقضين . إن الوجه الأول هو الذي تواجه به الدعوة الناس في حركتها على وجه الأرض ، فلا يقبل الناس على هذا الدين إلا بالرفق واللين ، ولا تكسب الدعوة قلوب الناس ولا تنفذ إليها إلا بالرفق واللين ، والتفاهم ، والحكمة ، والموعظة الحسنة . ولكن الطاغوت لا يدع هذه الدعوة تتحرك على وجه الأرض بين الناس لتكسب قلوبهم وقناعاتهم وإنما يحاول أن يضع العقبات والعوائق في طريق الدعوة ، ويصد الناس عنها ، ويفتنهم ليتخلوا عنها ، ويعمل من أجل أن يحول بين الناس وبين رسالة الله تعالى .

ولكي تواصل الدعوة حركتها على وجه الأرض ، لابد أن تدافع عن نفسها وعن الناس الذين يطلبهم ، ولابد أن تواجه العقبات والفتن التي يزرعها الطاغوت في طريق حركة الدعوة بالقوة والشدة والعنف .

ولا يكاد ينفع هنا الرفق والاحسان ، فإن لغة الرفق تنفع الناس وتكسبهم إلى جانب الدعوة وتفتح مغاليق قلوبهم ، أما الطاغوت في رحلة المواجهة والصراع فلا تردّه إلا لغة القوة والعنف ، ورد الكيد بالكيد ، والمكر بالمكر ، والشدة بالشدة . وهذا هو الوجه الآخر للدعوة ، ومن دونه لا تستطيع أن تواصل حركتها على

وجه الأرض .

ولكن علينا أن نعرف جيداً أن الوجه الأخير من دون الوجه الأول لا يشق طريق الدعوة ، ولا يفتح قلوب الناس .

وإن الذي كسب الناس للإسلام في الفتوح الإسلامية العسكرية في صدر الإسلام ليس القوة والسيف ، وإنما الرفق واللين ، واستخدم المسلمون القوة فقط لكسر شوكة الطاغوت وإزالة العقبات من أمام حركة الدعوة .

المهمة الثانية للشهيد في الحياة الدنيا : القدوة

يقول تعالى : ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد﴾ (٥٦) .

(٥٦) الممتحنة : ٦ .

الشهيد [مذكر] و [قدوة] :

قلنا إن الدور الأول للشهيد هو التذكير ، ورسالة التذكير هي الدعوة إلى الله ، والتذكير به ، والدعوة إلى [الموقع الوسط] ، تذكيراً وتعليماً .

والدور الثاني للشهيد هو تجسيد القدوة للناس ، للاقتداء والتأسي . وفي الرسالة الثانية لا يدعو الشهيد إلى الموقع الوسط ، وإنما يجسّد بسلوكه الموقع الوسط . فلا يشذّ عنه في قول أو فعل ، ولا ينحرف ، ولا يشطّ ، ولا يقصّر ، ولا يزيد . ويجد الناس فيه تبلوراً واقعياً وحقيقياً للموقع الوسط .

والقدوة بهذا التصوّر تعني المرأة التي يجد الإنسان فيها نفسه وما أودع الله فيه من كنوز اليقين ، والمعرفة ، والتوحيد ، والقيم ، والجد ، والعزم ، والقوة ، والشجاعة ، والمقاومة ، والحب .

يرى الإنسان في (القدوة) كل ما أودع الله فيه من هذه الكنوز ، فهو من سنخ خلقه ، إنسان يمشي في الأسواق ، فما يجد في القدوة من المعرفة والقيم والكفاءات موجودة عنده ، غير أن (القدوة) يمكن أن يبرزها إلى الفعل ويخرجها إخراجاً حسناً ، وهو لم يفعل ذلك .

ولو كان الأنبياء من الملائكة لما وجد الإنسان فيهم مرآة صادقة لنفسه ، وقد

كان المشركون يستنكرون أن يكون الرسول من نوع البشر ، يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، ويطلبون أن يكون الرسول من غير البشر ، من الملائكة ، مثلاً .

ويرد عليهم القرآن الكريم ردّاً بليغاً :

يقول تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً ﴾ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ﴿ (٥٧) .

(٥٧) الفرقان : ٢٠ - ٢١

﴿ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ﴾ (٥٨) .

(٥٨) الفرقان : ٧

﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ (٥٩) .

(٥٩) الانعام : ٩

والرد واضح ، فإن الملك لا يكون قدوة للإنسان ، ولا يكون مرآة تعكس له شخصيته وقيمه وكفاءاته .

وبالنتيجة لا يعكس له ما ينبغي أن يكون ، ولا يعكس له مقدار تخلّفه وتقصيره .

أما القدوة (الإنسان) فيصلح أن يكون مرآة للناس ، تعكس لهم أنفسهم ، وتعكس لهم ما ينبغي أن يصلوا إليه ويحققوه ، وتعكس لهم مقدار تخلّفهم وعجزهم ، وتنبيه الناس إلى ضرورة تدارك أخطائهم وجبر نقاط الضعف والنقص في سلوكهم ، وتعديل أفكارهم وأعمالهم بموجب ما تعكسه هذه المرآة .

اسلوبان في الدعوة :

هناك فرق واضح بين أسلوب الشهيد في الدعوة إلى الله ، والأسلوب الذي يتّخذه غير الشهداء من عامة الناس إلى الله .

فمن الدعاة من يدعو الناس إلى الموقع الوسط ويرشدهم إليه . أما الشهيد (القدوة) فلما كان يجسّد بأقواله وأفعاله الموقع الوسط فهو يأخذ الناس معه إلى ذلك الموقع . والناس - على طريق الله - ينجذبون إلى من يقول لهم : هلموا معي إلى

اللَّهُ ، أكثر مما ينجذبون إلى من يقول لهم : إذهبوا إلى اللَّهِ .

وكانت دعوة الامام الحسين عليه السلام من النوع الأول ، يدعو الناس إلى مواجهة الظالمين ، ويتقدمهم وأهل بيته وذرائه ، فكان يقول لهم : « نفسي مع أنفسكم ، وأهلي مع أهليكم » .

(*)

يروى الكاشاني في كتابه الصافي في تفسير القرآن أن أصحاب الحسين عليه السلام كانوا إذا أرادوا الخروج استأذنوا الحسين عليه السلام وقالوا : السلام عليك يابن رسول الله ، فردد عليهم السلام ، ويقول لهم : نحن على الأثر قادمون ، ثم يقرأ قوله تعالى : ﴿ فمَنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ .

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام عن حروبه مع رسول الله صلى الله عليه وآله : « كنا إذا حمز البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله ، فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه » (٦٠) .
وفي حرب الأحزاب كان رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه يحفر ويحمل التراب من الخندق ويقول : « لا عيش إلا عيش الآخرة » .

وإذا كان صلى الله عليه وآله مع أصحابه في سفر ، وكانوا يورعون الأعمال فيما بينهم قال : « وعلي يلمُ الحطب » .

وهذا هو الفرق بين الشهيد وغيره . إن الشهداء من الأنبياء والأوصياء والعلماء والدعاة إلى الله يجسدون الموقع الوسط ، يأخذون الناس معهم إلى هذا الموقع ، أما غير الشهيد من العلماء والدعاة ، فيدلّون الناس على الطريق ، ويدعون الناس إلى الأعمال الصالحة .

ولذلك دعوة الشهيد لا تضاهيها دعوة ، ولا حركة ، ولا يكون لغير الشهيد من التأثير والنفوذ في حياة الناس ، ومن القدرة على تغيير مجرى التاريخ ما يكون للشهداء . وفي سير علمائنا الشهداء نجد نماذج كثيرة من أمثال هؤلاء ، ممن كانوا يجسدون المقاومة والثبات والصبر في البأساء والضراء ، قبل أن يدعوا الناس إليها . وقد كان شيخ الشريعة الاصفهاني رحمه الله يحضر بنفسه القتال مع الانجليز ، وهو في سنّ متقدمة من الشيخوخة ، وكان يعسكر مع عساكر المجاهدين ويسير معهم ، وكان القائد العثماني التركي يقول : كلما أرى خيمة شيخ الشريعة المتواضعة في وسط المعسكر ازداد قوة وطمأنينة وثقة .

(*) الصافي في تفسير القرآن

١٨١ : ٤

(٦٠) نهج البلاغة ، الكلمات

القصار

وقد انقلب به القارب في النهر ، وكاد أن يغرق ، لولا أن انقذه بعض المجاهدين .

اهتمام القرآن بالقدوة :

وللقرآن اهتمام بليغ في طرح القدوة للناس من الأنبياء والشهداء .

يقول تعالى عن رسول الله ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ ﴾ (٦١).

(٦١) الاحزاب : ٢١ .

ويقول تعالى عن ابراهيم الخليل عليه السلام : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ

وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٦٢) .

(٦٢) الممتحنة : ٤ .

ويقول تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٦٣) .

(٦٣) الممتحنة : ٦ .

وبعكس ذلك يشجب القرآن الحالات التي ينفصل فيها الفعل عن القول ، ولا

يكون الكلام نابعاً من إيمان وتفاعل وعمل .

يقول تعالى : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا

لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

التأهيل للشهادة :

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦٤) .

(٦٤) آل عمران : ٨٤٠ .

فأولئك أولاهم الله سبحانه مهمة الشهادة في الناس ، واتخذ منهم شهداء .

إن الأمة الشاهدة لا تثبت على طريق الدعوة ، ولا تستطيع أن تقاوم عواصف

المواجهة ، وألوان المكر والكيد ، إلا من خلال معاناة صعبة ورحلة عذاب طويلة .

وهذه المعاناة والعذاب يؤهلانها للشهادة بين الناس ، وتدخلانها الجنة .

يقول تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ

مَسْتَهْمِ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ

أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٦٥) .

(٦٥) البقرة : ٢١٤ .

المقاومة والرؤية :

إن المعاناة والعذاب يمنحان الإنسان المقاومة ، والمقاومة تمنح الإنسان الرؤية . يقول تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ (٦٦) .

(٦٦) العنكبوت : ٦٩ .

والآية الكريمة صريحة في أن الجهاد يمنح الإنسان الهداية والرؤية ، كما يمنحه معية الله تعالى في الحركة على طريق ذات الشوكة ﴿ وإن الله لمع المحسنين ﴾ .

المهمة الثالثة للشهيد : حفظ كتاب الله وشريعته من التحريف

﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ (٦٧) .

(٦٧) المائدة : ٤٤ .

وهذه هي المهمة الثالثة للشهيد ، لأن تحريف الكتاب ، وتحريف حدود الله وشريعته من الوسائل التي تتبعها الجهة المعادية للدعوة ، في إحباط دور الدين ، ومسخه ، وتفريغه من محتواه الحركي بعد ما تفشل هذه الجبهة في استئصال الدعوة من الأساس .

ولذلك نظائر في الشرائع الإلهية السابقة في تاريخ الدعوة والرسالة . وقد أولى الله تعالى الشهداء مهمة المحافظة على الكتاب والشرعية من التحريف والتشويه ، واستحفظهم كتابه وحدوده . وأولى الناس بأن يوليهم الله تعالى هذه المهمة هم الشهداء ، فإن الشهداء أكثر الناس وعياً لشرعية الله وحرصاً على سلامتها .

شرطا الشهادة العصمة والعدالة .

إن المهمة التي ينيطها الله تعالى بالشهيد مهمة ضخمة ، فهو من جانب مذكّر ومعلم ، ومن جانب آخر قدوة ونموذج ، ومن جانب ثالث مسؤول عن حفظ الكتاب والشرعية .

وهذه المهام الثلاثة ترتبط بالكتاب والشرعية من جانب ، ومن جانب آخر

بحياة الناس ، ومهمة الشهيد تطبيق حياة الناس على هدى الكتاب والشرعية .
وهذه المهمة الصعبة تتطلب من الشهيد أن يكون على درجة عالية من الاستقامة
والاعتدال والالتزام .

وقد تحدثنا عن ذلك من قبل في البحث عن القدوة وتجسيد الموقع الوسط .
وهذه الاستقامة في الأنبياء بمعنى العصمة ، وفي الأمة الشاهدة والدعاة
والعلماء الشهداء بمعنى العدالة وهي الالتزام بحدود الله تعالى في الحلال
والحرام .

وهذا الشرط في الحقيقة ملحوظ في صلب معنى الشهادة ، فلا نحتاج إلى أن
نطيل الحديث عنه .

الشهادة في الآخرة

الشهادة من مشاهد القيامة :

من مشاهد القيامة الشهادة ، وهو مشهد رهيب . ويتم هذا المشهد بحضور
الأنبياء وسائر الشهداء من المؤمنين ، ويتم القضاء بحضور الأنبياء والشهداء
وبشهادتهم .

يقول تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ
وَالشَّاهِدِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٦٨) .

(٦٨) الزمر : ٦٩ .

ولماذا يتم القضاء بحضور الأنبياء والشهداء ؟

لأن هؤلاء الشهداء كانوا مقاييس للناس في الحق والباطل في الدنيا ، في
الآخرة يقاسون بهم ويحاسبون على كل انحراف عنهم ، ويقضى بينهم بموجب
هذا المقياس .

وبذلك يؤدي الشهيد شهادته يوم القيامة .

ولأن الأنبياء والشهداء كانوا مسؤولين في الدنيا عن تذكير الناس وتوجيههم
ودعوتهم لذلك يشهدون يوم القيامة على الناس أنهم أدوا ما عليهم من التذكير
والدعوة ، ويقطعون على الناس الحجة .

ولأن هؤلاء الشهداء كانوا مسؤولين عن توجيه هؤلاء الناس وتذكيرهم ،

والناس أمتهم وإخوانهم في الدين ، لذلك يكونون أشفق عليهم من غيرهم في الشهادة .

ان الطالب يؤثر أن يؤدّي الامتحان لدى المعلم الذي علّمه الدرس ، فإنه في أغلب الأحوال أشفق عليه من غيره ممن لم يكن له دور في تعليمه .

حضور للشهود في الدنيا وأداء في الآخرة :

ذكرنا من قبل أن للشهادة مرحلتين : مرحلة التلقّي ، ومرحلة الأداء . ولا بدّ في الأداء من التلقّي ، ومن دون التلقّي لا يمكن الأداء ، وفي كل تلقٍّ لا بدّ من حضور ، ومالم يكن الشاهد حاضراً عند الناس لا يتمكّن من أن يتلقّى أعمال الناس .

والقرآن الكريم صريح في أن للشهداء حضوراً في حياة الناس وأعمالهم ، وأنهم يرون أعمال الناس .

يقول تعالى : ﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسِرَئِىَ اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٦٩) .

(٦٩) التوبة : ١٠٥ .

والشهود الذين يحضرون أعمال الناس في هذه الدنيا ، بموجب هذه الآية الكريمة ، ثلاثة : الله ، ورسوله ، والمؤمنون .

﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسِرَئِىَ اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

ويوم القيامة يكون الشاهد والقاضي والحاكم هو الله تعالى .

﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وفي موضع آخر يبين القرآن أنه يتحد يوم القيامة الشاهد والقاضي ، وهذه المرّة ينهض الانسان بنفسه بهاتين المهمتين معاً يوم القيامة .

يقول تعالى : ﴿ وَكُلُّ إِنسَانٍ أَلْزَمَانَهُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً (٧٠) .

(٧٠) الاسراء : ١٣ - ١٤ .

و(الطائر) عمل الانسان ، وكأنّ الوجه في التعبير عن العمل بـ(الطائر) أن العمل ، بعد أن يقوم به صاحبه ، ينفصل عن الانسان ويستقلّ عنه ويفلت من قبضته ، فإن العمل في قبضة الانسان ما لم يؤدّه ، فإذا فعله خرج عن قبضته .

و(في عنقه) تعبير عن تثبيت عمل الانسان في عهده ، وتسجيله عليه ، واستحالة تخلصه منه ، وهذه هي مرحلة أداء الشهادة ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ .

فيتحد في هذه الآية الكريمة الشاهد والقاضي ، فيشهد الانسان على نفسه فيقرأ كتابه الذي ألزمه الله تعالى أياه في عنقه ، دون أن يتمكن من نفيه أو أن يشك فيه ، أو يتخلص منه ، ويحاسب نفسه بنفسه ، والمحاسبة هنا هي الحكم والإدانة .

الشهداء يوم القيامة هم الشفعاء :

ومن رحمة الله تعالى بالانسان أن جعل من الشهداء عليه شفعاء بإذنه تعالى ، ومهمة الشهيد الرقابة والشهادة ، ولكن عندما يكون الشاهد لدى القاضي شفيعاً عنده بإذنه تثبت للشاهد عند القاضي نقطة بيضاء في حياته للتجاوز عن الصفحات السوداء من أعماله ، وشفقة الشهيد وشفاعته من فضل رب العالمين ورحمته .

يقول تعالى : ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ (٧١) .

(٧١) الزخرف : ٨٦ .

ويوم القيامة لا يتكلم أحد عن أحد إلا بإذن الله تعالى ، وما لم يأذن الله تعالى لأحد في الكلام لا ينطق بكلمة في ذلك اليوم الرهيب .

يقول تعالى : ﴿ربّ السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً﴾ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ (٧٢) .

(٧٢) النبا : ٣٧ - ٣٨ .

وهو موقف عجيب يمتزج فيه الجلال والكبرياء بالرحمة ﴿ربّ السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً﴾ . ويصطف الملائكة والروح في هذا اليوم الرهيب صفاً ، ولا يتكلم منهم أحد بكلمة إلا من أذن له الرحمن .

يقول تعالى عن مشاهد هذا اليوم الرهيب الذي لا يحق لاحد التكلم فيه إلا بإذنه : ﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد﴾ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات

(٧٣) هود: ١٠٥-١٠٨.

والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴿٧٣﴾ .

وفي هذا اليوم لا يتكلم أحد بين يدي الله تعالى إلا من أذن له الرحمن ، ولهذا
الاذن نظام وقانون ؛ وقانون هذا الاذن أن من شهد بالحق يحق له يومئذ أن يشهد
ويشفع في عباد الله ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعاة إلا من شهد
بالحق ﴾ (٧٤).

(٧٤) الزخرف : ٨٦ .

من الشهداء من ينظر في الكتاب المرقوم :

ومن هؤلاء الشهداء من له حضور في أعمال الناس ، وينظر في الكتاب المرقوم الذي يضبط ويسجل أعمال الأبرار .

يقول تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴾ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (٧٥).

(٧٥) المطففين: ١٨ - ٢١.

إن الشَّهَدَاءَ يَنْظُرُونَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمَرْقُومِ الَّذِي يُضَبِّطُ أَعْمَالَ الْأَبْرَارِ ، وَهَذَا الْكِتَابُ لَيْسَ كَسَائِرِ الْكُتُبِ ، إِنَّمَا هُوَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، يَنْظُرُ فِيهَا الْمُقَرَّبُونَ . وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ فِي أَعْمَالِ أُمَّتِهِ وَيَشْهَدُهَا ، بِضُرُورَةِ النُّصُوصِ الصَّرِيحَةِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ .

يقول تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (٧٦).

(٧٦) النساء : ٤٩ .

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٧٧).

(٧٧) النحل : ٨٩ .

۱۳۷ : ۶۸
 العدد : ۶۸ : ۱۳۷

المَسْجِدُ - تَفْهُؤُهُ

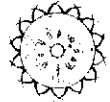
وَبَعْضُ أَحْكَامِهِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ

دراسات

* عباس علي فراهني

المترجم، عباس الاسدي

المقدمة :



المسجد في اللغة : هو اسم المكان من الفعل « سجد يسجد » بمعنى مكان السجود ومحل العبادة ، وهو مستثنى من القاعدة المعروفة في اسم الزمان والمكان في الفعل الثلاثي المجرد مضموم العين . وبالطبع فان بعض كبار اللغويين امثال الفراء اجازوا فتح العين في المسجد ، بالرغم ان الكلمة لم تستعمل بهذه الصورة حتى الآن^(١) . ويقول سيبويه : ان هذه المفردة تُقرأ مفتوحة بالقياس متى ما أُريد الفعل والعمل^(٢) .

ولقد وردت في المعاجم وقواميس اللغة تعابير عديدة للمسجد ، تعود جميعها إلى معنى واحد .

يقول الزجاج في تعريف المسجد : « كل موضع يُتَعَبَّدُ فيه فهو مسجد »^(٣) ، ويعرف ابن الاعرابي الكلمة كالتالي : « المسجد بفتح الجيم ، محراب البيوت ومصلّى الجماعات »^(٤) ، وجاء في مفردات الراغب الاصفهاني : « المسجد موضع الصلاة اعتباراً بالسجود »^(٥) .

اذن ، فالمسجد هو اسم مكان مشتق من فعل مصدر ثلاثي مجرد هو « سجد » ، وقد اطلق على محل العبادة ومكان الصلاة ، ذلك ان السجود هو أهم اركان الصلاة واشرفها ، يقرب المرء إلى ربه اكثر من أفعال الصلاة الأخرى ، ولهذا اتُخذ اسم المكان من الفعل واطلق على محل العبادة والصلاة^(٦) .

(١) فخر الدين الطريحي ،
مجمع البحرين ٣ : ٦٥ ،
تحقيق السيد أحمد الحسيني ،
المكتبة الرضوية ، طهران ،
١٣٨٦ هـ .ق .

(٢) سعيد الخوسري ،
الشرطوني ، اقرب الموارد في
اصح العربية والشوارد : ٤٩٥ .
المكتبة الحجازية ، بيروت .

(٣) محمد مرتضى الزبيدي ،
تاج العروس (من جواهر
القاموس) ٢ : ٣٧١ ، منشورات
دار مكتبة الحياة ، لبنان .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) الراغب الاصفهاني ،
مفردات الفاظ القرآن : ٢٧١ ،
تحقيق نديم مرعشلي ،
دار الكتب العلمية .

وفي الاصطلاح العرفي يعتبر المسجد مكان العبادة الخاص بالمسلمين ، غير ان القرآن الكريم اطلق الكلمة على معابد أهل الكتاب أيضاً : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ (٧) . ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ... ﴾ (٨) .

وفي الاصطلاح الشرعي أطلق المسجد على المكان المحدد الموقوف للصلاة ، إذ جاء في النصوص الفقهية بهذا الشأن :

« المراد بالمسجد المكان الموقوف على كافة المسلمين للصلاة » (٩) . ومضافاً إلى كلمة المسجد يطلق على هذا المكان أحياناً « الجامع » ، وهو في الحقيقة صفة للمسجد الكبير الذي تقام فيه صلاة الجمعة . ويقال ان الخليفة الثاني هو أول من استخدم هذه الكلمة حينما اصدر تعليماته إلى الولاة في الحواضر الاسلامية لبناء المساجد الجامعة التي تقام فيها صلوات الجمعة . وتذكر الروايات التاريخية ان عمر بن الخطاب طلب من عماله على الاراضي المفتوحة والمدن الجديدة بناء مساجد خاصة بصلاة الجمعة ، ومساجد اخرى بين القبائل لاقامة الصلوات اليومية (١٠) .

لكن بعض المؤرخين يقولون ان الناس هي التي استخدمت هذا المصطلح بادئ الامر ، واطلقت على المساجد التي تقام فيها صلوات الجمعة اسم المسجد الجامع أو الجامع . ولما توسع نطاق الحكم الاسلامي وازداد عدد المسلمين ، ازداد ايضاً عدد المساجد في البلاد الاسلامية ، كما كثر عدد الالفاظ التي تطلق على اماكن العبادة ، بحيث بات يطلق بمضي الزمان على كل مسجد يصلّى فيه المسجد الجامع أو الجامع (١١) .

وقد وردت كلمة المسجد في القرآن الكريم (٢٨) مرة : (٢٢) منها بصورة مفردة (١٢) ، و (٦) على صورة الجمع (١٣) وتشير هذه الآيات إلى أهمية المسجد ومكانته الرفيعة في الاسلام ، وبعض احكامه ، والاحكام الخاصة أيضاً بالمسجد الحرام ، كما تشير إلى المسجد الاقصى ومسجد أصحاب الكهف .

وثمة آيات اخرى في كتاب الله المجيد تحوم حول المسجد وأهميته ، رغم انها

(٦) محمد بن عبدالله

الزركشي ، اعلام المساجد

باحكام المساجد : ٢٨ ، تحقيق

ابو الوفاء مصطفى المراغي ،

دار الكتب المصرية ، القاهرة ،

١٤٠٣ هـ . ق .

(٧) الكهف : ٢٦ .

(٨) الاسراء : ١ .

(٩) محمد حسن النجفي ،

جواهر الكلام : ٦٦ : ١٤ .

دار الكتب الاسلامية

طهران ، ١٣٩٢ هـ . ق .

(١٠) عبدالرحمن السيوطي ،

حسن المحاضرة في اخبار

مصر والقاهرة ١ : ١٤٩ .

مطبعة الموسوعات ، مصر .

(١١) حسن عبدالوهاب ، تاريخ

المساجد الاثرية : ٨ ، دار

الكتب المصرية : القاهرة .

(١٢) البقرة : ١٤٥ ، ١٥٠ ،

١٥١ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢١٧ .

المائدة : ٢ : الاعراف : ٢٩ - ٣١ .

الانفال : ٣٤ : التوبة : ٧ .

الاسراء : ١ : الكهف : ٢٦ .

الحج : ٢٥ : العنكبوت : ٧ .

الفتح : ٢٥ ، ٢٧ .

(١٣) البقرة : ١١٤ ، ١٨٧ .

التسوية : ١٧ - ١٨ :

الحج : ٤٠ : الجن : ١٨ :

لم تستخدم هذا اللفظ صريحاً ، ولكن مفهومها واجماع المفسرين يؤكد ذلك . واننا في هذا المقال إذ لا يسعنا ان نأتي على جميع هذه الآيات تفسيراً وتحليلاً وتبييناً نكتفي بذكر الآيات التي تبرز اهمية المسجد بمختلف ابعاده في المجتمع الاسلامي ، ونطرق باختصار إلى تفسيرها وتوضيحها .

المسجد أول بيت للتوحيد :

(١٤) آل عمران : ٩٦ :

﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين ﴾ (١٤) .

(١٥) البقرة : ١٢٠ :

﴿ وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ (١٥) .
يبين من الآيتين اعلاه ان الكعبة في مكة المكرمة هي أول بيت للتوحيد ، وأول مكان مركزي اقيم لعبادة الله الواحد الاحد .

(١٦) تفسير الرازي : ٣١١ :

تصحیح وحواشی مهدي

الهي قمشة ای انتشارات

علمي ، طهران ، ١٣٢٥

(١٧) المصدر نفسه .

(١٨) ابراهيم : ٣٧ .

(١٩) البقرة : ١٢٧ .

وقد اختلف المفسرون في زمان بناء هذا البيت ، فمنهم من قال ان ابراهيم عليه السلام هو مؤسس البيت ولم يكن له أي وجود زمن آدم عليه السلام (١٦) . واعتقد آخرون ان آدم عليه السلام هو أول من بنى البيت ، ثم جدد بناءه ابراهيم عليه السلام (١٧) ، بيد ان القرائن المستلّة من الآيات القرآنية والروايات النبوية تؤيد الرأي الثاني ، إذ جاء في القرآن الكريم على لسان ابراهيم عليه السلام : ﴿ ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ... ﴾ (١٨) ، حيث يفهم من الآية الشريفة ان ابراهيم عليه السلام لما جاء مع ولده اسماعيل عليه السلام وزوجه هاجر إلى مكة كان فيها اثر من الكعبة . وجاء في آية اخرى : ﴿ وإذا رفع ابراهيم القواعد واسماعيل ... ﴾ (١٩) ، ففي الآية اشارة إلى وجود اسس الكعبة قبل ابراهيم ، وانه وولده عليه السلام رفعاه هذه القواعد والأسس .

يقول الامام علي عليه السلام بهذا الشأن : « ألا ترون ان الله سبحانه اختبر الاولين من لدن آدم الى الآخرين من هذا العالم بأحجار ... فجعلها بيته الحرام ، ثم امر آدم عليه السلام وولده أن يُثَنِّوا اعطافهم نحوه ... » (٢٠) .

(٢٠) نهج البلاغة : ٧٩٤ .

الخطبة القاصعة .

اذن ، فالكعبة بنيت أول ما بنيت بواسطة آدم عليه السلام ثم تصدعت واندرست بمرور الزمان ليجدد بناءها من بعد ابراهيم عليه السلام . ومهما يكن من أمر ، فان هاتين الآيتين وغيرهما تؤيد كما تؤيد الروايات ان المسجد هو أول مكان ومركز وضع

على الأرض لعبادة الله الواحد ، ولم يكن قبله أي معبد آخر مخصص للدعاء والعبادة عند الموحدين .

وروى ابو ذر عن الرسول ﷺ : « ان بناء المسجد الحرام سبق بناء المسجد الاقصى » (٢١) ، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام في ذيل الآية الاولى حينما سأله رجل : أهو أول بيت ؟ ، فقال : لا قد كان قبله بيوت ، ولكنه أول بيت وضع للناس مباركاً ، فيه الهدى والرحمة والبركة (٢٢) .

العبادة ، الهدف الرئيسي لبناء المساجد:

﴿ وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ (٢٣) .

المراد بالدعاء في هذه الآية الكريمة العبادة ، فقد ورد الدعاء بمعنى العبادة أيضاً في الآية : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (٢٤) .

اما المراد بالمساجد في الآية ، فهناك اختلاف بين المفسرين ؛ فقال بعض ان المساجد في الآية جميع الأماكن التي يسجد فيها لله ، ومن مصاديقه المسجد الحرام وسائر المساجد (٢٥) . وقال بعض آخر ان المساجد هي أماكن السجود السبعة ، مستندين على رواية من الامام النقي عليه السلام في ان المقصود بالمساجد الأعضاء السبعة للجسم التي توضع على الأرض عند السجود (٢٦) . وقال المييدي : ان المراد بالمساجد الأماكن التي بنيت للصلاة والذكر . وروي عن قتادة في تفسير هذه الآية ان اليهود والنصارى كانوا يشركون بالله عند دخولهم معابدهم ، ولهذا قال تعالى للمؤمنين : ﴿ وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ (٢٧) .

يستفاد من مجموع آراء المفسرين في هذا المجال ان المراد من المساجد هو الأمكنة التي تبني لعبادة الله ، ومن مصاديقها المسجد الحرام وغيره من المساجد ، اما التفسير الذي يشير إلى أنها المواضع السبعة في الانسان التي توضع على الأرض عند السجود ، فربما اريد منه التوسعة في مفهوم الآية .

ولأهمية المساجد وفضلها على بقية الأماكن ، فقد نسبها الله تبارك وتعالى

(٢١) الطبرسي، مجمع البيان

فسي تفسير القرآن: ٢٠٤.

انتشارات اسلامية، طهران،

١٣٩٠ هـ.ق.

(٢٢) السيد محمد حسين

الطباطبائي، الميزان في

تفسير القرآن: ٥٨٢:٣، طهران.

(٢٣) الجن: ١٨.

(٢٤) المؤمن: ٦٠.

(٢٥) الميزان: ٢٠: ٢٠٦.

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) رشيد الدين المييدي،

كشف الاسرار وعدة الابرار

١٠: ٢٥٦، باهتمام علي اصغر

حكمت، طهران، ١٣٣٩.

إليه ، ليميزها عن الأماكن الأخرى ، ذلك ان اختصاص المساجد بالله المنزه عن الصفات الحسية ينطوي على بعد رمزي ، وإشارة إلى انها موضع اهتمام خاص من لدنه تعالى . وعليه فان الأعمال التي تُمارس فيها يجب ان تكون مرتبطة بالله تعالى ، وان لا يطرح فيها أي أمر سوى ما يتعلق بمصالح المسلمين ، كما ان النية في تأسيسها ينبغي ان لا تخرج عن هذا الاطار ، اي في سبيل الله ، وفي سبيل إعلاء كلمة التوحيد لا غير .

التوحيد والتقوى أساسان لقيام المساجد :

﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن اردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحضون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴿ (٢٨) .

(٢٨) التوبة : ١٠٧-١٠٨ .

نزلت هاتان الآيتان في رهط من المنافقين اقدموا على بناء مسجد في المدينة عرف فيما بعد بمسجد ضرار بتحريك من أبي عامر النصراني لتحقيق اهداف مشؤومة ومخططات شيطانية ، حيث ألمه ظهور الاسلام في المدينة بهذه القوة والقدرة وتأسيس الدولة الاسلامية فيها ، فاتصل بمنافقي الاوس والخزرج من أجل توجيه الضربة للاسلام ، فلما عرف رسول الله ﷺ بنواياه لاحقه ، إلا أنه فر من المدينة إلى مكة فالتأفف ومن ثم إلى الشام ، ليقود من هناك المنافقين في المدينة ، فكتب اليهم : ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجداً فاني ذاهب إلى قيصر فأتي بجند الروم فأخرج محمداً وأصحابه . فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء ، فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ! إننا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشتائية ، وإننا نحب ان تأتينا ، فتصلي لنا فيه ، فقال ﷺ : « اني على جناح سفر ، وحال شغل ، » وقال ايضاً « ولو قد قدمنا ان شاء الله لأتيناكم ، فصلينا لكم فيه . » فلما عاد من تبوك ، أتوه ، ودعوه للصلاة فيه ، فدعا بقميصه ليلبسه فأتاهم ، فنزل عليه القرآن واخبره خبر مسجد ضرار ، وما هموا به ، فدعا رسول الله ﷺ

جماعة من أصحابه وأمرهم بهدم المسجد وحرقه . وإن يتخذ كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة (٢٩) .

يفهم من هذه الآيات ان مؤسسي هذا المسجد كانوا يتوخون تحقيق اهداف مشؤومة تحت واجهة هذا الاسم المقدس ، لكن الله سبحانه وتعالى امر رسوله ﷺ بعدم القيام في هذا المسجد الذي يراد منه تفريق المسلمين ونشر الكفر والالحاد ، وطلب منه القيام في المسجد الذي يؤسس على التقوى والهدف الالهي . ويعتقد المفسرون ان المقصود هو مسجد قبا الذي ورد لمقارنته بمسجد ضرار (٣٠) ، وثمة احتمال آخر مبني على بعض الروايات الواردة عن رسول الله ﷺ (٣١) ان المقصود هو مسجد النبي ﷺ ، ولكن بلحاظ التعبير الوارد في الآية : «اول يوم » فان الاحتمال الاول هو الأنسب باعتبار ان مسجد قبا هو أول مسجد أُسس بعد الهجرة النبوية المباركة .

ثم ان القرآن الكريم يشير إلى خصيصة أخرى لهذا المسجد : ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴾ ، حيث اختلف المفسرون بالمراد من الطهارة في الآية : فمنهم من قال بانها الطهارة الظاهرية ، ومنهم من اشار إلى أنها الطهارة المعنوية (٣٢) . فهناك بعض الروايات التي تؤيد المفهوم الأول ، أي الطهارة الظاهرية (٣٣) ، وبالطبع فان هذه الروايات لا تدل على انحصار مفهوم الآية في هذا المصداق ، بل يمكن ان يكون المعنى الطهارة من كل دنس ظاهراً كان أو باطناً .

ومهما يكن من أمر ، فاننا نستنتج من البحث ان المسجد يجب ان يؤسس على التقوى والطهارة باعتباره مركزاً لتبلور العبودية والدعاء والخضوع لله تعالى ومحيطاً للطهارة والقداسة ، ومحطة اشعاع للايمان والتقوى ، وأي بناء يقام تحت اسم المسجد لتحقيق اغراض دينية ، فيجب السعي لهدمه ، كما أمر رسول الله ﷺ بهدم مسجد ضرار واحرقه .

منع المشركين من بناء المساجد :

﴿ ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ﴾ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم

(٢٩) علي الواحدي

النیشابوري، اسباب النزول :

١٧٥ - ١٧٦، انتشارات بنیاد

علوم اسلامي، طهران: ابن

هشام، السيرة النبوية ١ :

٥٣٠، مبصر ، ١٣٥٥ هـ ق .

الواقدي المغازي ٣ - ٧٩٠ -

٧٩٧، انتشارات دانشگاهها ،

طهران ١٣٦٦ هـ ش .

(٣٠) الميزان ٩ : ٦٢٢ .

(٣١) تفسير الرازي ٢٥٣: ٥ .

(٣٢) مجمع البيان : ٥ : ٧٣ .

(٣٣) الميزان ٩ : ٦٢٢ .

الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ﴿٣٤﴾ .

(٣٤) التوبة : ١٧ - ١٨ .

قال بعض المفسرين في سبب نزول الآية ، ان الآية الاولى نزلت في شأن سدنة الكعبة بني عبد الدار الذين حاولوا البقاء في منصبهم بالرغم من أنهم لم يؤمنوا بالدين الحق (٣٥) .

(٣٥) كشف الاسرار : ٤ : ١٠٢ .

وقال آخرون : إنها نزلت في العباس بن عبد المطلب قبل اسلامه حينما كان يعدد مفاخره في عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج يوم بدر بعد ان عاتبه المسلمون على كفره (٣٦) .

(٣٦) تفسير الرازي : ١٤٠ : ٥ .

على أية حال ، فان الآية تبين حكماً كلياً ، مفاده أنه لا يمكن للمشركين المعارضين للاسلام المبادرة باعمار مساجد الله ، وانما هي مسؤولية المؤمنين بالله ورسوله .

بالنسبة للآية الثانية ، يعتقد بعض المفسرين ان المراد بالاعمار ليس التعمير الحسي والظاهري فحسب ، بل تدل ايضاً على الاعمار المعنوي بالحضور في المساجد والصلاة فيها وممارسة الأعمال النافعة الاخرى داخلها ، كما قال الميبيدي : عمارة المسجد دخوله والوقوف فيه ، وقيل : عمارته رفع بنائه واصلاح ما استلزم منه ، وقيل : عمارته التعبد فيه والصلاة والطواف (٣٧) .

(٣٧) كشف الاسرار : ٤ : ١٠٣ .

وقال الزمخشري في تفسير هذه الكلمة : والعمارة تتناول رَمَ ما استمر منها وقمّها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ، ومن الذكر درس العلم بل هو أجلّه وأعظمه ، وصيانتها مما لم تبين له المساجد من أحاديث الدنيا (٣٨) .

(٣٨) الزمخشري الكشاف : ٦ .

ثم أورد الزمخشري رواية عن رسول الله ﷺ فيها دلالة على الاعمار المعنوي ، جاء في جانب منها : « ان بيوتي في الأرض المساجد ، وان زواري فيها عمارها ... » (٣٩) . وفي رواية اخرى عن النبي ﷺ وردت في ذيل هذه الآية فسرت العمارة بالحضور المتتابع في المساجد : « إذا رأيتم الرجل يعتاد على المسجد أو يتعاهد المسجد فاشهدوا عليه بالايمان » (٤٠) .

(٤٠) محمد رشيد رضا، المنار

٢١٤ : ١ ، دار المعرفة بيروت .

تأسيس المساجد وعمارتها هم المؤمنون بالله واليوم الآخر والمقيمون الصلاة
والمؤتو الزكاة الذين لا يخشون إلا الله .

المسجد مركز الايمان والهداية :

﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يُسَبِّحُ له فيها بالغدو
والأصال ... ﴾ (٤١) .

(٤١) النور : ٣٦ .

قال الزمخشري في ذيل الآية الكريمة : « في بيوت » يتعلق بما قبله ، أي :
كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد (٤٢) .

(٤٢) الكشف : ٣ : ٦٨ .

وقال العلامة الطباطبائي (٤٣) : « في بيوت » متعلق بقوله في الآية السابقة :
« كمشكاة » أو قوله : « يهدي الله » الخ ، والمال واحد ، ومن المتيقن من هذه البيوت
المساجد فانها معدة لذكر اسمه فيها محضة لذلك ، وقد قال تعالى : ﴿ ومساجد
يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾ (٤٤) .

(٤٤) الحج : ٤١ .

وورد في كشف الاسرار في ذيل هذه الآية ، ان ابن عباس قال : المساجد بيوت
الله في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض (٤٥) .

(٤٥) كشف الاسرار : ٦ : ٥٣٦ .

ثم يقول المبيدي في تفسير معنى « الرفع » في الآية : المراد من « تُرْفَعُ » رفع
الاقدار وليس رفع الأبنية ، لأن من الكراهية في الشرع رفع جدران المساجد ، وقد
جاء في الخبر : « وأمرنا أن نبني المساجد جمًا » . ورفع الاقدار هو تعظيمها ، وعدم
التحدث فيها بما لا يليق ، وذكر اسم الله دون غيره ، كما قال تعالى : ﴿ ويذكر فيها
اسمه ... ﴾ (٤٦) . اذن ، فالمساجد هي من المصايدق البارزة للبيوت .

(٤٦) المصدر نفسه : ٦ : ٥٣٧ .

المسجد قاعدة ضد الظلم والاستغلال :

﴿ ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ... ﴾ (٤٧) .

(٤٧) البقرة : ١١٤ .

اعتبر بعض المفسرين نزول هذه الآية مرتبطاً بحادث الحديبية ، حينما رفض
المشركون دخول النبي ﷺ وأصحابه إلى مكة (٤٨) . وقال آخرون : ان الآية تشير
إلى خراب بيت المقدس (٧٠ سنة بعد السيد المسيح) حين دخول تيطس الروماني
بيت المقدس حتى صارت المدينة تلاً من التراب ، وهدمه هيكلاً سليمان عليه السلام ،

(٤٨) المنار : ١ : ٤٣٦ .

(٤٩) المصدر نفسه .

واحراقه ما كان عند اليهود من نسخ التوراة (٤٩) .

وايّا كان ، فان ظاهر الآية لا يدل على حادثة محددة ، ولا توجد أية قرائن لمثل هذه الآراء ، فالآية تبين حقيقة كلية تشمل الاحداث الماضية كخراب بيت المقدس ، والحاضرة (زمان نزول الآية) كحدث الحديبية ، والتالية ، كتخريب المساجد على يد الصليبيين القرامطة ، وعليه يفهم من الآية ان أهل الشرك والتفاق عدّوا هذه المراكز خطراً حقيقياً لانها كانت على مر التاريخ قواعد للوحدة والعبودية وحصوناً للجهاد ضد الفساد والطاغوت ، ولهذا سعى اعداء الله دائماً وبشهادة التاريخ إلى التقليل من شأن المساجد وتحجيم اهميتها بمختلف المخططات والدسائس . وعلى هذا الاساس اعتبر القرآن الكريم الدفاع عن حرمة المساجد وقداستها احد أهم دلائل تشريع الجهاد : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ (٥٠) .

(٥٠) الحج : ٤٠ .

المسجد في الحديث :

ثمة روايات كثيرة وردت عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام في أهمية المساجد ومكانتها الرفيعة ، ولزوم احترامها ، واعمارها بالحضور المستمر فيها لأداء الصلاة وطلب العلم وغير ذلك من الأمور المفيدة . نشير فيما يلي إلى بعضها :

المساجد بيوت الله على الأرض :

روي عن رسول الله ﷺ ان الله سبحانه قال : « الا ان بيوتي في الأرض المساجد تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض » (٥١) .

المساجد مجالس الانبياء وبيوت المتقين :

قال رسول الله ﷺ : « المساجد مجالس الأنبياء » (٥٢) ، وقال ﷺ : « المساجد بيوت المتقين ، ومن كانت المساجد بيته ضمن الله له بالروح والراحة والجواز على الصراط » (٥٣) ، وقال ﷺ أيضاً : « خير البقاع المساجد » (٥٤) .

احترام المسجد :

قال الامام الصادق عليه السلام ليونس بن يعقوب : « ملعون ملعون من لم يوقر المسجد ،

(٥١) الميرزا حسين النور

الطبرسي ، مستدرك الوسائط

٣ : ٣١٣ ، تحقيق مؤسسة

البيت لاهياء التراث ، مطب

سعيد ، مشهد ، ١٤٠٧ هـ ق

(٥٢) المصدر نفسه : ٣٥٩ .

(٥٣) المصدر نفسه : ٣٥٩ .

(٥٤) المصدر نفسه : ٥٥٤ .

أتدري يا يونس لم عظم الله تعالى حق المساجد وانزل هذه الآية : ﴿ وَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ ؟ كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم اشركوا بالله تعالى ، فأمر الله سبحانه نبيه أن يوحد الله تعالى فيها ويعبده ^(٥٥) . وجاء في حديث آخر للامام الصادق عليه السلام : « انما أمرنا بتعظيم المساجد لانها بيوت الله في الأرض » ^(٥٦) .

فضيلة بناء المسجد :

قال النبي صلى الله عليه وآله : « من بنى مسجداً ولو مَفْخَصَ قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » ^(٥٧) .

وقال صلى الله عليه وآله : « من بنى مسجداً في الدنيا اعطاه الله بكل شبر منه (أو قال بكل ذراع منه) مسيرة اربعين ألف عام مدينة من ذهب وقضة ودر وياقوت وزمرد وزبرجد ولؤلؤ » ^(٥٨) .

تلاوة القرآن وطلب العلم في المسجد :

ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « ما جلس قوم في مسجد من مساجد الله تعالى يتلون كتاب الله يتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده » ^(٥٩) .

وقال صلى الله عليه وآله : « انما نصبت المساجد للقرآن » ^(٦٠) .

وورد في كتب حديث أهل السنة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « من غدا او راح الى المسجد لا يريد غيره ليعلم خيراً أو يعلمه ثم رجع الى بيته الذي خرج منه كان كالمجاهد في سبيل الله رجع غانماً » ^(٦١) .

وروي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم قالوا : « كنا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله حلقاً نتحدث إذ خرج علينا رسول الله من بعض حجره فنظر إلى الحلق ثم جلس إلى أصحاب القرآن فقال : بهذا المجلس أمرت » ^(٦٢) .

وقيل ان النبي صلى الله عليه وآله خرج من منزله يوماً ، فرأى في المسجد مجلسين ، أحدهما يتداول أمور الدين ، والآخر منهمك في الدعاء ، فقال : « كلا المجلسين الى خير ؛ اما هؤلاء فيدعون الله ، واما هؤلاء فيتعلمون ويفقهون الجاهل ، هؤلاء أفضل . بالتعليم أرسلت » ^(٦٣) .

(٥٥) اسماعيل المعزني ، جامع الاحاديث ٤ : ٥٢ ، مطبعة مهر ، قم .

(٥٦) البحر العاملي ، مسائل الشيعة ٥٦٣ : ٥٦٣ ، دار احياء التراث

لعربي ، بيروت .

(٥٧) مستدرک الوسائل ٣٦٦ : ٣٦٦ ،

(٥٨) جواهر الكلام ١٤ : ٧٢ .

(٥٩) مستدرک الوسائل ٣٦٣ : ٣٦٣ ،

(٦٠) جواهر الكلام ١٤ : ١١٢ .

(٦١) مالك بن انس ، موطأ : ٥٦ ، تعليق وتحقيق

سيد اللطيف ، لجنة احياء تراث الاسلامي ، مصر ،

١٣٨٨ هـ .

(٦٢) الكاندهلوي ، حياة صحابة ٣ : ١٠٦ ، دار القلم ،

بيروت ١٩٦٨ .

(٦٣) زين الدين العاملي ، منية مرید : ٢٦ ، اعداد السيد أحمد

حسيني ، مجمع النخائر اسلامية ، مطبعة الخيام

قم ، ١٤٠٢ هـ .

فضل زيارة المساجد :

روي عن الرسول ﷺ أنه قال : « من مشى الى مسجد من مساجد الله تعالى فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع الى منزله عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات » (٦٤).

وقال ﷺ : « بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليل بنور ساطع يوم القيامة » (٦٥).

وقال الامام الصادق عليه السلام : « من مشى الى المسجد لم يضع رجلاً على رطب ولا يابس إلا سبحت له الأرض الى الأرضين السابعة » (٦٦).

الحضور المستمر في المسجد :

عن الامام علي عليه السلام قال : « من اختلف الى المساجد أصاب احدى الثمان : أخاً مستفاداً في الله ، أو علماً مستطرفاً ، أو آية محكمة ، أو يسمع كلمة تدل على هدى ، أو رحمة منتظرة ، أو كلمة ترذه عن ردى ، أو يترك ذنباً خشية أو حياء » (٦٧).

فضل الجلوس في المسجد :

قال امير المؤمنين عليه السلام : « الجلسة في الجامع خير لي من الجلسة في الجنة ، لان الجنة فيها رضا نفسي والجامع فيه رضائي » (٦٨).

وعن عثمان بن مظعون أنه قال لرسول الله ﷺ : اني اردت ان أترهب . قال : « لا تفعل يا عثمان فان ترهب امتي القعود في المساجد انتظار الصلاة بعد الصلاة » (٦٩).

النهى عن ترك المساجد :

قال الامام علي عليه السلام : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد إلا أن يكون له عذر أو به علة . فقيل : من جار المسجد يا امير المؤمنين ؟ فقال : من سمع النداء » (٧٠).

وروي أنه رفع إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة أن قوماً من جيران المسجد لا يشهدون الصلاة جماعة في المسجد ، فقال عليه السلام : « ليحضرن معنا صلاتنا جماعة ، أو ليتحولن عنا ولا يجاورونا ولا تجاورهم » (٧١).

وقال الامام الصادق عليه السلام : « شكت المساجد الى الله تعالى الذين لا يشهدونها من جيرانها ، فأوحى الله اليها : وعزتي وجلالي لا قبلت لهم صلاة واحدة ، ولا

(٦٤) يوسف البحراني،

الحقائق الناطرة في أحكام

العترة الطاهرة ٧ : ٣٦٤ ، دار

الكتب الاسلامية ، النجف ،

١٣٧٩ هـ.

(٦٥) مستدرك الوسائل

٣ : ٣٦٤.

(٦٦) وسائل الشيعة ٣ : ٤٨٠ .

(٦٧) المصدر نفسه : ٤٨٠ .

(٦٨) المصدر نفسه : ٤٨٢ .

(٦٩) المصدر نفسه : ٨٥ .

(٧٠) مستدرك الوسائل

٣ : ٣٥٦.

(٧١) وسائل الشيعة ٣ : ٤٧٩ .

أظهرت لهم في الناس عدالة ولا نالتهم رحمتي ولا جاوروني في جنتي» (٧٢).

(٧٢) جواهر الكلام ١٤ : ١٣٨ .

عمارة المساجد ونظافتها :

من وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر : « ... يا أبا ذر من أجاب داعي الله وأحسن عمارة مساجد الله كان ثوابه من الله الجنة . فقلت : كيف يعمر مساجد الله ؟ قال : لا ترفع الاصوات فيها ، ولا يخاض فيها بالباطل ، ولا يشتري فيها ولا يباع ، واترك اللغو مادمت فيها » (٧٣) .

(٧٣) وسائل الشيعة ٣ : ٥٠٧ .

وروي عن النبي ﷺ في نظافة المساجد : « من قَمَّ مسجداً كتب الله له عتق رقبة ومن أخرج منه ما يُقْدَى عيناً كتب الله عز وجل له كفلين من رحمته » (٧٤) .

(٧٤) المصدر نفسه ٣ : ١١٥ .

إضاءة المساجد :

قال رسول الله ﷺ : « من اسرج في مسجد من مساجد الله سراجاً لم تزل الملائكة وحمة العرش يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوء من ذلك السراج » (٧٥) . وقال ﷺ : « من أحب أن لا يظلم لحده فليثور المساجد » (٧٦) .

(٧٥) جواهر الكلام ١٤ : ٨٨ .

(٧٦) مستدرک الوسائل

٣٨٦ : ٣ .

تعطير المساجد :

روى الإمام علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال : « جنبوا مساجدكم مجانينكم ... إلى أن قال : وجفروها في كل سبعة أيام » (٧٧) . وورد في رواية أخرى أنه ﷺ قال : « وجفروها في الجمع » (٧٨) .

(٧٧) المصدر نفسه .

(٧٨) السيد محمد مهدي

الكاظمي، تحفة المساجد في

أحكام المساجد : ٥٠ ، بغداد ،

١٣٧٦ هـ . ق .

بعض الاحكام الفقهية للمسجد :

وضع الفقه الاسلامي احكاماً للمساجد حفظاً لقدسيتها وحماية لحرمتها ، وقد أدرجت هذه الاحكام في النصوص الفقهية تحت عنوان احكام المساجد على ثلاثة محاور : المكروهات والمستحبات والمحرمات ، حيث تناولها الفقهاء بالشرح والتفصيل والاستدلال ؛ منها ما يتعلق بكيفية بناء المساجد ، ومنها بآداب الدخول اليها ، وبعضها الآخر حول ما ينبغي اجتنابه فيها .

وإذ يتطلب ذكر جميع الاحكام المتعلقة بالمساجد بحثاً مطولاً وشرحاً مسهباً ودراسة فقهية مستفيضة ، فاننا نقتصر في بحثنا هذا على بعض الجوانب ، وتناول الموضوع باختصار .

آداب الدخول إلى المسجد :

يلزم المرء حينما ينوي الذهاب إلى المسجد والحضور في بيت الله أن يسعى ما أمكنه إلى أن يعرف آداب الحضور ، لأن العمل بالقيم والآداب مع المعرفة تقرب العبد إلى الله تعالى أكثر مما لو كان عملاً دون معرفة .

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : « إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنك قصدت باب بيت ملك عظيم لا يطأ بساطه إلا المطهرون ، ولا يؤذن بمجالسة مجلسه إلا الصديقون . وهب القدم إلى بساط خدمة الملك فانك على خطر عظيم ان غفلت هيبة الملك ، واعلم أنه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك ، فان عطف عليك برحمته وفضله قبل منك يسير الطاعة ، وأجرى عليها ثوباً كثيراً ، وان طالبك باستحقاقه الصدق والاخلاص عدلاً بك ، حجبت ورد طاعتك وان كثرت ، وهو فعال لما يريد .

واعترف بعجزك وتقصيرك وفقرك بين يديه ، فانك قد توجهت للعبادة له ، والمؤانسة ، واعرض اسرارك عليه ، ولتعلم أنه لا تخفى عليه اسرار الخلاق اجمعين وعلاقيتهم ، وكن كأفقر عباده بين يديه ، وأخل قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك فانه لا يقبل إلا الأطهر والأخلص .

وانظر من أي ديوان يخرج اسمك ، فان ذقت من حلاوة مناجاته ولذيت مخاطباته وشربت بكأس رحمته وكراماته من حسن اقباله عليك واجابته ، فقد صلحت لخدمته ، فادخل ، فلك الأمن والأمان... » (٧٩) .

اذن ، يفترض بالانسان ان يسعى إلى تحصيل الآداب الباطنية ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ليتوفر على استعداد الحضور في هذا المكان المقدس . فضلاً عن ذلك يتعين على المرء ان يجد ويجتهد في مراعاة الآداب الظاهرية للمسجد ومنها :

١ - الوضوء :

قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : « ألا ان بيوتي في الأرض المساجد ... الا طوبى لعبد توضأ في بيته ثم زارني في بيتي ، ألا ان على المزور كرامة الزائر » (٨٠) .
وورد في الحديث : « لا تدخل المساجد إلا بالطهارة » (٨١) .

(٧٩) المجلسي ، بحار الأنوار

٨٢ : ٣٧٤ ، مؤسسة الوفاء

بيروت ١٤٠٣ هـ . ق .

(٨٠) مستدرک الوسائل

٣ : ٣٥٢ .

(٨١) المصدر نفسه : ٣٨٠ .

٢ - اللباس :

روي عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير الآية الكريمة : ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ أنه قال : « اي خذوا ثيابكم التي تزينون بها للصلاة في الجمعيات والاعباد » ^(٨٢).

(٨٢) وسائل الشيعة ٣ : ٢٢٣ .

وروي ان علي بن الحسين عليه السلام استقبله مولى له في ليلة باردة وعليه جبة خز ومطرف خز وعمامة خز وهو متغلف بالغالية ، فقال له : جعلت فداك في مثل هذه الساعة على هذه الهيئة . إلى أين ؟

فقال : « الى مسجد جدي رسول الله صلى الله عليه وآله » ^(٨٣).

(٨٣) المصدر نفسه : ٥٠٣ .

٣ - الدخول :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « تعاهدوا نعالكم عند ابواب مسجدهم » ^(٨٤) .
وقال الامام الصادق عليه السلام : « اذا دخلت المسجد فادخل رجلك اليمنى وصل على النبي وآله » ^(٨٥).

(٨٤) المصدر نفسه : ٥٠٥ .

(٨٥) مستدرک الوسائل

٤ - الدعاء :

٣٩٢:٣

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه طلب قراءة الدعاء التالي عند دخول المسجد :
« بسم الله وعلى الله توكلت ولا حول ولا قوة إلا بالله » ^(٨٦) .
وقالت فاطمة الزهراء عليها السلام : ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقرأ الدعاء التالي عند دخول المسجد : « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك » ^(٨٧) .

(٨٦) المصدر نفسه : ٣٩٢ .

(٨٧) وسائل الشيعة ٣ : ٥١٨ .

٥ - صلاة التحية :

من آداب المسجد الاخرى اقامة صلاة التحية ، فقد روي عن أبي ذر ، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « يا أبا ذر ! ان للمسجد تحية ... ركعتان تركعهما » ^(٨٨) .

(٨٨) المصدر نفسه .

محظورات المسجد :

ثمة امور ينبغي اجتنابها في المسجد باعتباره بيت الله ، وهي اما ان تحمل حكم الحرمة أو الكراهة ، وفيما يلي نتطرق إلى أهم الاحكام الواردة في هذا الباب بمحوريه المحرم والمكروه :

١- ادخال النجاسة الى المسجد :

اجمع الفقهاء على حرمة ادخال الاشياء النجسة إلى المسجد لو أدى الأمر إلى هتك حرمة ، كما استدل على ذلك بالآية الكريمة : ﴿ انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾ ^(٨٩) ، حيث يفهم من الآية أنه من غير الجائز السماح للكفار والمشركين بدخول المساجد . كما ان من المحرم تنجيس أرض المسجد وسقفه وجدرانه وأثاثه ، وفي حال تنجسها ينبغي تطهيرها فوراً ^(٩٠) ، استدلالاً بالآية الكريمة ^(٩١) : « وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهروا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » ^(٩٢) .

ويحرم أيضاً لبث الجنب والحائض في المسجد ، استناداً إلى الآية التالية والرواية التي وردت في ذيلها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا... ﴾ ^(٩٣) يقول جميل : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجنب يجلس في المسجد ، فقال : « لا ، ولكن يمر فيها كلها إلا المسجد الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » ^(٩٤) .

٢- تزيين المساجد بالذهب ونقشها بالصور :

قال العلامة الحلي في سبب حرمة تذهيب المساجد : لأن ذلك لم يفعل في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا في زمن الصحابة فيكون إحداثه بدعة ^(٩٥) .

كما وردت روايات بطرق العامة بهذا الشأن ، استدلل بها بعض الفقهاء على الحرمة ^(٩٦) . وقد حرّم معظم الفقهاء الصور في المساجد ، فقال المحقق الحلي : ويحرم زخرفتها ونقشها بالصور ^(٩٧) . وقال الشهيد الثاني : ولا ريب في تحريم تصوير ذي الروح في غير المساجد ففيها أولى ^(٩٨) .

وقد احتاط بعض الفقهاء في نقش المساجد بصور الأحياء ، حيث جاء في العروة الوثقى : بل الأحوط ترك نقشه بالصور ^(٩٩) .

وهناك أحكام أخرى وردت في النصوص الفقهية تحت عنوان محرمات المساجد ، نعرض عن ذكرها تجنباً للاطالة .

٣- البيع والشراء :

من الأمور التي ينبغي اجتناب ممارستها في المساجد البيع والشراء ، فقد

(٨٩) تحفة الساجد في احكام

المساجد : ٦٨ .

(٩٠) السيد محمد كاظم

الطباطبائي، العروة الوثقى :

٢١٢ ، تعليق الامام

الخميني رحمته الله ، مكتبة الوجداني،

قم ، ١٤٠٠ هـ .

(٩١) تحفة الساجد في احكام

المساجد : ٦٨ .

(٩٢) البقرة : ١٢٥ .

(٩٣) محمود شهابي، ادوار

فقه (ادوار الفقه) ١ : ٦١ ،

وزارة الثقافة والارشاد

الاسلامي ، طهران ، ١٣٦٨

هـ .ش .

(٩٤) وسائل الشريعة ١ : الباب

٢٠١ ح ٢ .

(٩٥) تحفة الساجد في

احكام المساجد : ٨٧ .

(٩٦) جواهر الكلام ١٤ : ٨٩ .

(٩٧) المحقق الحلي، شرائع

الاسلام ١ : ١١٧ ، تحقيق

عبدالحسين محمد علي بقال ،

انتشارات اسماعيليان ، قم

١٤٠٩ هـ .ق .

(٩٨) زين الدين العاملي ،

الروضة البهية في شرح

روى الامام علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ مَجَانِينَكُمْ وَصَبِيَانَكُمْ »
إلى ان قال : « وَبِيعَكُمْ وَشَرَاءَكُمْ ... » (١٠٠).

وقال الامام الصادق عليه السلام : « جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ الشَّرَاءَ وَالْبَيْعَ ... » (١٠١).

كما نصّت كتب الفقه على كراهة هذا الأمر ، فقد قال العلامة الحلي : « فمحل البيع والشراء وسائر المعاملات الاسواق لا المساجد لأنها بنيت للعبادة لا غير » (١٠٢).

٤ - انشاد الشعر :

من مكروهات المسجد أيضاً ، انشاد الشعر فيه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من سمعتموه ينشد الشعر في المساجد فقولوا فض الله فاك . انما تُصِبت المساجد للقرآن » (١٠٣).

وبطبيعة الحال ، فان الكراهة لا تشمل انشاد الاشعار المفيدة في باب الموعظة والحكمة والنصيحة وامثال ذلك ، فقد نقل الشهيد الثاني عن الشهيد الأول قوله : وليس ببعيد حمل اباحة انشاد الشعر على ما يقل منه وتكثر منفعته ؛ كبيت حكمة أو شاهد على لغة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وشبهه ، لأنه من المعلوم ان النبي صلى الله عليه وآله كان يُنشد بين يديه البيت والابيات من الشعر في المسجد ولم ينكر ذلك (١٠٤).

٥ - حديث الدنيا :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَأْتُونَ الْمَسَاجِدَ فَيَقْعِدُونَ حُلُقًا زَكَرَهُمْ لِلدُّنْيَا وَحُبَّ الدُّنْيَا لَا تُجَالِسُوهُمْ فَلَيْسَ لِلَّهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ » (١٠٥).

وجاء في رواية أخرى : « الحديث للبغي في المسجد يأكل الحسنات كما يأكل البهيمة الحشيش » (١٠٦).

وذكرت النصوص الفقهية كراهة مثل هذا العمل ، فقد ذكر صاحب العروة : ويكره التكلم بأمور الدنيا (١٠٧).

٦ - رفع الصوت :

اجمع الفقهاء على كراهة رفع الصوت في المساجد ، قال صاحب العروة في ذلك : ويكره رفع الصوت إلا في الأذان ونحوه (١٠٨).

اللمعة دمشقية ١ : ٥٥٤.

جامعة النجف الدينية.

١٣٩٨ هـ ق.

(٩٩) العروة الوثقى : ٢١٢.

(١٠٠) مستدرک الوسائل

٣ : ٣٨١.

(١٠١) وسائل الشريعة ٣ : ٥٠٧.

(١٠٢) تحفة الساجد في احكام

المساجد : ١١٧ ، نقلاً عن

المنتهى : ٣٨٨.

(١٠٣) المصدر نفسه ١٤١.

(١٠٤) الروضة البهية ١ : ٥٤٨.

(١٠٥) مستدرک الوسائل

٣ : ٣٧١.

(١٠٦) تحفة الساجد في احكام

المساجد : ١٧٧.

(١٠٧) العروة الوثقى : ٢١٣.

(١٠٨) المصدر نفسه.

وقد استدلل على هذا الأمر ببعض الروايات ، منها ماورد عن أبي ذر أنه سأل رسول الله ﷺ عن كيفية اعمار المساجد ، فقال ﷺ : « لا ترفع فيها الاصوات ولا يخاض فيها بالباطل ... » (١٠٩) .

(١٠٩) بحار الأنوار ٣ : ٣٧ .

٧ - تلويت المسجد بالبصاق والنخامة :

قال رسول الله ﷺ : « من وقر المسجد من نخامة لقي الله تعالى يوم القيامة ضاحكاً قد أعطي كتابه بيمينه » (١١٠) .

(١١٠) مستدرک الوسائل

٣٧٥ : ٣

٨ - النوم في المسجد :

قال معظم الفقهاء بكرامة النوم في المسجد ، لانه يتنافى مع وجوب تعظيم المساجد الأمر الذي اشارت اليه الروايات ، ويؤدي إلى هتك حرمة المسجد . قال النبي ﷺ : « من نام في المسجد بغير عذر ابتلاه الله بلاء لا زوال له » (١١١) .

(١١١) المصدر نفسه ٣ : ٣٧٢ .

وروي عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير الآية : ﴿ لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ... ﴾ ، ان المراد من السكر النوم (١١٢) .

(١١٢) مستدرک الوسائل : ١٥٨ .

وبما ان المراد بالصلاة في هذه الآية المسجد (١١٣) حسب مفاد الروايات وقول اكثر المفسرين ، فيُستنبط من الآية أنه نُهي عن النوم في المسجد .

(١١٣) المصدر نفسه : ١٥٩ .

قال الإمام الصادق عليه السلام :

عَلَيْكُمْ بِتَبَاهِ الْمَسَاجِدِ
فَانْحَابُوا إِلَيْهَا فِي الْأَرْوَاحِ

بحار ٨٣ : ٣٨٤

الأقتصاد الإسلامي

الأسس والفهم العقائدي والشرعي

من فقه مدرسة

أهل البيت

* الشيخ

محمد علي التسخيري

مقدمة :

من الواضح أن أي نظام يُراد له أن يحقق أهدافه لابد أن يكون واقعياً
 فإذا اريد للنظام أن يطبق في حياة الانسان وخصوصاً على المستوى
 الطويل المدى فلا بد له أن يخدم أهداف الانسان وينسجم مع مكوناته الفطرية .
 ولا يتم ذلك إلا من خلال معرفة واضع هذا النظام بكل خصائص الانسان الفريد ،
 والانسان المجتمع ، وعلاقاتهما مع بعضهما ، والعلاقات الحقيقية بينهما وبين
 الطبيعة ، والمجرى التاريخي ، والحاجات الاساسية التي تتطلبها هذه العلاقة ،
 واسلوب اشباع هذه الحاجات لتحقيق سير انساني تكافلي على خط تحقيق هدف
 الخلقة الانسانية .

اضف إلى كل هذا أن الاشباع المذكور للحاجات يجب ان يتم بطريقة متوازنة
 لا تُخل بالحاجات الاخرى التي تشبعها نظم أخرى بل يلحظ جانب التوازن الحكيم
 ويدرس موقع ذلك النظام من كل النظم الاخرى التي تشكل جميعاً اجزاء للنظام
 الحياتي العام .

فإذا افترضنا تحقق هذا القدر المطلوب في واضع النظام ، انتقلنا إلى مرحلة
 تالية في مجال تحقيق (الواقعية) المطلوبة ، وهي قدرة هذا النظام على تحقيق
 الارضية المساعدة له ، ونعني بها مدى ضمان انسجامه مع ما يعتقده المجتمع

(موضوع التطبيق)، ومدى انسجام هذا المعتقد مع القيم العاطفية المطروحة فيه وبالتالي مدى ضمان التربية المطلوبة لتحقيق انقياد اجتماعي لتلك الرؤى العقائدية وهذه القيم العاطفية .

وإلا فهمهما كان النظام واقعياً ودقيقاً وحكيماً في عملية فهم الواقع ، وتفهم حاجاته والدقة في إشباعها ، فإنه سيبقى عاجزاً لو لم تسبقه حركة عقائدية تُعطي المجتمع أسس المواقف التي يجب أن يتخذها من الوجود ، والحياة ، والانسان نفسه ، فتحقق له (عنصر الايمان) وتنجيه من أهم الأمراض الحضارية وهي : مرضُ الالحاد أي عدم الايمان ، ومرض الشرك وهو الايمان المفرط بالآلهة الكاذبة ، ومرض الشك وهي حالة تضاهي هذه الحالات القاتلة وما لم يتحقق ذلك فلن نضمن تكوّن العنصر الأول لأرضية تطبيق النظام وكذلك ما لم تكن الدوافع العاطفية التي تركزها التربية منسجمةً تمام الانسجام مع البناء العقائدي ومتوائمةً معه ، فإننا لن نضمن التوازن في الشخصية إذا كانت هناك فجوة كبيرة بين ما يعتقد الانسان ، وما يملأ فراغه العاطفي من قيم ودوافع داخلية وخارجية ، بل ما لم تكن تلك الدوافع والعناصر العاطفية قويةً مؤكدةً ، فإنها لن تستطيع أن تصوغ السلوك وتصنع العمل الانساني .

إذن نحن بحاجة إلى الأمرين التاليين في كل نظام يراد له أن يحقق أهدافه الانسانية :

أولاً : ملاحظة الواضع لكل الواقع الإنساني ، وكل العلاقات والحاجات وإشباعها إشباعاً متوازناً مع باقي النظم .

ثانياً : تهيئة الأرضية المناسبة للتطبيق ، التي يمكن خلقها بتوفير عنصرين :
أ - العقيدة .

ب - الدوافع العاطفية المنسجمة .

ونستطيع أن نعتبر أيضاً أن الواقعية تتطلب أمرين أساسيين في هذا السياق ، وهما :

الأول : احتواء النظام على ضمانات قانونية تُلزم كل أولئك الخارجين على الطبيعة الانسانية المنسجمة ، أو تلك القلة من الذين لم يختاروا الايمان التام أو

الالتزام التام بمقتضيات الايمان .

الثاني : امتلاكه المرونة التامة لاستيعاب المتغيرات الزمانية والمكانية في الحياة الانسانية ، ووضع حلول ثابتة للعناصر الثابتة في حياة الانسان ، واخرى مرنة لاستيعاب العناصر المتغيرة فيها .

والذي نعتقده أن الاسلام صدق مع ما طرحه بشكل عام حينما عرض نفسه ديناً قيماً على الحياة فلم يغفل أي جانب من هذه الجوانب مطلقاً بل اشبعه أي اشباع ، فقد أكمل الله الدين وأتم النعمة ورضي الاسلام ديناً للبشرية إلى يوم القيامة .

فهو يعلن أن الشريعة الاسلامية كلها واقعية فطرية ، وأنها الحق الثابت ، وأنها تستهدف خدمة الانسان وتحقيق هدف خلقته فهي تأمر بكل ما هو مطلوب وتنهى عن كل ما هو مرفوض للطبع .

يقول تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

(١) الروم : ٣٠ .

ويقول : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (٢) .

(٢) يونس : ١٠٨ .

ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٣) .

(٣) الانفال : ٢٤ .

ويقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤) .

(٤) الاعراف : ١٧٥ .

أما مستند هذه المقولة فهي الأدلة التي تثبت انتسابها - أي الشريعة - إلى الخالق العظيم كما تثبت لهذا الخالق كل صفات العلم بكل الحقائق ، والقدرة الكاملة المطلقة على صياغة الشريعة المحيية ، واللفظ الكامل بالعباد وغير ذلك مما لا يمكن تصوره في ما سواه تعالى .

ولسنا بصدد الاستدلال على ذلك ، وإنما نشير إلى تأكيد القرآن الكريم على هذه الحقيقة في كل موضع يشير إلى لطف الله وخبرته .

(٥) الملك : ١٤ - ١٥ .

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطيفُ الخبيرُ * هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلُّوا من رزقه وإليه النُّشور﴾ (٥) .

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّه كَانَ بِعِبَادِهِ خبيراً بصيراً * ومن يهد الله فهو المهتد ومن يُضلل الله فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصمّاً ماؤاهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً﴾ (٦) .

(٦) الاسراء : ٩٦ - ٩٧ .

بعد هذه المقدمة نحاول استعراض بعض النقاط في صلب البحث تدور حول المواضيع التالية :

١ - المعالم الرئيسية للاقتصاد الاسلامي ، وفطرية هذه المعالم وتأكيد الاسلام على ذلك .

٢ - الأرضية المناسبة التي يوجدها الاسلام لنظامه الاقتصادي .

٣ - العلاقة التي تقوم بين هذا النظام وباقي النظم .

٤ - مرونة النظام الاقتصادي الاسلامي .

لنخلص بعد ذلك إلى ذكر بعض النتائج من هذا البحث :

(١)

المعالم الرئيسية للاقتصاد الاسلامي

إذا لاحظنا الاقتصاد الاسلامي ، باعتباره طريقة يرتضيها الاسلام للسلوك الفردي والاجتماعي في المجال الاقتصادي ، واستقرأنا الأحكام التي قررها الاسلام في هذا المجال ، استطعنا القول : إن أهم خاصية ملحوظة فيه هي (العدالة الاجتماعية) وهو بهذا يتقارب مع كل النظم الاخرى التي تدعي خدمة الانسان وتحقيق طموحاته الاجتماعية ، إلا أنه يختلف عنها في تفاصيل تصوراته عن هذه العدالة .

فالعدالة لا يمكن تحقيقها إلا إذا تحققت الامور التالية :

أولاً : الايمان بالملكية الفردية والملكية الاجتماعية على حد سواء ومتكامل ، بحيث تعمل الملكية الفردية على اشباع الحاجة الطبيعية للانسان لامتلاك نتيجة

عمله والحصول على ثمرات كسبه ، كما تستهدف الملكية العامة ضمان أن يكون العمل الاجتماعي ذا نتائج اجتماعي ، ليتمكن من خلال ذلك سد الفراغات والحاجات الاجتماعية .

ثانياً : الإيمان بالحرية الاقتصادية الفردية مبدأ عاماً وأصلاً واسعاً تنتجه طبيعة التملك ... مع الإيمان بوجود بعض الحدود التي تقف عندها هذه الحرية وذلك إما لضمان مصلحة الفرد نفسه ، كما في الأشياء التي حُرِّم استعمالها لكونها مضرّة بالفرد مادياً أو معنوياً أو لضمان حقوق الآخرين وحياتهم وهو ضمانٌ طبيعي أيضاً تعترف به كلّ المذاهب والاتجاهات الانسانية .

ثالثاً : الإيمان بمبدأ التكافل الاجتماعي ويتلخص هذا المعلم بأن الاسلام يكفل لكل فرد في المجتمع الاسلامي حدّ (الغنى) ، أي حدّ سدّ حاجاته الطبيعية وهو في اعتباره حد أدنى تُكَلَّف الدولة بتوفيره لجميع الأفراد فلا يجوز مطلقاً أن يبقى محتاج واحد في المجتمع الاسلامي . أما كيف يتم توفير القدرة الاقتصادية للمجتمع على تحقيق ذلك فيمكن أن تذكر هنا أمور :

منها : مسألة تكليف الافراد للقيام بمسؤولياتهم وواجباتهم في سد حاجات الآخرين (الضرورية منها) ويمكن للدولة هنا أن تلزم الأفراد بالقيام بهذه الواجبات ، باعتبار أن إحدى مهام الدولة الاسلامية هي (الزام الافراد بالقيام بواجباتهم حتى الفردية منها) .

ومنها : الصلاحية القانونية التي يملكها ولي الأمر في سد منطقة المباحات من خلال سن قوانين توفر القدرة المطلوبة للدولة .

ومنها : الأموال العامة أو الأنفال التي قررها التشريع الاسلامي ملكية عامة تشرف عليها الدولة ، وتصرفها لتحقيق الهدف المذكور .

ومنها : العقوبات المالية ، والسبل التي وضعها الاسلام لنقل الملكيات الفردية إلى الملك العام كما في مسألة الموقوفات أو الأراضي التي باد أهلها ، أو الأموات الذين لا وارث لهم وأمثال ذلك .

ومنها : طبيعة التشريع الاسلامي - كما يعبر الشهيد الصدر رحمته الله - التي تستهدف تقوية البنية الاجتماعية لتحقيق هذا التكافل .

رابعاً : الايمان بمبدأ التوازن الاجتماعي ونفي الحالة الطبقية في المجتمع الاسلامي فقد رأينا في الامر الثالث أن الحد الأدنى المطلوب هو توفير الغنى لكل الافراد ، أما الحد الأعلى فيمكن تصويره بملاحظة الأمور التالية :

١ - تحريم التبذير والاسراف في كل المجالات ، فلا يمكن - إذن - للفرد في سلوكه الاجتماعي والاقتصادي أن يتعدى إلى خط الاسراف .

٢ - تحريم أي عمل يؤدي إلى اهدار الأموال الخاصة ، واللهو والمجون .

٣ - نفي أية امتيازات اجتماعية أو اقتصادية تميز بين فئة من الناس وأخرى مما يؤدي لنفي أية أرضية لقيام النظام الطبقي .

وإذا عدنا واستقرأنا كل هذه المعالم وعرضناها على الفطرة والوجدان الانساني ، وجدناها مبادئ يمكن التسليم بها تسليماً طبيعياً ، وهذا ما يفسر عودة كلا النظامين المتطرفين الرأسمالي والاشتراكي إلى الحالة الوسط ، بعد اصطدامهما بعوامل فطرية معارضة - كما نعتقد - .

وكون هذه الاتجاهات طبيعية تؤكدنا النصوص التشريعية والمفاهيمية العامة تأكيداً بارزاً . ونحن هنا نشير إلى بعضها وهي كثيرة ، فهناك نصوص تؤكد فطرية الملكية الفردية والملكية العامة .

يقول تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ وذلك إذا فسرناها بما يشمل الملكية الدنيوية .

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : « إن هذا المال ليس لي ولا لك ، وإنما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم ولا فجأة أيديهم لا تكون لغير أفواههم » (٧) .

وهناك نصوص تؤكد الحرية الاقتصادية بشكل طبيعي وأوضحها ما شكّل قاعدةً يعتمد عليها الفقهاء عموماً وهي قاعدة (الناس مسطرون على أموالهم) وبطبيعة الحال فإن هناك حدوداً لهذه الحرية تذكرها نصوص أخرى ، ولكنها تؤكد على أن التحديد إنما هو لصالح الفرد والمجتمع .

وهناك نصوص تؤكد فطرية التكافل والتعاون ، بل تعتبر أي تهاون في هذا المبدأ تكذيباً للدين عموماً . يقول تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالْإِيمَانِ ﴾ فذلك الذي يدع

(٨) الماعون : ١ - ٣ .

اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين * (٨) .

وهناك بالتالي نصوص تؤكد ضرورة تحقيق التوازن في المجتمع ، من خلال تأكيدها على نفي الاسراف وكذلك على لزوم نفي الفقر وتحقيق (الغنئ) لكل فرد . يقول ﷺ وهو يتحدث عن واجبات ولي الأمر تجاه الفقير : « يُعطيه من الزكاة حتى يغنيه » .

(٢)

الأرضية المناسبة التي يوجدها الاسلام لنظامه الاقتصادي

يجد الباحث أمامه - في هذا الصدد - ثروة هائلة من النصوص الشريفة ، التي تؤكد مفاهيم متنوعة واحكام كثيرة وسنن تاريخية ثابتة ، وكلها تخدم قضية الاقتصاد الاسلامي وتساهم طبيعياً في تحقيق اهدافه المنشودة ونحن نشير هنا إلى جملة من هذه الامور مؤكدين على أننا لم نستوعب القسم الأكبر منها :

أ - الملكية الحقيقية لله تعالى :

وهي أهم الحقائق التي تصوغ التصور الانساني ، كما تترك أثرها البالغ على السلوك الاقتصادي للفرد المسلم ، فالملك لله الواحد القهار ، وهو تعالى منح ملكية اعتبارية قانونية للانسان كي يقسم الوظائف فيما بين افراده ويقوم بإعمال هذه الملكية وفق ما أَرَادَهُ الله من مقاصد لصالح البشرية . وهذا المعنى له أثره الكبير في نفي النتائج السلبية التي تترتب على الملكية بصيغتها الرأسمالية المطلقة .

ب - الهدف هو أعمار الارض من خلال مسيرة ومسؤولية إنسانية

مشتركة : هكذا يعتقد الانسان أن المسيرة الانسانية منذ البدء حتى الختام واحدة والهدف الكبير هو تعبيد الانسانية لله وصياغة المجتمع العابد والتهيئة لذلك بإعمار الأرض والاستفادة الكبرى منها لصالح مجموع المسيرة والقيام بحقوق المسؤولية المشتركة ... وأي تخلف عن ذلك يعني التخلف

عن الهدف .

ج - مفاهيم خلقية في خدمة القضية الاقتصادية :

والنصوص الاسلامية حافلة ببرنامج خلقي رفيع يصب في مصب خدمة هذا النظام الاقتصادي وتحقيق أهدافه ، وذلك في أكثر الروايات التي تربي في الانسان روح التعاون ، وروح الاحساس بالمسؤولية ، وروح الاخوة الاسلامية ، ومعنى الايثار والتضحية والزهدي ، والاحساس بالآلام الآخرين وآمالهم وتنفي عنه صفات البخل والطمع والاستئثار والتعدي على حقوق الآخرين والنفعية والحرص والحسد .

وقد عدَّ الامام الصادق عليه السلام كما في بعض الروايات كلَّ الصفات الحسنة من جنود العقل ، وكلَّ الصفات الرذيلة من صفات الجهل ، ولا نستطيع هنا أن نسرد كلَّ ما ورد أو نتعرض لكل التفاصيل التربوية وإنما نشير بالخصوص إلى أن النظام الاخلاقي والتربوي الاسلامي يربي في الانسان روح التبرُّع ، قبل أن يؤكد له على الحرية الاقتصادية وامكان التمتع بها في مصالحه الخاصة ، وقصة قارون معروفة حيث تركّز هذا المبدأ الأخلاقي ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ (٩) .

(٩) القصص : ٧٧ .

هذه القصة وهذا المبدأ هو شعار إسلامي واسع الابعاد ، فاذا ساد في المجتمع وقرَّ أعظم أرضية لتطبيق النظام الاقتصادي المطلوب .

د - الانفاق المستحب والحياة الممتدة :

ويتجلّى هنا جانب رائع لحل مشكلة التناقض بين الدوافع الذاتية لحب الذات الشخصية ، والدوافع ذاتها لخدمة المجتمع فينطلق الانسان من مبدأ امتداد حياته الذاتية إلى مستوى الخلود في الآخرة ، ليرى أن المصالح الذاتية والاجتماعية قد توحدت مما يدفعه للانفاق المستمر الذي لا تنضب دوافعه ولا ينتهي أثره ، بمقتضى « مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا... » .

وهنا نذكّر بكل تأكيد بالأثر الممتد للوقف ، حيث تأتي هذه الدوافع لتنقل الملكية الخاصة إلى الملكية العامة ، وتحقق تصرف الانسان بماله تصرفاً دائماً .

هـ - شكر النعمة يعني الاستفادة الأفضل من الثروة وعدم اهدارها :
فالمشكلة المهمة على الصعيد الاقتصادي العالمي لا تكمن في ضعف معدلات النمو في الموارد الطبيعية ، وقصورها عن مواكبة معدلات النمو الانساني وإنما تكمن في عدم الاستفادة الفضلى من الموارد الطبيعية أو كفران النعمة - كما تعبّر النصوص - ، واهدار الثروة الطبيعية المعدنية والحيوانية وغيرها ﴿ وَأَتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ... ﴾ (١٠) .
ومن شكر النعمة الاستفادة الأفضل من قدرة العمل وعدم اهدارها ولذلك تؤكد النصوص على العمل المستمر ، بل توجيهه على القادرين .

(١٠) ابراهيم : ٣٤

و - العلاقة بين المعنويات والماديات على المستوى الحضاري :
وهذه حقيقة حضارية رائعة لا يفهمها إلا المؤمنون بالغيب وعوالمه فالقرآن الكريم يؤكد أن الظلم يؤدي إلى الهلاك ﴿ فَبَطَلْهُمْ أَهْلُكُنَاهُمْ ﴾ وأن العدل والدعاء والشكر تؤدي طبيعياً إلى الرخاء ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ يرسل السماء عليكم مدراراً ﴿ وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (١١)
وهذه الحقيقة تبعث الأمل الكبير في النفوس بالمستقبل حتى المستقبل المادي ، وتفتح السبيل أمام نهضة اجتماعية واقتصادية . إلى غير ذلك من العناصر المهمة لهذه الأرضية .

(١١) نوح : ١٠ - ١٢

(٣)

العلاقة القوية بين النظام وباقي النظم

الملاحظ في كل النظم التي يطرحها الاسلام أنها مقدّمة ضمن تخطيط جامع لمجمل الحياة ، ولذا نجدها مترابطة ترابطاً وثيقاً ، بحيث لا يمكن لأي منها تحقيق غرضه المنشود دون تطبيق النظم الاخرى . (وبالطبع نحن لا ندعي هنا توقف التكليف بالنظام على القيام بباقي النظم ، وإنما أكدنا على موضوع تحقيق النظام لكل أهدافه المنشودة) .

وللتأكد من ذلك نلاحظ ما يلي :

أ - وضعت في النظم الاجتماعية مناطق ومساحات يملؤها ولي الأمر (أو من يعينه كالقاضي) بمقتضى اجتهاده وتشخيصه لنوعية الظروف القائمة ومصلحة الامة ، وهذا ما نلاحظه مثلاً في النظام الاقتصادي والنظام الحقوقي والجزائي ، ونظم الوقف والمعاملات والارث وغيرها ، مما يعني الارتباط الكامل بين هذه النظم والنظام السياسي الحاكم .

ب - يرتبط النظام الاقتصادي بنظام العبادات ارتباطاً وثيقاً ، وهو ما قد يعبر عنه بتقارن الصلاة والزكاة في عشرات الموارد القرآنية بل إن الزكاة والخمس عبادتان ماليتان ، والكفارات المالية في الواقع هي مساهمة اقتصادية ضخمة من نظام العبادات في خدمة الصالح الاقتصادي العام ، ولا ننسى أن العبادات توفر عناصر الارضية الاقتصادية التي أشرنا إليها إشارة جلية ، كما في عملية الصوم والحج ، وهناك عبادات تساهم بقوة في خدمة الملكية العامة ، كما في الوقف إذا اشترطنا فيه تية القرية .

ج - وللنظام الاقتصادي واهدافه ومعالمه - بطبيعة الحال - علاقة وثيقة بنظام المعاملات ، الذي صُمم تصميمًا يهتئ الجو المناسب لتحقيق عناصر التكافل والتوازن والملكية المزدوجة ، ويؤكد على عنصر العمل ويمنع الربا وأكل المال بالباطل والحرام واللغو ، وإهدار الثروة .

د - وهناك ارتباط كامل بين النظام الاقتصادي ونظام الجهاد في الاسلام بما يحمله هذا النظام من مبررات ومن اساليب جهادية ، ومن نتائج في الملكية والغنائم وما إلى ذلك .

هـ - ولا ريب في علاقة النظام الاقتصادي بالنظام الاجتماعي الشامل لنوعية تشكيل الخلية الاصلية للمجتمع وهي العائلة ، وكذلك العلاقات الاجتماعية بين العوائل ، وعلاقات الفرد بالمجتمع التي تحكمها قواعد اسلامية اجتماعية ومنها قاعدتا التكافل والتوازن اللتان تشكلان أهم معلمين في الاقتصاد كما ذكرنا ذلك مراراً . وتدخل هنا أحكام المهور والنفقات وانماط تقسيم الوظائف الاجتماعية ، ومسائل الارث والوصايا وأحكام الأولاد ومسائل القضاء والتعزيرات المالية ،

و العقوبات المالية الأخرى وغير ذلك مما لا يسع المجال للحديث عنه .

و - وقد ذكر الشهيد آية الله الصدر رحمه الله - عند تعرضه لهذه العلاقات - أنماطاً أخرى منها ، من قبيل العلاقة بين المذهب الاقتصادي والسياسة المالية للدولة ، وهي في الواقع جزء من تخطيط الدولة لتنفيذ أحكام الاقتصاد الإسلامي ، فهي إذن جزء من الاقتصاد نفسه .

ز - وقد اشرنا من قبل إلى العلاقة الوثيقة بين هذا النظام والنظام الأخلاقي ، إلى الحد الذي يجعل هذا الأخير أحد الممهدات الرئيسية والعنصر الدافع للامة لتطبيق النظام الاقتصادي ، وتحقيق أهدافه إلى حد قد يتعذر الفصل فيه بين النظامين .

ملاحظة هامة

وهنا نود أن نشير - استطراداً - إلى أن الإسلام قام بدراسة مجمل الحياة ، ووضع لها النظام الاصلح الذي يهديها إلى الهدف بأسلوب مدرّس ، وعلى أسس من العدالة والانصاف ، في حين نجد العالم الوضعي اليوم مازال يتخبط في نوعية النظام المطلوب لحفظ الكرامة الانسانية ، وتوزيع المسؤوليات واقامة الحقوق ، ولذلك تتهاوى النظم الاجتماعية واحداً تلو آخر وتعلن فشلها ؛ ويبقى الاسلام ديناً قيماً لا عوج فيه .

ومثالاً على هذا الأمر نركز على شعار يرفعه العالم الوضعي من خلال اعطائه صبغة دولية واسعة تحولت في الآونة الاخيرة إلى موجة عاطفية كاسحة وهي شعار المساواة بين المرأة والرجل في كلّ الاحوال وكلّ الحقوق وكلّ الموارد وكلّ الازمنة والامكنة ودون استثناء مهما كان ، وهو ما وجدناه أخيراً مكرراً عشرات المرات في الوثائق المقدمة في مؤتمرات مكسيكو ستي وبخارست والقاهرة ، وجدناه أخيراً قوياً وواضحاً في مؤتمر بكين الاخير حول المرأة ، بل رأينا سند بكين يركز على مسألة (الارث) بالخصوص وضرورة المساواة المادية الكاملة وكذلك القضاء وما يسميه بالحقوق الجنسية الحرة لجميع الاعمار وما إلى ذلك .

وهذه كما نعتقد دعوة عمياء وإن كان لها مظهر جذاب ذلك أن المساواة من الأصول التي يستحسنها الذوق الانساني ، لفردين متساويين حقاً من حيث الكرامة الانسانية والانتماء الانساني ، وهما المرأة والرجل ، ولكنها لا يمكن أن تشكل مبدأ عاماً لا يمكن الاستثناء منه ، وذلك بملاحظة الفروق الطبيعية بين التركيبية البدنية والعاطفية لكل منهما ، ونوع الوظيفة الاجتماعية التي يقوم كل منهما بها ، ومدى مساهمة الرجل والمرأة في عملية البناء الاجتماعي بما يحقق العدالة الاجتماعية المطلوبة . فلا يمكننا والحالة هذه أن نرفع شعار المساواة الكمية دون أن نلاحظ التوازن المطلوب وإلا وقعنا في الظلم وعدم الانصاف وعندما يتعارض مبدأ المساواة ومبدأ العدالة الاجتماعية فمن الذي يُقدّم ؟ لا ريب أن مبدأ العدالة هو المبدأ الذي يشهد الوجدان باطلاقه وعدم قبوله للاستثناء فهو إذن يقيد مبدأ المساواة بل هو الذي يمنح المساواة شكلها المطلوب اجتماعياً .

وإننا لنأسف أشدّ الأسف لهذه الموجة الدولية الكاسحة العمياء التي تُطرح دون رؤية حتى إنها تعترض على نظام الارث الاسلامي متناسية أنه جزء من كل وأن هناك توازناً رائعاً بين هذا النظام ونظام النفقة وواجبات كل من الرجل والمرأة في الحياة الاجتماعية .

مرونة النظام الاقتصادي الاسلامي :

وهذا الموضوع إنما يرتبط بخاصية المرونة في مجمل التشريع الاسلامي ، ولكننا سنعرضه من الزاوية الاقتصادية .

ومجمل الأمر فيه أن الاسلام عبأ هذا النظام بكل العناصر اللازمة التي تجعله قادراً على استيعاب المتغيرات الحيوية وهي في المجال الاقتصادي كثيرة وسريعة لأنه مجال يرتبط بتعقيدات الحياة الاجتماعية للانسان كما يرتبط بقدرة الطبيعة على العطاء ، والظروف البيئية المناسبة وغير ذلك ؛ ففرق كبير في مجال توزيع الارض ومالكيتها بين حالة الوفرة الكاملة للمساحة الأرضية ، والقدرة اليدوية الناقصة للإنسان ، وحالة القلة والضييق المتزايد نتيجة لمعدلات النمو البشري من جهة ، والقدرة التكنيكية الهائلة للانسان على استصلاح الأرض .

وهذا الفرق يمكنه أن يترك أثره على مسألة (الحيازة) المطروحة عاملاً للملكية ومسألة التنمية الاجتماعية ، ومسألة ملكية المعادن ومسألة الملكية العمودية للأرض عمقاً وارتفاعاً ، ومسألة ملكية الطاقة وغير ذلك من المسائل المهمة . بل ربما ترك أثره في مسألة تغيير نوع وآثار العلاقة الملكية بحيث نجد بعض المجتهدين يناوون عن مسألة الملكية المطلقة للأرض ، إلى موضوع (حق الاختصاص) الناشئ من الأثر الذي صنعه الانسان فيها فإذا زال الأثر زال الحق وعادت مشاعة ومباحة تتصرف فيها الدولة الاسلامية حسب المصلحة العامة . ومن هنا نجد أن وجود عنصر الاجتهاد وفتحته مستمراً يمثل عنصراً من عناصر المرونة لا يمكن الاستغناء عنه ، لمعرفة أثر التطورات على نوعية الحكم المستنبط من النصوص .

على أن الاسلام طرح بعض القواعد الاقتصادية الواسعة وربطها بالمفهوم العرفي السائد ، فمفاهيم من قبيل (الاسراف والتبذير) و(الفقر والغنى) و(النفقة المتعارفة) و(المنفعة المحللة) والحاجات الضرورية : (الماعون) مثلاً و(الربا) و(المثلية والقيمية) و(الرواج والكساد في العملات النقدية) و(الضمان) و(الضرر الفردي والاجتماعي) و(الحرج) و(الضرورة) و(المصلحة العليا) و(الاسبقية في الوقف) و(العقدية) و(البيعية) و(التجارة عن تراض) و(القمارية) و(اللهو) حتى (العدالة والظلم والتعدي وأكل المال بالباطل) ، كل تلك يتدخل العرف في تغييرها في كثير من الأحيان لتغير الظروف ، ومن ثم يتغير الحكم بتغير النظرة العرفية للموضوع كما شهدنا ذلك في مسألة الشطرنج مثلاً .

ولكن أهم عنصر يركز عليه النظام الاسلامي هو عنصر تدخل ولي الأمر المجتهد العادل في الحياة الاقتصادية .

وهذا التدخل له ضوابطه وقواعده وله أيضاً ما يسميه الشهيد الصدر رحمته بالاضوية الكاشفة التي توضح اتجاهات الاسلام وتعطيه (روح النظام) وأهدافه المنظورة ^(١٢) وعليه هو أن يستفيد من قدرته الاجتماعية والتزامه الاصيل بالاسلام والمصلحة الاسلامية للامة وبالتشاور مع أهل الخبرة والاختصاص يقوم بوظائفه ، وأهمها مايلي :

(١٢) وهي من قبيل تأكيد القرآن على القيام بما يجعل متداولاً بين الأغنياء فقط ، وكذلك تأكيده على ضرورة منع التلاعب بالمال الذي جعله الله قواماً للمجتمع ، وتأکید بعض النصوص على أن هدف التجارة هو جلب المنافع وأمثال ذلك .

١ - ملاحظة أفضل السبل وخير الاجراءات التنفيذية لتطبيق أحكام الله الثابتة من قبيل دراسة أفضل سبيل لنفي الربا من المجتمع مع الاحتفاظ بالانشطة الايجابية التي تقوم بها البنوك .

٢ - ملء منطقة المباحات بالقوانين التي تحقق المصلحة الاسلامية العليا مع الاحتفاظ ما أمكن بالحكم الاولي للموارد المتنوعة .

٣ - ملاحظة مدى انسجام الظروف مع امكان تطبيق الاحكام والانظمة الاسلامية فإذا ما رأى الفقيه أن عدم الانسجام يصل إلى حدٍ يسميه علماء الاصول التزاحم أي التزاحم بين وجوب اجراء الحكم وحرمة ترتب المفاسد المنظورة كان عليه أن يوفر أفضل حلٍّ ممكن بحيث يتم تطبيق الحكم مع تلافي النتائج السيئة . فإذا لم يمكن ذلك انتقل إلى باب الترجيح بالاهمية وهو باب واسع يتبع رأي المتخصصين واجتهاد المجتهدين ؛ وربما تصل الحالة إلى تعطيل اجراء حكمٍ ما لرجحان أهمية دفع المفسدة التي تترتب على تنفيذه . وهو باب دقيق وحساس لا يلجأ إليه إلا في الحالات النادرة .

وهذا من قبيل مسألة التدرج في اعطاء حكم الربا ، أو حكم الخمر في صدر الاسلام أو ما نلاحظه من التدرج في تنفيذ بعض أحكام الربا في العصر الحاضر أو منع الحج لترتب مفسد كبرى عليه .

بعض النتائج :

من خلال ما تقدم يمكننا أن نستخلص بعض النتائج العملية وأهمها ما يلي :
أولاً: أنه كثيراً ما نشاهد أو نسمع من يطرح فكرة الالتقاء بين العقيدة والنظام فيحاول طرح نظام اقتصادي اشتراكي أو رأسمالي في بيئة اسلامية أو يعمل للاستفادة من نظم اسلامية وتطبيقها في بنيات اجتماعية علمانية فإذا ما وجد النتائج غير مرضية أنحى باللائمة على النظام نفسه دون أن يلتفت إلى عدم الانسجام بين هذا النظام وأرضية التطبيق وربما أمكن التمثيل لما قلناه بتجربتين :

الاولى : تجربة تطبيق بعض النظم الاشتراكية في عالمنا الاسلامي وفشلها

الذريع كما في الجزائر - في عهد الرئيس بومدين - وليبيا .

والثانية : تجربة صناديق القرض الحسن في ظل انظمة علمانية حيث ابتليت بنتائج غير مرضية مما دفع البعض لمهاجمتها واصفاً إياها بالنشاز دون الالتفات إلى عدم توفر الظروف الملائمة لها .

ثانياً : أننا في مجتمعنا الاسلامي اذا أردنا أن نصل إلى النتائج المرضية ، فعلينا أن نهيئ الارضية المناسبة فنعمق الاعتقاد بالله ونوسع من الخلق الاسلامي الرفيع ، ونوضح المفاهيم الاسلامية المرتبطة بالجانب الاقتصادي ، ونثقف الجماهير بها ونعمل لتحريك الاحاسيس والعواطف وصبغها بالصبغة الاسلامية المطلوبة . وما لم نفعل ذلك يجب أن لا نتوقع النتائج المطلوبة .

ومن هنا اشير إلى أساليب الاعلانات التي تقوم بها البنوك اذ تركز على الارباح التي تدرها الاموال المودعة من صناديق القرض الحسن ، وعلى الجوائز التي يمكن أن تعود بها على المودعين دون أن تركز على الثواب العظيم الذي ينتظرهم حين يساهمون في انعاش الاقتصاد العام ، وخدمة المجتمع من خلال المساهمات والاعتبارات المصرفية ودون ذكر الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الداعية لذلك .

ثالثاً : نقترح أن تشكل البنوك الاسلامية أو البنك المركزي لجنة فقهية من كبار العلماء ، بل يقوم المجتهدون في الحوزات العلمية بدراسة مدى صلاحية الانظمة الاقتصادية والمالية والبنكية المقترحة من وجهة النظر الفقهية ، وابداء النظر دائماً في الصيغ الجديدة .

وذلك من قبيل بيع السلم والسلم المماثل ، وبيع الاستصناع ، وعقود التوريد ، وعقود المراجعة وأمثال ذلك مما يمنح البنك قدرة أكبر على التحرك الاقتصادي وهذا ما حاوله المرحوم الشهيد الصدر من قبل ربع قرن في أطروحته المعروفة البنك اللاربوي وما حاولته لائحة منع الربا في الجمهورية الاسلامية .

إن الاجتهاد منبعٌ خير والقواعد الاسلامية منابع فياضة يمكنها أن تعيننا بلا ريب على الاحتفاظ بالصبغة والروح الاسلاميتين ، والتغلب على مصاعب تطورات الحياة العصرية .

دراسات

تزكية النفس والعمل الاجتماعي

من منظور الثقلين

٢

* السيد

كاظم الطائري

إن من الضروريات التأكيد على العمل الاجتماعي مع الناس ومع الطبيعة ، وعدم الابتعاد عن العمل السياسي ، وعدم تنافي ذلك كله لتزذيب النفس وتزكيتها ، بل إن هذا أيضاً عامل من عوامل التهديب والتزكية ، فالمألف الغالب في وضع الصوفية إبعاد الناس الذين يفتنون بهم عن العمل السياسي الاجتماعي ، ويدعي البعض أن تزكية النفس بحاجة إلى الاختلاء والابتعاد عن وضع المجتمع . ونحن نقول : صحيح أن تربية النفس لا تستغني عن نوع من الاختلاء بالله وهو أمر مرغوب فيه شرعاً إلا أن الشريعة أمرت بتوزيع هذا الاختلاء على تمام العمر يوماً فيوماً بتخصيص ساعة للاختلاء وأفضل الساعات لذلك هو جوف الليل الغابر ﴿١﴾ إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قبلاً * إن لك في النهار سباً طويلاً ﴿٢﴾ (١) فالنهار يناسب السبح في المجتمع ، في مسرح الحياة وفي الأعمال الدنيوية والاخرية ، وغابر الليل يناسب الخلوة مع الله سبحانه وتعالى ، وهذا معنى توزيع الخلوات على تمام ايام العمر من دون الانقطاع عن الأعمال الاجتماعية والسياسية وكشف منابع الطبيعة ونعمها واستثمارها ، أما الانصراف تمام العمر أو ردها من الزمن عن العمل السياسي الاجتماعي وبحجة تزكية النفس أو بأية حجة اخرى فهذا ليس من دأب الاسلام

(١) المزمل : ٦ - ٧ .

وهذا خلاف العمل بخلافة الله على وجه الأرض .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ (٢) والمقصود بالخلافة الخلافة عن الله لا الخلافة عن انسان قديم ، فإن المخلف عنه لو كان غير المتكلم لوجب التنبيه عليه ، والمقصود بالخليفة الانسانية بالذات لا شخص آدم ، وأكبر الظن أن هذا هو الذي اثار مخاوف الملائكة ﴿ قَالُوا أَتُجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ ﴾ (٣) ! أما شخص آدم ﷺ فلم يكن يثير تخوفاً في نفوس الملائكة ، والسجود وإن كان بوجهه الخاص لآدم أو للانسانية المعصومة وللمعصومين في صلب آدم ﷺ ، ولكنه بوجهه العام كان سجوداً للإنسانية . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ... ﴾ (٤) ، فذيل الآية يشير إلى وجه السجود الخاص بآدم أو بالمعصومين لأنه أو لأنهم الفرد الكامل في الخلافة المشتملة على ولاية الطاعة ، وقد ورد عن الرضا ﷺ : « كان سجودهم لله تعالى عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه ﷺ » (٥) .

وصدر الآية يشير إلى وجه السجود العام حيث دلّ على أن خلق آدم كان خلقاً لكم أيها البشر و تصويره كان تصويراً لكم ، فالسجود له كان سجوداً لكم . وسجود الملائكة للانسانية فيه اشارة عظيمة إلى عظمة الانسان الكامنة في امتيازها عن الملائكة ، وكان امتياز الانسان فيما له من الخلافة ، وليس المقصود بخلافة الانسان أن يكون بكل افراده ولياً واجب الطاعة ، بل المقصود ان الانسان بكل افراده يخلف عن المنوب عنه في رعايته للمخلف فيه ، والمخلف فيه هو الأرض وما على الأرض ، فليس معنى (جاعل في الأرض خليفة) كون مهبط الخليفة هو الأرض فحسب من دون أن تكون الخلافة على الأرض ، بل معناه أنه في الأرض خليفة وأنه خليفة على الأرض ، فعليه أن يستعمر الأرض ويستثمرها ويرعى ما عليها ومن عليها كلاً بمستواه ، وطبعاً مستوى المعصومين هو الخلافة المشتملة على ولاية الطاعة وقد ورد في الحديث : « من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم » (٦) ، وورد : لا رهبانية في الاسلام (٧) ورسول الله ﷺ لم يرب أصحابه على الانفصال عن العمل السياسي الاجتماعي دائماً أو ردها من

(٢) البقرة : ٣ .

(٣) البقرة : ٣ .

(٤) الأعراف : ١١ .

(٥) تفسير نمونه ١ : ١٨٢ .

(التفسير الأمثل) .

(٦) الوسائل ١٦ : ٣٣٠-٣٣٧ .

طبعة مؤسسة آل البيت الباب

١٨ من أبواب فعل المعروف .

(٧) سفينة البحار ١ : ٥٤٠ .

مادة رهب .

الزمن ، بل زَجَّهم من أوَّل زمن شوكة الاسلام في الحروب والأعمال السياسية . وكانت الخطوة مع الله ثابتة بينهم بشكل موزَّع على أيام العمر ، وكان هو وطائفة من الذين معه يقومون بالعبادة في جوف الليل الغابر . هذا ، والعزوف عن الحياة الاعتيادية والترهب والتعمد في ترك اللذائذ المحلَّة أيضاً أمر مرغوب عنه في الاسلام .

واليك بعض الآيات :

- ١- ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلَّ الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ * وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴿٨﴾ .
- ٢- ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحلَّ الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم﴾ * قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم ﴿٩﴾ .
- ٣- ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ ﴿١٠﴾ .
- ٤- ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ ﴿١١﴾ .

واليك بعض الروايات :

- ١- عن علي رضي الله عنه قال : « ان جماعة من الصحابة كانوا حرموا على أنفسهم النساء والإفطار بالنهار والنوم بالليل ، فأخبرت أم سلمة رسول الله ﷺ ، فخرج إلى أصحابه فقال : أترغبون عن النساء ؟ إني أتى النساء وأكل بالنهار وأنام بالليل ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » ﴿١٢﴾ .
- ٢- عن الصادق عليه السلام قال : « جاءت امرأة عثمان بن مظعون إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ! ان عثمان يصوم النهار ويقوم الليل ، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً يحمل نعليه حتى جاء إلى عثمان فوجده يصلي ، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله ﷺ ، فقال له : يا عثمان ! لم يرسلني الله بالرهيبانية . ولكن بعثني بالحنيفية السمحة : أصوم وأصلي وأمس أهلي ، فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح » ﴿١٣﴾ .
- ٣- عن الصادق عليه السلام قال : « ان ثلاث نسوة أتين رسول الله ﷺ ، فقالت احداهن : إن زوجي لا يأكل اللحم ، وقالت الاخرى : إن زوجي لا يشم الطيب ، وقالت الاخرى : إن

(٨) المائدة : ٨٧ - ٨٨ .

(٩) التحريم : ١ - ٢ .

(١٠) الأعراف : ٣٢ .

(١١) القصص : ٧٧ .

(١٢) وسائل الشيعة ٢٠ : ٢١٧ .

حديث ٩ طبعة مؤسسة آل البيت باب ٢ من مقدمات النكاح .

(١٣) المصدر نفسه : ١٠٦ .

١٠٧ . حديث ٩ .

زوجي لا يقرب النساء . فخرج رسول الله ﷺ يجزّ رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما بال أقوام من أصحابي لا يأكلون اللحم ولا يشقون الطيب ولا يأتون النساء ؟! أما إني أكل اللحم وأشمّ الطيب وآتي النساء ، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي « (١٤) » .

(١٤) المصدر السابق : ١٠٧

حديث ٢ .

(١٥) الخطبة ٢٠٧ وبحسب

طبعة الفيض تكون

الخطبة ٢٠٠ .

٤ - في نهج البلاغة (١٥) : دخل عليّ ﷺ بالبصرة على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعود ، فلمّا رأى سعة داره قال : « ما كنت تصنع بسعة هذه الدار وأنت إليها في الآخرة كنت أحوج ؟! وبلّى إن شئت بلغت بها الآخرة ؛ تقري فيها الضيف وتصل فيها الرحم وتطّلع منها الحقوق مطالعها ، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة » . فقال له العلاء : يا أمير المؤمنين ! أشكو إليك أخي عاصم بن زياد ، قال : وما له ؟ قال : لبس العباءة وتخلّى من الدنيا ، قال : عليّ به ، فلمّا جاء قال : « يا عدّي نفسه لقد استهام بك الخبيث . أما رحمت أهلك وولدك ، أترى الله أحلّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها ؟! أنت أهون على الله من ذلك »! قال : يا أمير المؤمنين ! هذا أنت في خشونة ملابسك وجشوبة مأكلك . قال : « ويحك إني لست كأنت ، إن الله تعالى فرض على أئمة الحق أن يقدروا أنفسهم بضعة الناس كي لا يتبيّغ بالفقير فقره » . ورواه ابن أبي الحديد مع بعض الفوارق (١٦) .

(١٦) البحار ٧٠ : ١٢١ - ١٢٢

ناقلًا له عن ابن أبي الحديد .

(١٧) وسائل الشيعة ٥ : ١٦٠

باب ٧ من أحكام

الملابس حديث ٤ .

(١٨) البحار ٧٠ : ١٢٢ - ١٢٨

(١٩) جاء هنا في البحار تحت

الخط ما يلي : الغرقى - كزبرج

- القشرة الملتزمة ببياض

البيض شبيه بها لنظافتها

وشفوفها ونعمومتها

وبياضها .

٥ - ورد عن ابن القدّاح قال : كان أبو عبد الله ﷺ متكئاً عليّ أو قال عليّ أبي فلقية عبّاد بن كثير وعليه ثياب مروية حسان فقال : يا أبا عبد الله إنك من أهل بيت النبوة وكان أبوك وكان ، فما لهذه الثياب المزينة عليك ؟! فلو لبست دون هذه الثياب . فقال له أبو عبد الله ﷺ : « ويلك يا عبّاد من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟! » إن الله عزّ وجل إذا أنعم على عبد نعمة أحبّ أن يراها عليه ليس به بأس . ويلك يا عبّاد إنما أنا بضعة رسول الله ﷺ فلا تؤذني » . وكان عبّاد يلبس ثوبين قطريين (قطوبين خ ل) (١٧) .

٦ - روى المجلسي في البحار (١٨) عن تحف العقول ... قال : دخل سفيان الثوري على أبي عبد الله ﷺ فرأى عليه ثياب بياض كأنها غرقى البيض (١٩) فقال له : إن هذا اللباس ليس من لباسك ، فقال له : « اسمع منّي وع ما أقول لك فإنه خير لك عاجلاً وأجلاً . إن كنت أنت متّ على السنّة والحقّ ولم تمت على بدعة :

أخبرك أن رسول الله ﷺ كان في زمان مقفر جشِبَ فإذا أقبلت الدنيا فأحق أهلها بها أبرارها لا فجّارها ومؤمنوها لا منافقوها ومسلموها لا كفّارها، فما أنكرت يا ثوري؟ فوالله إني لمع ما ترى، ما أتى عليّ مذ عقلتُ صباح ولا مساء والله في مالي حقّ أمرني أن أضعه موضعاً إلا وضعتّه» .

فقال ثم أتاه قوم ممّن يظهرن التزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم مثل الذي هم عليه من التقشّف فقالوا: إن صاحبنا حصر عن كلامك ولم تحضره حجة^(٢٠) فقال لهم: هاتوا حججكم، فقالوا: إن حججنا من كتاب الله، قال لهم: فأدلو بها فإنها أحق ما اتّبع وعمل به .

فقالوا يقول الله تبارك وتعالى يخبر عن قوم من أصحاب النبي ﷺ: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾^(٢١) فمدح فعلهم .

وقال في موضع آخر: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾^(٢٢)، فنحن نكتفي بهذا .

فقال رجل من الجلساء: إنّا ما رأيناكم تزهدون في الأطعمة الطيبة ومع ذلك تأمرون الناس بالخروج من أموالهم حتى تتمتعوا أنتم منها، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: دعوا عنكم ما لا يُنتفع به^(٢٣) أخبروني أيّها نفر ألكم علم يناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضلّ من ضلّ وهلك من هلك من هذه الأمة؟ فقالوا له أو بعضه فأما كلّ فلا، فقال لهم: من هنا أتيتم . وكذلك أحاديث رسول الله ﷺ .

فأما ما ذكرتم من اخبار الله إيانا في كتابه عن القوم الذين اخبر عنهم بحسن فعالهم فقد كان مباحاً جائزاً ولم يكونوا نهوا عنه وثوابهم منه على الله، وذلك أن الله جلّ وتقدّس أمر بخلاف ما عملوا به فصار أمره ناسخاً لفعلهم وكان نهى الله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين ونظراً لكي لا يضرّوا بأنفسهم وعيالاتهم منهم الضعفة الصغار والولدان والشيخ الفاني والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون على الجوع فإن تصدّقت برغيفي ولا رغيف لي غيره ضاعوا وهلكوا جوعاً .

فمن ثم قال رسول الله ﷺ: خمس ثمرات أو خمس قرص أو دنائير أو دراهم

(٢٠) أي أن سفيان الثوري لم تحضره الحجة فعجز عن الجواب، ونحن لدينا الحجة ومستعدون للاحتجاج عليك بها.

(٢١) الحشر: ٩ .

(٢٢) الدهر: ٨ .

(٢٣) كأنه خطاب للرجل المعترض عليهم، أي اتركوا الجدل في انهم هل هم يعملون بما يقولون أو لا كي نشغل بالبحث عن أصل صحة ما يقولونه وفساده .

يملكها الانسان وهو يريد أن يمضيها فأفضلها ما أنفقه الإنسان على والديه ثم الثانية على نفسه وعياله ثم الثالثة القرابة وأخوانه المؤمنين ثم الرابعة على جيرانه الفقراء ثم الخامسة في سبيل الله وهو أحسنها أجراً.

وقال النبي ﷺ للأنصاري حيث أعتق عند موته خمسة أو ستة من الرقيق ولم يكن يملك غيرهم وله اولاد صغار :

« لو أعلمتموني أمره ما تركتكم تدفونه مع المسلمين : ترك صبية صغراً يتكفون الناس . ثم قال حدثني أبي أن النبي ﷺ قال : ابدأ بمن تعول الأدنى فالأدنى . ثم هذا ما نطق به الكتاب رداً لقولكم ونهياً عنه مفروض من الله العزيز الحكيم قال : ﴿ الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ (٢٤) أفلا ترون أن الله تبارك وتعالى قال غير ما أراكم تدعون (الناس إليه من الأثرة على أنفسهم وسمى من فعل ماتدعون) (٢٥) إليه مسرفاً ، وفي غير آية من كتاب الله يقول : ﴿ إنه لا يحب المسرفين ﴾ (٢٦) فنهاهم عن الاسراف ونهاهم عن التقثير لكن أمر بين الأمرين ، لا يعطي جميع ما عنده ثم يدعوا الله أن يرزقه فلا يستجيب له للحديث الذي جاء عن النبي ﷺ :

(٢٤) الفرقان : ٦٧ .

(٢٥) ورد في البحار هنا تحت الخط : أن ما بين العلامتين ساقط من نسخة التحف والكمباني أضفناه من نسخة الكافي .

(٢٦) الانعام : ١٤١ .

والاعراف : ٣١ .

« إن أصنافاً من أمتي لا يستجاب دعاؤهم : رجل يدعو على والديه ، ورجل يدعو على غريمه ذهب له بمال ولم يشهد عليه ، ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله تخلية سبيلها بيده ، ورجل يقعد في البيت يقول : يا رب ارزقني ولا يخرج يطلب الرزق فيقول الله جل وعز : عبدي ! ألم أجعل لك السبيل إلى الطلب والضرب في الأرض بجوارح صحيحة ؟ فتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع أمري ، ولكي لا تكون كلاً على أهلك فإن شئت رزقتك وإن شئت قترت عليك ، وأنت معذور عندي ، ورجل رزقه الله ما لا كثيراً فأنفقه ثم أقبل يدعو يا رب ارزقني ، فيقول الله : ألم أرزقه رزقاً واسعاً ؟ ! أفلا اقتصدت فيه كما أمرتك ولم تسرف كما نهيتك ، ورجل يدعو في قطعة رحم . »

ثم علم الله نبيه كيف ينفق وذلك أنه كان عنده أوقية من ذهب فكره أن تبين عنده فتصدق وأصبح ليس لديه شيء ، وجاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه فلأما السائل وأغتم هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيماً رفيقاً فأدب الله نبيه بأمره إياه فقال : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد

(٢٧) الاسراء : ٢٩ .

ملوماً محسوراً^(٢٧) يقول : إن الناس قد يسألونك ولا يعذرونك فإذا أعطيت جميع ما عندك كنت قد حسرت من المال .

فهذه أحاديث رسول الله ﷺ يصدقها الكتاب والكتاب يصدقها أهله من المؤمنين . وقال أبو بكر^(٢٨) عند موته أوصي بالخمس والخمس كثير فإن الله قد رضي بالخمس فأوصى بالخمس وقد جعل الله له الثلث عند موته ولو علم أن الثلث خير له أوصى به ، ثم من قد علمتم بعده في فضله وزهده سلمان وأبوذر .

فأما سلمان فكان إذا أخذ عطاء رفع منه قوته لسنته حتى يحضره عطاؤه من قابل ، فقيل له : يا أبا عبد الله أنت في زهدك تصنع هذا ؟ وإنك لا تدري لعلك تموت اليوم أو غداً ؟ وكان جوابه أن قال : ما لكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم عليّ الفناء ؟ أو ما علمتم يا جيلة أن النفس قد تلتاث^(٢٩) على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما يعتمد عليه فإذا هي أحرزت معيشتها اطمأنت .

وأما أبو ذر فكانت له نويقات^(٣٠) وشويهات^(٣١) يحلبها ويذبح منها إذا اشتهى أهله اللحم أو نزل به ضيف أو رأى بأهل الماء الذين هم معه خصاصة نحر لهم الجزور أو من الشاء على قدر ما يذهب عنهم بقرم اللحم^(٣٢) فيقسّم بينهم ويأخذ كنصيب أحدهم لا يفضل عليهم ومن أزهّد من هؤلاء ؟ وقد قال فيهم رسول الله ﷺ ما قال ولم يبلغ من أمرهما أن صاراً لا يملكان شيئاً البتة كما تأمرون الناس بالبقاء أمتعتهم وشيئهم ويؤثرون به على أنفسهم وعيالاتهم .

واعلموا أيّها النفر أنّي سمعت أبي يروي عن آبائه أن رسول الله ﷺ قال يوماً : ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن ؛ إنه إن قرّض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيراً له ، وإن ملك ما بين مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له ، فكل ما يصنع الله به فهو خيرٌ له . فليت شعري هل يحق^(٣٣) فيكم اليوم ما قد شرحت لكم أم أزيدكم ؟

أوما علمتم أن الله جلّ اسمه فرض على المؤمنين في أول الأمر أن يقاتل الرجل فيهم عشرة من المشركين ليس له أن يولّي وجهه عنهم ، ومن ولّاهم يومئذ دبره فقد تبوأ مقعده من النار ، ثم حوّلهم من حالهم رحمة منه لهم فصار الرجل منهم عليه أن يقاتل الرجلين من المشركين تخفيفاً من الله عن المؤمنين فنسخ

(٢٨) كأن هذا احتجاج معهم بأبي بكر باعتباره من الستة .

(٢٩) أي تلتفت بصاحبها وتوسوس له .

(٣٠) جمع نويقة مصغر ناقة .

(٣١) جمع شويبة مصغر شاة .

(٣٢) فسر تحت الخط بشهوة اللحم والميل المفرط إلى أكله .

(٣٣) فُسر تحت الخط بمعنى هل يؤثر وينفذ فيكم هذا المقدار .

الرجلان العشرة .

وأخبروني أيضاً عن القضاة أَجَوُّرُ منهم حيث يفرضون على الرجل منكم نفقة امرأته إذا قال : أنا زاهد وأنه لا شيء لي ؟ فإن قلت جور ظلمتم أهل الإسلام ، وإن قلت بل عدل خصمتم أنفسكم . وحيث يردّون صدقة من تصدّق على المساكين عند الموت بأكثر من الثلث .

أخبروني لو كان الناس كلهم كما تريدون زهاداً لا حاجة لهم في متاع غيرهم فعلى من كان يتصدق بكفّارات الأيمان والنذور والصدقات من فرض الزكاة من الإبل والغنم والبقر وغير ذلك من الذهب والفضّة والنخل والزبيب وسائر ما قد وجبت فيه الزكاة ؟ إذا كان الأمر على ما تقولون ، لا ينبغي لأحد أن يحبس شيئاً من عرض الدنيا إلّا قدّمه وإن كان به خصاصة ، فبئس ما ذهبتم إليه وحملتكم الناس عليه من الجهل بكتاب الله وسنة نبيه وأحاديثه التي يصدّقها الكتاب المنزل وردكم أيّاهم بجهالتكم وترككم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالناسخ من المنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي .

وأخبروني أنتم عن سليمان بن داود عليه السلام حيث سأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله ذلك ، وكان يقول الحق ويعمل به ، ثم ما نجد الله عاب ذلك عليه ولا أحداً من المؤمنين ، وداود قبله في ملكه وشدة سلطانه .

ثم يوسف النبيّ حيث قال لملك مصر : ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ ^(٣٤) ، فكان من أمره الذي كان أن اختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمن ، فكانوا يمتارون الطعام من عنده لمجاعة أصابتهم ، وكان يقول الحقّ ويعمل به ، فلم نجد أحداً عاب ذلك عليه .

ثم ذو القرنين عبد الله فأحبّه طوى له الأسباب وملّكه مشارق الأرض ومغاربها ، وكان يقول الحقّ ويعمل به ، ثم لم نجد أحداً عاب ذلك عليه .

فتأدّبوا أيّها النفر بأداب الله للمؤمنين واقتصروا على أمر الله ونهيه ودعوا عنكم ما اشتبه عليكم ممّا لا علم لكم به ، وردّوا العلم إلى أهله تؤجروا وتعزّروا عند الله ، وكونوا في طلب علم الناسخ من القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه وما أحلّ الله فيه وما حرّم فإنه أقرب لكم من الله وأبعد لكم من الجهل ،

(٣٤) يوسف : ٥٦ .

ودعوا الجهالة لأهلها فإن أهل الجهل كثير وأهل العلم قليل وقد قال الله: ﴿فوق كل ذي علم عليم﴾ (٣٥)، انتهى الحديث (٣٦).

(٣٥) يوسف : ٧٦ .

(٣٦) وقد ورد هذا الحديث

أيضاً في البحار ٤٧ :

٢٣٢ - ٢٣٧ نقلًا عن الكافي

مع فارق يسير .

وللكلام عن مدئ وجود الناسخ والمنسوخ في القرآن وأن النسخ هنا هل يحمل على معناه المصطلح لدى الفقهاء أو يفسر بتفسير آخر مجال آخر .
ولنلخص الكلام حول المقصود ببيان أن هناك طرقاً ثلاثة لتَهذيب النفس وتصفيته ثالثها هو الصحيح والأولان ليسا شرعيين .

الطريق الأول :

الترهبين أو ترك الدنيا ونعيمها وهذا ما عرفت مما سردناه لك من الآيات والروايات خطأ ، نعم هناك نكتتان لا ينبغي إغفالهما :

الأولى : ان تنعم العبد بما أتاه الله تعالى من النعم المحلّة في الدنيا لا ينبغي أن يوجب تناسيه مواساة الآخرين أو تناسيه لما ينبغي أن يصرفه في مصالح الاسلام والمسلمين أو تغافله عن أمر الآخرة ، وقد مضى كلام امير المؤمنين عليه السلام للعلاء بن زياد : « ماكنت تصنع بسعة هذه الدار وانت إليها في الآخرة كنت أحوج ، وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة ... » .

والثانية : ان التمتع بتلك النعم المحلّة لا ينبغي أن يصل الى مستوى تعلّق القلب بها فيأسى على ما فاته ، بل ينبغي أن يكون في الرضا بقضاء الله على مستوى بحيث لو عاش في اليوم الأول غارقاً في النعم وفي اليوم الثاني فاقداً لها جميعاً لكان وضعه النفسي سواء ، وذلك تسليماً لما يرضاه الله تعالى وثقةً بانه سبحانه وتعالى لا يقدر إلا ما فيه الخير والصلاح ، وهذا هو الزهد المفهوم من قوله سبحانه وتعالى : ﴿ لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ (٣٧) فالزهد الحقيقي هو أن لا يملكك شيء لا أن لا تملك شيئاً .

(٣٧) الحديد : ٢٣ .

الطريق الثاني :

الابتعاد عن الخدمات الاجتماعية والسياسية للاسلام والمسلمين والتفرغ للخلوة مع الله سبحانه وتعالى وتركية النفس ، وهذا أيضاً غير صحيح فانه

خلاف مقام خلافة الانسان لله على وجه الأرض وخلاف ضرورة الاهتمام بأمور المسلمين وخلاف طريقة تربية الرسول ﷺ لأصحابه .

الطريق الثالث :

هو العمل في خطين متوازيين في وقت واحد ، أحدهما خط الخلو مع الله وتصفية الباطن عن طريق مدارس الوضع الباطني والاهتمام به ، والثاني خط الاهتمام بأمور الاسلام والمسلمين ، وهذا هو الطريق الصحيح .

وتوضيح المقصود : ان في نفس البشرية نقصين لابد من علاجهما في مقام السلوك إلى الله وارتقاء مدارج الكمال :

الأول : ضيق أفق نفس الشخص عن مصالح غيره وعدم الاهتمام إلا بمصالح نفسه ، في حين ان الآخرين أيضاً هم عباد الله والله تعالى يريد مصلحتهم .

والثاني : سمك المادّة الذي حجب عن المصالح المعنوية والامور الروحانية . ولربما يخفف البعض الضيق الأول فتراه يهتم بمصالح غيره ولو في اطار من القومية مثلاً ، والذي هو اطار ضيق بالقياس الى اطار البشرية أو اطار المذهب الصحيح ، ولكنه لم يخفف عن نفسه سمك المادّة ، بل قد لا يكون مؤمناً بما وراء المادّة ولا يؤمن بالله العليّ القدير ، وإن كان من صفته وشيمته الاهتمام بقومه أو بالانسانية مثلاً .

ولربما ترى بعض أهل العرفان (غير العرفان الصحيح الذي أراده الاسلام) يعكس الأمر فقد يخفف حجاب وسمك المادّة عن بصيرته ويلتذّ بلقاء الله بالمعنى المعنوي من اللقاء ولكنه يحصر ذلك في اطار نفسه لأنه يعيش ضيق أفق النفس فلا يهيمه الآخرون .

ويقول : أن علاج الآخرين انما يأتي حينما لا يضرّ بحالتي العرفانية أو يزعجها ، وقد تراه يستدل بقوله سبحانه وتعالى : ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ (٢٨) ، غفلة عن أن معنى الآية المباركة لو كان ذلك لكانت الآية في تناقض مع آيات الجهاد وآيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذن فمعنى الآية ليس هو هذا ، فان القرآن يفسّر بعضه بعضاً ، وإنما معنى الآية عدم التحسّر

(٢٨) المائدة : ١٠٥ ، وراجع

بهذا الصدد كتاب روح مجرد :

٥٩٨ كي ترى نموذجاً من هذا

الاستدلال .

على الذين لا ينفعهم الإرشاد والهداية فوزان الآية وزان قوله تعالى : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ ^(٣٩) وقوله تعالى : ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ ^(٤٠) .

(٣٩) فاطر : ٨ .

(٤٠) النحل : ١٢٧ والنمل : ٧٠ .

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن معنى قوله تعالى : ﴿ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا أهديتكم ﴾ فقال ﷺ : « انتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيت دنيا مؤثرة وشخاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليكم بخويصة نفسك وذر عوامهم » ^(٤١) .

(٤١) تفسير نمونه ٥ : ١١٠ .

(التفسير الأمثل)

وحينما وجب الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصبح الاتيان بذلك جزءاً من مفاد قوله تعالى : ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ لأن ترك ذاك الواجب يضّر بأنفسنا .

ولو صح ما يقوله بعض المنحرفين من ان الانسان يصل بتهذيب النفس والتجرد عن شُك المادة الى حدّ يذوب ذوباناً حقيقياً في الله ، بمعنى أنه يصبح هو الله نفسه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - لكان كلا النقصين اللذين اشرنا اليهما في النفس البشرية يرتفعان بذلك ، لأنه أصبح هو الله سبحانه وتعالى وصح له أن يقول : ليس في جبتي إلا الله ، ألا أن هذا هو الكفر بعينه ، ولو كان كلامهم جدياً وعلى نحو الاعتقاد لا الكذب والدجل كان جوابه الفلسفي : ان النقص البشري ليس فقط في الجانب المادي حتى يفترض ان التخلص عن هذه المادة والتجرد الحقيقي عنها - لو أمكن - لا يَبْقَى فرقاً بينه وبين الله ويكون هو هو ، بل الجانب المجرد من الانسان أيضاً مشتمل على الحد الماهوي ونقص الامكان والحدوث وسائر النقائص التي هي ذاتية له ، فلا معنى لفرض التجرد عنها .

والطريق الثالث هذا هو علاج كلا النقصين اللذين اشرنا اليهما بقدر الامكان وهما حجاب شُك المادة في مقابل المعنويات وضيق الأفق في مقابل الآخرين ، وهذان المنهجان أعني نهج ترقيق حجاب المادة والالتذاذ بالمعنويات وتوسيع الأفق الضيق الذي حصرنا في الاهتمام بالتذاذ أنفسنا ولو التذاذاً معنوياً لو لم يعتمد الى الفصل بينهما فهما بحد ذاتهما متفاعلان فيما بينهما .

وقد ورد في الحديث عن الصادق عليه السلام : « خصلتان من كانتا فيه وآلا فاعزب ثم اعزب . قيل وما هما ؟ قال : الصلاة في مواقيتها والحفاظة عليها ، والمواساة » ^(٤٢) .

(٤٢) البحار ٨ : ٨٢ .

أقول : كأن الاولى وهي المحافظة على الصلاة في مواقيتها تنظر الى جانب ترقيق حجاب سُمْك المادّة ، والثانية وهي المواساة تنظر الى جانب كسر ضيق أفق النفس وتمحوره على مصالح نفسه دون الآخرين .

وقد ورد في كلمات أهل العرفان الكاذب : أنه لا بد للسالك أن يذبح نفسه كي يصل إلى المقصود ، ولا يقدر أحد على ذبح نفسه لأنه يتحرك على أي حال عن التذاذن نفسه وحبّه لنفسه ، وحتى حينما يريد أن يصل إلى مرحلة الفناء في الله انما يريد ذلك ليكمل نفسه بذلك ، اذن فالعلاج في تحقق الذبح هو أن يذبحه غيره على خلاف رغبته وطلبه (٤٣) .

ومن القصص التي يذكرها هؤلاء ما يلي :

جاء في كتاب روح مجرد (٤٤) : ان الحاج محمد رضا كان له مقام علمي وله تأليفات كثيرة وكان يسكن بروجرد ، واتهمه البروجرديون بالتصوّف وصادروا أمواله وأخرجوه من بروجرد ، فذهب إلى تبريز وأصبح محبوباً لدى أهل تبريز وكان يجتمع تحت خطابه خلق كثير ، وفي أحد الأيام كان جميع الناس ملتقّين حول منبره لسماع خطابه وكانت للتجمع منظره عظيمة في نفسه : ان هذا التوجه والالتفات من قبل التبريزيين عوض من الأذيّات والمحن التي شاهدها من البروجرديين ، وإذا بدرويش دخل واتجه رأساً نحو المنبر ، ناجاه في أذنه بكلام وكأنه كان ذاك الكلام : (هل أفعل ما يجب أن أفعل ؟) فقال الحاج محمد رضا : نعم . فالدرويش أخذ عمامة الحاج محمد رضا ولفّها حول عنقه وجزّه من على المنبر وأخرجه من المسجد تلافياً لهذا الخطور النفساني ، وهذا الدرويش كان قد أرسله من دكن الذي هو من بلاد الهند استاذ الحاج محمد رضا المدعو : السيد علي رضا الدكني قائلاً له : اذهب فوراً إلى تبريز فإن ولياً من أولياء الله كاد أن يهلك فعليك بإنقاذه . وبهذا الاسلوب نجا الحاج محمد رضا من الهلاك .

اقول : لو صحت هذه الكلمات ولم تكن دجلاً فعليك بالمقايسة بين هذا الاسلوب واسلوب تربية الاسلام الذي يعالج في وقت واحد حجاب سُمْك المادّة وضيق النفس الموجب لدورانها حول ذاتها فيهيئ الانسان لتضحية نفسه بنفسه لا لذبح شخص آخر له ، بالرغم من رغبته وارادته وإليك بعض الأمثلة :

(٤٣) راجع كتاب روح مجرد

٥٩١ :

(٤٤) ص ٣٤٢ تحت الخط .

١ - زهير بن القين كان يمتنع عن منازلة الحسين عليه السلام في الطريق فنزل في منزل لم يجد بداً من أن ينازله ؛ فبينما هو واصحابه جلوس يتغدّون إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتى سلّم ثم دخل ، فقال : يا زهير بن القين ان أبا عبد الله الحسين بعثني اليك لتأتيه ، فطرح كل انسان منهم ما في يده حتى كأن على رؤوسهم الطير ، فقالت له امرأته : سبحان الله أبيعث اليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه ؟! لو تأتيه فسمعت كلامه ثم انصرفت . فأتاه زهير بن القين ، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقوض وحمل الى الحسين عليه السلام ، ثم قال لامرأته أنت طالق الحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير وقد عزمت على صحبة الحسين ، لأفديه بروحي وأقيه بنفسي ، ثم أعطاه مالها وسلمها إلى بعض بني عمّها ليوصلها إلى أهلها ، فقامت اليه وبكت وودّعته وقالت : خار الله لك ، أسألك أن تذكرني في يوم القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام ، ثم قال لأصحابه من أحبّ منكم أن يتبعني وإلا فهو آخر العهد . إنني سأحدثكم حديثاً : إنّا غزونا البحر ففتح الله علينا وأصبنا غنائم ، فقال لنا سلمان أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم ؟ فقلنا : نعم ، فقال : إذا أدركتم سيّد شباب آل محمد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه مما أصبتم اليوم من الغنائم . فأما أنا فأستودكم الله ، قالوا : ثم والله ما زال في القوم مع الحسين حتى قتل رحمه الله (٤٥) .

هكذا يعلم الاسلام الانسان درس التضحية والفداء بمحض اختياره وتمايز ارادته ، لا الذبح بيد شخص آخر بالرغم من طوعه ورجبته ، فهذا الذي كان أبغض شيء عليه عليه منازلة الحسين عليه السلام آل أمره إلى أن قال للحسين عليه السلام حينما رفع بيعته عن أصحابه ليلة العاشر من المحرم : والله لو ددت أني قتلت ثم نُشرت ثم قتلت حتى أقتل هكذا ألف مرّة ، وإن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء القتيلين من أهل بيتك (٤٦) .

٢ - شبابنا في جبهة القتال في الحرب الظالمة التي شنها طاغية العراق صدام على إيران الاسلام كانوا يتهافتون ويتسابقون لتفدية أنفسهم بالسير على الألغام لفتح الطريق للمقاتلين لا لتكميل أنفسهم (وإن كملوا بذلك) بل لإعلاء كلمة الله على

(٤٤) البحار ٣٧١: ٤٤ - ٣٧٢ .

أما ماجاء فيه من كلمة : «إنّا غزونا البحر» فيبدو أنه قد

ورد في بعض نسخ التاريخ :

«إنّا غزونا البحر من بلاد

الخرز» وفي بعض نسخ

التاريخ : «إنّا غزونا بلنجر من

بلاد الخزري» راجع بهذا

الصدد الدوافع الذاتية لأنصار

الحسين تأليف محمد علي

عابدين : ١٥٥ ، وقد ورد في

كتاب معالم المدرستين للسيد

العسكري (حفظه الله) ٢ : ٧٩

ط ٤ : «غزونا بلنجر» ففتح الله

علينا وأصبنا غنائم فقال لنا

سلمان «الباهلي : أفرحتم ...»

وقد نقل الرواية عن الطبري ٦

: ٢٢٤ - ٢٢٥ وقال تحت الخط

: سلمان المذكور هو ابن

ربيعة الباهلي أرسله الخليفة

عثمان لغزو اران من

أذربايجان ففتح كورها

صلحاً وحرباً وقتل خلف نهر

بلنجر . فتوح البلدان : ٢٤٠ -

٢٤١ ، وراجع ترجمته في

أسد الغابة ٢ : ٢٢٥ . انتهى ما

تحت الخط من كتاب السيد

العسكري (حفظه الله) .

وجه الأرض .

(٤٦) البحار ٤٤ : ٣٩٣

٣ - العباس عليه السلام لا يمتنع عن شرب الماء لتكميل نفسه وإن كملت نفسه بذلك وكانت كاملة من قبل ، وإنما يمتنع عن ذلك لأنه تذكر عطش الحسين عليه السلام وأهل بيته فرمى الماء وملاً القربة وقال :

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارداً المعين
تالله ما هذا فعال دين (٤٧)

(٤٧) البحار ٤٥ : ٤١

المتن وتحت الخط .

هذا هو والله ذبح النفس المنتهي الى خطاب العباس عليه السلام لنفسه بالأمر بالهوان وبالفناء ، وليس ذبح النفس أن يأتي درويش ويلفّ العمامة على عنق الخطيب ويخرجه من المسجد ، فان ذبح شخص لنفس شخص آخر لا قيمة له ، وإنما القيمة تكمن في التضحية والفداء بمحض الارادة والاختيار .

كل هذا بعد افتراض ان كلمات الصوفية لا تكون دجلاً وكذباً .
والعمل السياسي الاجتماعي في سبيل الله من أقصر الطرق لرفع سُمك المادّة عن ملاحظة المعنويات أيضاً ولتهذيب النفس وتزكيتها . واليك مثالان من آلاف الامثلة :

(٤٨) المصدر نفسه : ١٧ -

١٨

١ - روي (٤٨) أن وهب كان نصرانياً فأسلم هو وأمه على يدي الحسين عليه السلام . وأمرته أمّه في يوم عاشوراء بنصر ابن بنت رسول الله . فقال : أفعل يا أمّاه ولا أقصر . فبرز وقاتل وقتل من الأعداء جماعة ، فرجع إلى أمّه وامرأته فوقف عليهما فقال : يا أمّاه أرضيت ؟ فقالت : ما رضيت أو تقتل بين يدي الحسين عليه السلام . فقالت امرأته : بالله لا تفجعني في نفسك . فقالت أمّه : يا بني لا تقبل قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن رسول الله فيكون غداً في القيامة شافعاً لك بين يدي الله . فرجع وقاتل وقتل جمعاً إلى أن قطعت يداه ، فأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول : فذاك أبي وأمي قاتل دون الطيبين حرم رسول الله . فأقبل كي يردّها إلى النساء ، فأخذت بجانب ثوبه وقالت : لن أعود أو أموت معك . فقال الحسين عليه السلام : جزيتم من أهل بيتي ، ارجعي إلى النساء رحمك الله ، فانصرفت ، وجعل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه .

٢- ان حَرْبَن يَزِيدُ الرِّياحِي ارْتَكَبَ أَعْظَمَ جَرِيْمَةٍ بِمَنْعِهِ لِلْحُسَيْنِ (ع) وَأَصْحَابِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَكِنِ الْمَشْهَدَ الْاجْتِمَاعِي الَّذِي شَاهَدَهُ فِي كَرْبَلَاءِ هَذِهِ (٤٩) إِلَى حَدٍّ أَخَذَتْهُ الرَّعْدَةُ ، فَقَالَ لَهُ الْمُهَاجِرُ بْنُ أَوْسٍ : إِنْ أَمَرَكُ لِمَرْيَبٍ ! وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ فِي مَوْقِفٍ قَطُّ مِثْلَ هَذَا ، وَلَوْ قِيلَ لِي مِنْ أَشْجَعِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ؟ لِمَا عَدَوْتُكَ . فَمَا هَذَا الَّذِي أَرَى مِنْكَ ؟ .

فَقَالَ لَهُ الْحَرْبِيُّ : إِنِّي وَاللَّهِ أَخِيرُ نَفْسِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَوَاللَّهِ لَا أُخْتَارُ عَلَى الْجَنَّةِ شَيْئًا وَلَوْ قُطِّعَتْ وَأُحْرِقَتْ ، ثُمَّ ضُرِبَ فَرَسُهُ فَلَحِقَ الْحُسَيْنِ (ع) ، فَقَالَ لَهُ : جَعَلْتَ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَنَا صَاحِبُكَ الَّذِي حَبَسْتُكَ عَنِ الرَّجُوعِ وَسَايَرْتُكَ فِي الطَّرِيقِ وَجَعَجَعْتُ بِكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ يَرُدُّونَ عَلَيْكَ مَا عَرَضْتَهُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَبْلُغُونَ مِنْكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ، وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّهُمْ يَنْتَهَوْنَ بِكَ إِلَى مَا أَرَى مَا رَكِبْتُ مِثْلَ الَّذِي رَكِبْتَ ، وَأَنَا تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ مِمَّا صَنَعْتُ ، فَتَرَى لِي مِنْ ذَلِكَ تَوْبَةٌ ؟ فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنِ (ع) : نَعَمْ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْكَ . فَقَاتَلَ (ع) الْأَعْدَاءَ إِلَى أَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَاحْتَمَلَهُ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ (ع) حَتَّى وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيِ الْحُسَيْنِ (ع) وَبِهِ رَمَقٌ ، فَجَعَلَ الْحُسَيْنِ (ع) يَمْسَحُ وَجْهَهُ وَيَقُولُ : أَنْتَ الْحَرْ كَمَا سَمَّيْتُكَ أُمُّكَ وَأَنْتَ الْحَرْ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْحَرْ فِي الْآخِرَةِ .

والخلاصة : ان المسلك الصحيح في تهذيب النفس وتركيتها هو الجمع بين الأمرين : كسر ضيق النفس عن مصالح الآخرين ، وتخفيف حجاب سمك المادّة عن مشاهدة المعنويات والسفر إليها والالتذاذ بلقاء الله بعين القلب والبصيرة .
ففي الأول يجب أن نقنّدي بإمامنا أمير المؤمنين (ع) الذي كان يعطف على الأسير الذي تحت يده ، وإن كان قاتلاً له (ع) ويقول للحسن (ع) : « ارفق يا ولدي بأسيرك وارحمه وأحسن إليه وأشفق عليه ، ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أم رأسه وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفرعاً » فقال له الحسن (ع) : « يا أباه قد قتلك هذا اللعين الفاجر وأفجعنا فيك ، وأنت تأمرنا بالرفق به ؟ » فقال له : « نعم يا بني نحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا كرماً وعفواً ، والرحمة والشفقة من شيمتنا لا من شيمته .
بحقّي عليك فأطعمه يا بني مما تأكله وأسقه مما تشرب ، ولا تقفد له قدماً ولا تغلّ له يداً فإن أنا مت فاقض منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة ، ولا تحرقه بالنار ولا تمثّل

بالرجل . فإني سمعت جدك رسول الله ﷺ يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور .
وإن أنا عشت فأنا أولى بالعفو عنه وأنا أعلم بما أفعل به ، فإن عفوت فنحن أهل بيت
لا نزداد على المذنب إلينا إلا عفواً وكرماً » (٥٠) .

(٥٠) البحار ٢٨٧: ٤٢ - ٢٨٨ .

وفي الثاني أيضاً لدينا نصوص كثيرة وإليك القليل منها :

١ - روى المجلسي رحمه الله عن السيد الداماد : في الخبر عن مولانا الصادق عليه السلام :

(٥١) البحار ٨٢ : ٣٠٥ .

« ان القلب السليم الذي يلقي ربه وليس فيه أحد غيره » (٥١) . وهذا يعني ان كل ما
سوى الله ليس له وجود في قلبه إلا بأن يتلَوْنَ بلونه سبحانه ؛ فإذا أحب ولده أو
تلاطف مع عائلته فإنما يفعل ذلك لأن الله أمر بذلك ، وإذا أحب أولياء الله فلاَنهم
مَتَصِفُونَ بصفات الله ومتقربون إلى الله ، وإذا اكتسب أخاً فهو يكتسبه في الله .
وقد ورد أيضاً عن سفيان بن عيينة قال : سألت الصادق عليه السلام عن قول الله
عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ قال : « السليم الذي يلقي قلبه وليس فيه أحد
سواه » (٥٢) .

(٥٢) البحار ٧٠ : ٥٩ .

وعن الصادق عليه السلام : « صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم ، لأن سلامة
القلب من هواجس المذكورات تخلص النية لله في الامور كلها » (٥٣) .

(٥٣) تفسير نمونه ١٩ : ٨٨

وعن الصادق عليه السلام « القلب حرم الله ، فلا تُسكن حرم الله غير الله » (٥٤) .

(التفسير الأمثل) .

وروي أيضاً : « ان لله في عباده أنية وهو القلب فأحبها اليه أصفاه وأصلبها
وأرقها ؛ أصلبها في دين الله وأصفاه من الذنوب وأرقها على الاخوان » (٥٥) .

(٥٤) البحار ٧٠ : ٢٥ .

(٥٥) البحار ٧٠ : ٩٨ .

وعن علي عليه السلام : « يا كميل ان هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها » (٥٦) .

(٥٦) النهج : الحكمة ١٤٧ .

وعن النبي ﷺ : « لولا أن الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لنظروا إلى
الملوك » (٥٧) .

(٥٧) البحار ٧٠ : ٩٨ .

٢ - ورد في دعاء كميل : « واجعل لسانني بذكرك لهجا وقلبي بحبك متيماً » .
(يعني : مستعبداً من الله) .

٣ - وأيضاً ورد في دعاء كميل : « فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربّي صبرت
على عذابك فكيف أصبر على فراقك » .

٤ - ورد عن الصادق عليه السلام : « العبادة ثلاثة : قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً فتلك
عبادة العبيد ، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأجراء ، وقوم

(٥٨) الوسائل ١: ١٠٣ باب ٩

من مقدمة العبادات ح ١

بحسب طبعة مؤسسة آل

البيت .

(٥٩) القيامة : ٢١ - ٢٢ .

(٦٠) المطففين : ١٥ .

(٦١) التوبة : ٧٢ .

(٦٢) مفاتيح الجنان : ١٩٧ .

(٦٣) المصدر نفسه : ١٩٣ .

(٦٤) المصدر نفسه : ١٥٨ -

١٥٩ .

(٦٥) البحار ٧٨ : ١٤٠ - ١٤٧ .

حديث ٧ .

عبدوا الله عز وجل حباً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة» (٥٨) .

٥ - قال الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ (٥٩) وطبعاً المقصود هو النظر ببصيرة القلب لا بباصرة الوجه .

وفي مقابل ذلك ما ورد في القرآن بشأن المكذبين من قوله تعالى : ﴿ كلاً أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ (٦٠) .

٦ - وقال الله تعالى : ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ (٦١) ، اذن فرضوان الله خير من جنات عدن .

٧ - ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي : ﴿ لنن أدخلتني النار لأخبرن أهل النار بحبي لك ﴾ (٦٢) .

٨ - ورد أيضاً في دعاء أبي حمزة الثمالي : « الهي لو قرننتني بالأصفاد ومنعتني سيبك من بين الأشهاد ودلت على فضائحي عيون العباد وأمرت بي إلى النار وحلت بيني وبين الأبرار ما قطعت رجائي منك وما صرفت تأميلي للعفو عنك ولا خرج حبك من قلبي أنا لا أنسى أياديك عندي وسترك علي في دار الدنيا » (٦٣) .

٩ - ورد في دعاء عن الإمام زين العابدين عليه السلام هذا المقطع الرائع : « سيدي لو أن عذابي مما يزيد في ملكك لسألتك الصبر عليه ، غير أنني أعلم أنه لا يزيد في ملك طاعة المطيعين ولا ينقص منه معصية العاصين » (٦٤) .

١٠ - أختتم هذا المختصر من تجميع الكلمات العرفانية الراقية والتي هي فوق أفهامنا الاعتيادية والمنتشرة في نصوص الكتاب والسنة بما كان يشير إليه السيد الامام الخميني عليه السلام في بعض بياناته ، وهو التعبير الوارد في المناجاة الشعبانية (٦٥) : « الهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأبصر قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك » .

دراسات

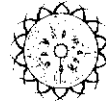
* عز الدين سليم

(العراق)

ظُرُوفُ حَدِيثِ الْغَدِيرِ

(١)

٣ - مِمَّ اكْتَسَبَ حَدِيثُ الْغَدِيرِ أَهَمِّيَّتَهُ ؟



لم يكتسب حديث الغدير أهميته بسبب استفاضته وصحته واهتمام أهل العلم به مضموناً وطُرُقاً منذ صدع الرسول الخاتم ﷺ به حتى اليوم فحسب ، وإنما احتل هذا النص الالهي المبارك موقعه المتميز بين النصوص المثيلة له لاسباب زمنية ومكانية من جهة ، ولاسباب ذات صلة بمستقبل الرسالة الالهية الخاتمة من جهة اخرى ، وإلا فإن النصوص المصرحة بمضمون حديث الغدير كثيرة جداً ، اضافة إلى قيمتها العلمية من ناحية طرق اسنادها ووثاقة رواتها. وسنستعرض بعضاً من تلك النصوص بعد قليل .

ويمكننا هنا أن نسجل العوامل التي اكسبت حديث الغدير قيمته المتميزة

بما يلي :

أ- ان حديث الغدير المبارك قد اقترن بنزول آية التبليغ من سورة المائدة التي الرمت النبي الخاتم ﷺ بنصب علي بن أبي طالب عليه السلام قائداً للأمة بعد رحيله إلى الرفيق الاعلى :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

فقد حدّث الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى عام ٣١٠ هـ ، باسناده عن زيد بن ارقم (كما في كتاب الولاية في طرق حديث الغدير) قال (٢) : لما

(١) المائدة : ٦٧ .

(٢) الغدير ١ : ٢١٤ - ٢١٨ .

بأسانيده .

نزل النبي ﷺ بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع وكان في وقت الضحى وحر شديد ، أمر بالدوحات فمقت و نادى : الصلاة جامعة ، فاجتمعنا ، فخطب خطبة بالغة ثم قال : ان الله تعالى أنزل إليّ : ﴿ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل أبيض وأسود : ان علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والامام بعدي ، فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربي لعلمي بقلّة المتقين وكثرة المؤمنين لي واللائمين لكثرة ملازمتي لعلي وشدة اقباله عليه حتى سموني اذنأ ، فقال تعالى : ﴿ وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذنُ قُلْ أَذْنُ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ . ولو شئت أن أسميهم وأدل عليهم لفعلت ولكني بسترهم قد تكرمت ، فلم يرض الله إلا بتبليغي فيه فاعلموا معاشر الناس ذلك : فان الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً ، وفرض طاعته على كلّ أحد . ماض حكمه ، جائز قوله ، ملعون من خالفه ، مرحوم من صدقه . اسمعوا واطيعوا ، فان الله مولاكم وعلي إمامكم ، ثم الامامة في ولدي من صلبه إلى القيامة ، لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله ، ولا حرام إلا ما حرم الله ورسوله وهم ، فما من علم إلا وقد أحصاه الله في ونقلته إليه فلا تضلوا عنه ولا تستكفوا منه ، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به ، لن يتوب الله على أحد أنكره ولن يغفر له ، حتماً على الله أن يفعل ذلك أن يعذبه عذاباً نكراً أبداً الأبد ، فهو أفضل الناس بعدي ما نزل الرزق وبقي الخلق ، ملعون من خالفه ، قولي عن جبرئيل عن الله . فليتنظر نفس ما قدمت لغد .

افهموا محكم القرآن ولا تتبعوا متشابهه ، ولن يفسر ذلك لكم إلا من أنا أخذ بيده وشاغل بعضده ومعلمكم ان : من كنت مولا فهذا مولا ، ومولاته من الله عز وجل انزلها عليّ . ألا وقد أدبت ألا وقد بلغت ألا وقد اسمعت ، ألا وقد أوضحت ، لا تحل امرة المؤمنين بعد لأحد غيره ، ثم رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركة النبي ﷺ وقال : معاشر الناس ، هذا أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي علي من آمن بي وعلي تفسير كتاب ربي . وفي رواية : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، والعن من انكره ، واغضب علي من جحد حقه . اللهم انك انزلت عند تعيين ذلك في علي ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ بإمامته ، فمن لم يأت به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة فأولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون ، ان ابليس أخرج آدم ﷺ من الجنة مع كونه

صفوة الله بالحسد ، فلا تحسدوا أعمالكم وتزل أقدامكم ، في علي نزلت سورة ﴿ والعصر ان الانسان لفي خسر ﴾ (٣) .

معاشر الناس ، امنوا بالله ورسوله والنور الذي انزل معه من قبل ان نطمس وجوها فنردها على اديبارهم ونلعنهم كما لعنا أصحاب السبت . النور من الله في ثم في علي ثم في النسل منه إلى القائم المهدي ، معاشر الناس ، سيكون من بعدي ائمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأن الله وأنا برينان منهم ، انهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار ، وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً فعندها يفرغ لكم أيها الثقلان ويرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران .

وحدث الحافظ ابن أبي حاتم أبو محمد الحنظلي الرازي المتوفى في ٣٢٧ هـ قال (باسناده عن أبي سعيد الخدري : ان الآية - آية التبليغ - نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خم في علي بن أبي طالب) (٤) .

وأخرج ابن مردويه المولود في ٣٢٣ والمتوفى في ٤١٦ هـ باسناده عن أبي سعيد الخدري : انها نزلت يوم غدير خم في علي بن أبي طالب . وباسناد آخر عن ابن مسعود انه قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - ان علياً مولى المؤمنين (٥) - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ (٦) .

وروى باسناده عن ابن عباس قال : لما أمر الله رسوله ﷺ أن يقوم بعلي فيقول له ما قال ، فقال : يا رب ان قومي حديثو عهد بجاهلية ، ثم مضى بحجه ، فلما أقبل راجعاً ونزل بغدير خم أنزل الله عليه : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ الآية ، فأخذ بعضد علي ثم خرج إلى الناس فقال : « أيها الناس ، أنست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : اللهم من كنت مولاة فعلي مولاة ، اللهم وإل من والاه ، وعاد من عاداه ، واعن من أعانته ، واخذل من خذله ، وانصر من نصره ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه » . قال ابن عباس : فوجبت والله في رقاب القوم ، وقال حسان بن ثابت :

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيهِمْ بِخَمٍّ وَأَسْمَغَ بِالرَّسُولِ مَنَادِيَا

(٣) في الدر المنثور ٢: ٢٩٢.

من طريق ابن مردويه عن

ابن عباس أن قوله تعالى :

﴿ الا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات ﴾ ، نزل في

علي وسلمان .

(٤) الدر المنثور ٢: ٢٩٨ .

وفتح القدير ٢: ٥٧ .

(٥) لعل المراد من تكر

الزيادة المذكورة (ان علياً

مولى المؤمنين) هو شرح

للآية وايضاح لمضمونها ،

وليس المراد أنه جزء من آية

التبليغ .

(٦) روى الحديثين عنه

السيوطي في الدر المنثور

٢: ٢٩٨ ، والشوكاني في فتح

القدير ، والاربلي في كشف

الغمة ١: ٣١٧ عنه عن زرعن

ابن مسعود .

يقول : فمن مولاكم ووليكم فقالوا ولم يُبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا ولم تَرِ مَنَّا في الولاية عاصيا
فقال له : قم يا علي فسانني رضيك من بعدي إماماً وهاديا

وروى عن زيد بن علي أنه قال : لما جاء جبرئيل بأمر الولاية ضاق النبي ﷺ بذلك ذرعاً وقال : قومي حديثو عهد بالجاهلية فنزلت الآية (٧).

(٧) كشف الغمة ١ : ٣١٧.

وأخرج أبو اسحاق الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧ هـ في تفسيره «الكشف والبيان» عن أبي جعفر محمد بن علي (الامام الباقر) ان معناها : بلغ ما انزل اليك من ربك في فضل علي ، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بيد علي فقال : من كنت مولاة فعلي مولاة .

وقال : اخبرني أبو محمد بن عبد الله بن محمد القايني ، حدثنا أبو الحسين محمد بن عثمان النصيبي ، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن السبيعي ، حدثنا علي بن محمد الدهان والحسين بن ابراهيم الجصاص ، حدثنا حسين بن حكم ، حدثنا حسن بن حسين عن حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ﴾ ، الآية ، قال : نزلت في علي ، أمر النبي ﷺ أن يبلغ فيه فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي فقال : « من كنت مولاة فعلي مولاة ، اللهم وال من ولاه ، وعاد من عاداه » (٨) .

ومن نافلة القول أن نذكر هنا ان آية التبليغ بالاضافة إلى حملها الأمر الإلهي بالتبليغ لامامة علي عليه السلام على الأمة بعد النبي ﷺ فإنها حملت ضماناً من الله تعالى لحفظ النبي ﷺ من الاثارات المحبطة لعملية التبليغ .

فقد كان رسول الله ﷺ مدركاً أن قومه حديثو عهد بالجاهلية ، وأنهم طالما عارضوا أحكام النبي ﷺ وقراراته ونقضوها ، كما حدث في صلح الحديبية ، وفي وقعة أحد وغيرها (٩) ، فلما علم الله تعالى هذه المخاوف من النبي ﷺ - وهي مخاوف واقعية - أخبره تعالى بصيانيته وصد المثيرين للفتنة عنه حتى ينفذ أمر الله عز وجل .

ان مثل هذه الضوابط من وجوب التبليغ ، وتبني صيانة النبي ﷺ أثناء ذلك

بحث قادم .

(٨) روى الحديثين عنه ابن بطريق في العمدة : ٤٩ ، والسيد ابن طاووس في الطرائف ، والاربلي في كشف الغسمة ١ : ٣١٧ ، ونقل الطبرسي في مجمعه ٢ : ٢٢٢ ثاني الحديثين عن تفسيره الكشف والبيان ، وابن شهر آشوب عنه أول الحديثين في مناقبه ١ : ٥٢٦ .

(٩) سنذكر نماذج من مخالفات الصحابة لرسول الله ﷺ في

التبليغ ، أمور لم ترافق اية قرارات أو أحكام أو مفاهيم بلغها النبي ﷺ لقومه قبل هذا الأمر ولا بعده أبداً !

ب - إن عملية التبليغ التي نفذها النبي ﷺ قد جرت أمام عشرات الآلاف من المسلمين الذين حج بهم النبي ﷺ في آخر حجة له ﷺ حيث أنهت بعض الروايات عددهم إلى أكثر من مائة ألف .

ولم تجر أية عملية مماثلة لهذه العملية التبليغية المشهودة على الإطلاق ، فانه من المقطوع به أن النبي ﷺ طوال سيرته المطهرة - فيما نعلم - لم يبلغ حكماً أو قراراً أو موقفاً في عدد من المسلمين بهذا المستوى من الناحية الكمية ولا من الناحية الكيفية ، الأمر الذي يشير إلى تميز حديث الغدير على سواه من الأحاديث التي وردت بهذا المضمون أو غيره .

ج - إن حديث الغدير الذي صدع به النبي الأمين ﷺ قد توفرت له من الأجواء العاطفية ما لم تتوفر لغيره على الإطلاق ، فقد ربط النبي الخاتم ﷺ بين هذا البلاغ المخلد ، وخدماته الجليلة للمسلمين إضافة إلى اشعار الحاضرين باقتراب أجله ، وأنه قريباً مفارق لامته :

« أيها الناس انه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله ، وإني لأظن أن أدعى فأجيب ، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون ، هل بلغت ؟ فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نقول : قد بلغت ، وجهدت ، ونصحت ، فجزاك الله خيراً ... » .

« أيها الناس : فانه لم يكن لنبي من العمر إلا النصف من عمر الذي قبله ، وإن عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة ، وإني شرعت في العشرين^(١٠) ألا وإني يوشك أن أفارقكم ، ألا وإني مسؤول وأنتم مسؤولون ، فهل بلغتكم ؟ فماذا أنتم قائلون ؟ فقام من كل ناحية من القوم مجيب يقولون : نشهد أنك عبد الله ورسوله قد بلغت رسالته وجاهدت في سبيله ، وصدعت بأمره ، وعبدته حتى أتاك اليقين ، جزاك الله خير ما جزى نبياً عن أمته ... »

إن هذه الأجواء العاطفية المؤثرة قد كانت أخصب ظرف لتبليغ النبي ﷺ لما دعاه الله عز وجل لتبليغه من امامة علي بن أبي طالب عليه السلام لأن الأجواء التي أثارها النبي ﷺ كانت جديرة أن تترسخ فيها الأفكار وتلتزم وتتأصل ، وهي كذلك لولا

(١٠) يشير ﷺ إلى أنه مضى على دعوته لقومه أكثر من عشرين عاماً وهي أمانة على اقتراب أجله .

الفتنة التي أملت بالمسلمين بعد رحيل المصطفى ﷺ .

د- إن من مزايا حديث الغدير نزول آية الاكمال بعد تبليغه : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ (١١) .

(١١) المائدة : ٣ .

فقد ربط القرآن الكريم بين التبليغ بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام من خلال حديث الغدير وعملية اكمال الدين واتمام النعمة على العباد رغم أن الآية المذكورة لم تكن آخر آيات القرآن نزولاً ، فكان اكمال الدين واتمام النعمة بتعيين القيم على القرآن وأمير المؤمنين بعد رسول الله ﷺ الذي يشكّل تعيينه الامتداد الطبيعي للرسالة وحفظ الشريعة الخاتمة وصونها بالهادي بعد الرسول ﷺ . ولا بأس أن نذكر طرفاً من الروايات التي أكدت نزول آية الاكمال في حادثة يوم الغدير :

فقد حدث الحافظ ابن مردويه الاصفهاني المتوفى سنة ٤١٠ هـ ، من طريق أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى : انها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خم حين قال لعلي : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ، ثم رواه عن أبي هريرة وفيه : انه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع (١٢) .

(١٢) تفسير ابن كثير ٢ : ١٤٠ .

وأخرج الحافظ أبو نعيم الاصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ في كتابه (ما نزل من القرآن في علي) ، قال : حدثنا محمد بن أحمد بن علي بن مخلد المحتسب المتوفى عام ٣٥٧ هـ قال : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال : حدثني يحيى الحماني قال : حدثني قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى عليه السلام : ان النبي ﷺ لما دعا الناس إلى علي في غدير خم أمر بما تحت الشجرة من الشوك فقمّ وذلك يوم الخميس فدعا علياً فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض أبطي رسول الله ﷺ ثم لم يترقوا حتى نزلت هذه الآية : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ الآية فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر على اكمال الدين ، واتمام النعمة ورضى الرب برسالتى ، وبالولاية لعلي من بعدي » .

وحدث الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣ هـ في تاريخه ٨ : ٢٩٠ عن عبد الله بن علي بن محمد بن بشران عن الحافظ علي بن عمر الدارقطني ، عن حبشون الخلال ، عن علي بن سعيد الرملي عن ضمرة عن ابن

شاذب ، عن مطر الوراق عن ابن حوشب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

وعن أحمد بن عبدالله النيري عن علي بن سعيد عن ضمرة عن ابن شاذب عن مطر عن أبي حوشب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « من صام يوم ثمان عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهرا » وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال : ألسنت أولى بالمؤمنين ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال عمر بن الخطاب : بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ، فأنزل الله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ، الآية . وحدث الحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني قال : أخبرنا أبو عبدالله الشيرازي ، قال : أخبرنا أبو بكر الجرجاني ، قال : حدثنا أبو أحمد البصري ، قال : حدثنا أحمد بن عمار بن خالد ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، قال : حدثنا قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري : ان رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ، قال : الله أكبر على إكمال الدين ، وإتمام النعمة ، ورضى الرب برسالتي ، وولاية علي بن أبي طالب من بعدي . وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله .

وحدث الخطباء الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٨ هـ قال في المناقب ص ٨٠ : أخبرنا سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه بن شهردار الديلمي فيما كتب إلي من همدان : أخبرني أبو الفتح عبدوس بن عبد الله بن عبدوس الهمداني كتابة ، حدثني عبدالله بن اسحاق البغوي ، حدثني الحسن بن عليل الغنوي ، حدثني محمد بن عبد الرحمن الزراع ، حدثني قيس بن حفص ، حدثني علي بن الحسن العبدى عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري أنه قال : ان النبي ﷺ يوم دعا الناس إلى غدير خم أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقمّ وذلك يوم الخميس ، ثم دعا الناس الى عليّ ، فأخذ بضبعه فرفعها حتى نظر الناس الى أبطيه حتى نزلت هذه الآية : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ، الآية ، إلى آخر الحديث بلفظ مر بطريق أبي نعيم الاصفهاني .

وحدث أبو حامد سعد الدين الصالحاني ، قال شهاب الدين أحمد في - توضيح

الدلائل على ترجيح الفضائل - وبالإسناد المذكور عن مجاهد رضي الله عنه قال : نزلت هذه الآية ﴿ اليوم أكملت لكم ﴾ بغدير خم فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضي الرب برسالي ، والولاية لعلي » ، رواه الصالحاني (١٣) .

(١٣) يراجع الغدير ١ : ٢٣١ -

٢٣٥ والمصادر الأخرى

المذكورة ضمن سلسلة

الأحاديث .

٤ - هل الجدة في مضمون حديث الغدير أم في طريقة أدائه ؟

لولا الخصوصيات المشار إليها التي رافقت حديث الغدير لكان أسوة بغيره من الأحاديث الشريفة التي اختص بها علي أمير المؤمنين عليه السلام من قبل رسول الله ﷺ إلا أن طريقة الأداء والظروف التي رافقت تبليغ الحديث المذكور إلى الأمة هي التي ميزته عن سائر الأحاديث المقصودة في هذا المضمون .

وهكذا فإن هذا الحديث المبارك قد احتل مقامه المحمود لا في جدة افكاره ومطالبه وإنما في الحيثيات التي رافقت أدائه وتبليغه لجماهير المسلمين في غدير خم في ظهيرة اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام عام ١٠ هـ .

وبمقدور الباحث في السيرة المطهرة أن يلتقي مع العديد من النصوص الشريفة سواء في الكتاب العزيز أو سنة المعصوم عليه السلام وهي تحمل مضامين حديث الغدير المبارك وإن كانت تؤدي بطريقة أقل إثارة من حديث الغدير الذي ظل صداه مدوياً عبر العصور ، وهذه بعض النصوص الشريفة بهذا الصدد :

أولاً : حين تلقى رسول الله ﷺ أمر ربه الأعلى بضرورة دعوة عشيرته الأقربين في الأيام الأولى من دعوته المباركة ﴿ وأنذر عشيرتَك الأقربين ﴾ وأخفّض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين ﴿ فان عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٤) ، أمر الرسول ﷺ علياً عليه السلام أن يدعو رجال عشيرته الأقربين إلى طعام عنده ، فحضروا دار رسول الله ﷺ وكانوا أربعين رجلاً .

وبعد أن تناولوا طعامهم ، بادرهم رسول الله ﷺ بقوله : « يا بني عبدالمطلب إن الله بعثني إلى الخلق كافة ، وبعثني إليكم خاصة ، فقال : وانذر عشيرتَك الأقربين وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ، ثقيلتين في الميزان ، تملكون بهما العرب والعجم ، وتنقاد لكم بهما الأمم . وتدخلون بهما الجنة ، وتنجون بهما من النار : شهادة أن لا إله إلا الله ، وإنّي رسول الله ، فمن يجيبني إلى هذا الأمر ، ويؤازرني عليه ،

(١٤) الشعراء : ٢١٤ - ٢١٦ .

(١٥) أخرج الحديث كل من ابن اسحاق ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبي نعيم ، والبيهقي في سننه ، وفي دلائله ، والتعلي والطبري في تفسيريهما لسورة الشعراء من تفسيريهما الكبيرين ، وأخرجه الطبري في تاريخه ٢ في عدة طرق وفي السيرة الحلبية ٢٨١:٨ وأخرجه الطحاوي والضياء المقدسي في مختاره ، وأحمد بن حنبل خصائصه ٦: ، وكنز العمال ٦ الحديث رقم ٦٠٠٨ ، والمفيد في إرشاده في مناقب علي عليه السلام وغير هؤلاء كثير وكلهم أوردوه بالفاظ متقاربة. وللإستزادة يراجع كتاب المراجعات للسيد شرف الدين ١٢٤: وما بعدها حيث استقصى مصادره .

(١٦) الكامل لابن الأثير ٢٤:٢ وبحار الأنوار للشيخ المجلسي ١٦٤:١٨ وفقه السيرة للشيخ محمد الغزالي : ١٠٢ - ١٠٣ .

وعلى القيام به يكن أخي ووصيي ووزير ووارثي وخليفتي من بعدي...» (١٥) .
وبين تجاوزات أبي لهب على النبي ﷺ ودعم أبي طالب وتأيدته للرسول ﷺ بقوله : « فامض لما أمرت به ، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك » (١٦) .
أقول : وبين إساءات أبي لهب ، وتأيد أبي طالب واسناده للنبي ﷺ وقف علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان أصغر الحاضرين سنّاً ، فقال : « أنا يا رسول الله أؤازرك على هذا الأمر » ، فأمره رسول الله ﷺ بالجلوس ، ولما لم يجب رسول الله أحد ، نهض علي تارة أخرى وأعلن مؤازرته للنبي ﷺ ، فأجلسه رسول الله ﷺ .
وأعاد الرسول ﷺ نداه لقومه مجدداً ، فلم يجبه أحد ، وكان علي (ع) وحده يلبي النداء ، ويجهر بالمؤازرة والنصرة ، فلما ينس النبي ﷺ من استجابتهم التفت إلى ملبي دعوته الوحيد قائلاً :
« اجلس فانت أخي ، ووصيي ، ووزير ، ووارثي ، وخليفتي من بعدي » (١٧) . ثم نهض القوم وهم يخاطبون أبا طالب : « ليهنئك اليوم ان دخلت في دين ابن أخيك ، فقد جعل ابنك أميراً عليك » (١٨) .
إن هذه الحادثة المسلمة ، وما جرى على لسان رسول الله ﷺ فيها بشأن علي عليه السلام ، تكشف بقوة ووضوح إن التبليغ بإمامة علي (ع) وخلافته للنبي ﷺ في أمته قد رافق دعوة النبي ﷺ للتوحيد والنبوة ، الأمر الذي يكشف عن ان هذه القضية من مسائل الاسلام الكبرى ومحاوره المركزية التي لم تعد قضية تاريخية عادية بقدر ماتشكل إحدى قيم الاسلام الكبرى التي ينبغي على المسلمين أن يلتفتوا إليها بوعي عميق .
ثانياً : آية الولاية صدعت بمضمون حديث الغدير :
من النصوص الكريمة التي صدعت بمضمون حديث الغدير قبل تبليغه من قبل رسول الله ﷺ لأمرته كانت آية الولاية : ﴿ إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاغِبُونَ ﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿ (١٩) .
فقد نزلت هذه الآية الكريمة مؤكدة ان الذين يلون أمر الناس ويتصرفون بشؤونهم دون سواهم هم الله جل جلاله الذي بيده الخلق والأمر ، ثم رسوله ﷺ ،

(١٨٨٧) خرج الحديث وما

مضى من فقراته كل من :

البیهقي في سننه ودلائله

والثعلبي والطبري في

تفسيرهما لسورة الشعراء في

تفسيريهما الكبيرين والطبري

في تاريخه ٢١٧:٢، وابن

الانسيرفي الكامل ٢: ٢٢

والسيرة الحلبية ٣٨١:١

وابن حنبل في مسنده ١١١:١

و ١٥٩ والنسائي في

الخصائص ٦، وكنز العمال

٦ رقم الحديث ٦٠٠٨،

وغير هذه المصادر بالناظر

مقاربة.

(١٩) المائدة : ٥٥ - ٥٦.

(٢٠) تراجع المصادر التالية :

صحيح النسائي ، أبو اسحاق

الثعلبي في تفسيره ،

والبيضاوي في تفسيره ،

والطبرسي في تفسيره ، وأبو

البركات النسفي في تفسيره ،

والطبري في تفسيره ،

والواحدي في أسباب النزول ،

والنيسابوري في تفسيره ،

والشلمنجي في نور الابصار

وابن حجر في صواعقه

المحرقة وأخطب خوارزم

ثم علي بن أبي طالب عليه السلام ، وحزب الله من البشر الواقفون تحت رايته دون سواهم
هم الذين يتولون الله ورسوله وعلي بن أبي طالب .

بقي أن توضح مسألتان هما :

أ - ما الدليل على أن المراد بالذين آمنوا هو علي عليه السلام مع أن اللفظ يفيد الجمع
ظاهراً ؟

ب - ما الدليل على أن المراد بالولي هنا هو الذي يلي أمر الناس ويتصرف في
شؤونهم دون غيره ، مع أن لفظ الولي لفظ مشترك ، يحتمل عدة معان ؟

وحول المسألة الأولى نقول : أن نزول الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام أمر
مفروق منه ، فقد أجمع المفسرون على أن سائلاً دخل مسجد النبي صلى الله عليه وآله يسأل
المسلمين سد فاقته ، فأشار علي عليه السلام إلى أصبعه وهو في حالة ركوع ، فانتزع
السائل خاتم علي عليه السلام من أصبعه ، وهكذا تصدق الامام عليه السلام وهو راکع ، فنزلت آية
الولاية (٢٠) .

على أن الحادثة المذكورة تحمل معها تفصيلات تبين المفسرون
والمؤرخون في نقلها نذكر منها ما يلي :

أخرج الامام أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري الثعلبي
المتوفى عام ٣٣٧ هـ في تفسيره الكبير عند تفسير هذه الآية باسناده إلى أبي ذر
الغفاري رضي الله عنه ما يلي : قال : «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين وإلا صمّتا ، ورأيت
بهاتين وإلا عميتا يقول : علي قائد البررة ، وقائد الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول
من خذله . أما أني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ، فسأل سائل في المسجد ،
فلم يعطه أحد شيئاً ، وكان علي راکعاً فأومأ بخنصره إليه وكان يتختم بها ، فأقبل
السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره ، فتضرع النبي صلى الله عليه وآله إلى الله عز وجل يدعو
فقال : «اللهم ان أخي موسى سألك ﴿ قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل
عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري
وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيراً ﴾ فأوحيت إليه
﴿ قد اوتيت سؤلک يا موسى ﴾ اللهم وإني عبدك ونبيك ، فاشرح لي صدري ويسر لي
أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري ، قال أبو ذر : فو الله ما استتم

رسول الله ﷺ الكلمة حتى هبط عليه الأمين جبرائيل بهذه الآية: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴿ (٢١) .

أما ما أشكل حول لفظ «الذين آمنوا» بأنها تطلق على الجمع ، فإن اللغة العربية قد ألفت هذا اللون من الاطلاق ؛ فكثيراً ما يطلق لفظ الجمع ويراد به المفرد ، تعظيماً لشأن المفرد المذكور ، أو تهويلاً لفعله ، وفي الكتاب العزيز مصاديق كثيرة لهذه الحالة نذكر منها :

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٢٢) .

فإجماع المفسرين ان القائل هو : نُعَيْم بن مسعود الاشجعي دون غيره ، فأطلق الله عز وجل عليه لفظ الناس مع أنه رجل واحد (٢٣) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ... ﴾ (٢٤) وكان الذي بسط يده ليفتك بالنبي ﷺ رجلاً واحداً (٢٥) .

وفي آية المباهلة ما يفيد هذا المعنى : ﴿ ... فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢٦) .

فقد عبر بلفظ الجمع عن النساء ، مع أن الحاضر من النساء في مباهلة النبي ﷺ للنصارى كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ دون سواها (٢٧) .

أما كون لفظ الولي مشتركاً في المسألة الثانية فهو صحيح من حيث المبدأ؛ حيث ترد كلمة الولي بمعنى المحب والصديق والنصير والحليف والاولى بالتصرف كالحاكم الشرعي وولي القاصر وولي المرأة وغير ذلك ، إلا أن القرائن تفيد أن لفظ الولي في آية الولاية ليس المحب ولا النصير ولا الصديق ولا أمثال ذلك ، وإنما قصدت الآية من الولاية التي حصرتها لله تعالى ولرسوله ﷺ ولعلي ﷺ دون سواهم هي : ولاية شؤون المسلمين والتصرف بأموالهم وليس سوى ذلك (٢٨) .

فان النصرة والمحبة والصداقة غير مقصورة على أحد من المؤمنين

الموفق بن أحمد الحنفي في المناقب وأعيان الشيعة للسيد الأُميين ج ٣: ق ١ ص ١٣٠ والجمع بين الصحاح الستة في تفسير سورة المائدة والامام القوشجي في مبحث الامامة من شرح التجريد وغيرهم

(٢١) المراجعات ص ١٦١ باسناده عن الثعلبي في تفسيره.

(٢٢) آل عمران : ١٧٣ .

(٢٣) تفسير سيد شير: ١٠٤ .

(٢٤) المائدة: ١١ .

(٢٥) تفسير مجمع البيان

١٦٩:٦ .

(٢٦) آل عمران: ٦١ .

(٢٧) يراجع تفسير

الزمخشري الكشف: ٣٦٨:١

كما يراجع تفسير الفخر

الرازي وصحيح مسلم

ومسند أحمد وغيرهم.

(٢٨) بحث شيخ الطائفة

المرحوم أبو جعفر محمد بن

الحسن الطوسي رحمه الله هذا

الموضوع من الناحية اللغوية

في ضوء آراء فقهاء اللغة ،

يراجع تلخيص الشافعي ١٨٢:٢

- ٢٠٥.

(٢٩) التوبة : ٧١.

والمسلمين دون أحد . يقول تعالى متحدثاً عن ولاية المؤمنين لبعضهم بعضاً ، وهي ولاية المحبة والنصرة : ﴿ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴾ (٢٩) .

ولذا فانه بعد تقرير الله تعالى لحالة المودة والنصرة بين عموم المؤمنين في آياته وتعليماته فليس من المعقول أن نفسر آية الولاية بهذا المعنى ، لا سيما وأن مطلع الآية قد ارتبط بأداة الحصر (انما) مما يجعل من غير المناسب في منهج القرآن الكريم - وهو معجزة بيانية - أن يستعمل أداة الحصر ثم يقصد شيئاً بعد إيرادها قد شاءه لعموم المسلمين .

إن مجرد الاحتمال من هذا القبيل يسيء لبلاغة القرآن الكريم ومقاصده الرسالية معاً .

هذا ومن الجدير ذكره أن بعض الأحاديث الشريفة التي حملت لفظ (الولي) تؤكد ما ذهبنا إليه .

فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن سعيد بن جبير عن بريدة قال : غزوت مع علي اليمن ، فرأيت منه جفوة ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ، ذكرت علياً فتنقصته ، فرأيت وجه رسول الله يتغير ، فقال : يا بريدة ألسنتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : « من كنت مولاه ، فعلي مولاه » (٣٠) .

ثالثاً : وهذه مجموعة أخرى من الأحاديث التي حمل مضمونها مضمون حديث الغدير :

أخرج الحافظ ابن المغازلي الشافعي المتوفى عام ٤٨٣ هـ بإسناده عن عبدالله ابن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل نبي وصي ووارث ، وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب » (٣١) .

وأخرج الحاكم في مستدرك الصحيحين والذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته والنسائي في خصائص علي عليه السلام وأحمد بن حنبل في مسنده وغيرهم من أصحاب السنن بطرق مجمع على صحتها عن عمر بن ميمون قال : «اني لجالس عند ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط ، فقالوا : يا ابن عباس إما أن تقوم معنا ، وإما أن تخلو بنا من بين هؤلاء ، فقال ابن عباس : بل أنا أقوم معكم ، قال : وهو يومئذ

(٢٠) أخرج الحديث المذكور

الحاكم في المستدرك ٣ : ١١٠ .

وأخرجه الذهبي في تلخيصه

لمسلم ، وصحاحه على شرط

مسلم وللاستزادة يراجع

كتاب المراجعات للسيد شرف

الدين ص ٥٨ وما بعدها.

(٣١) مناقب علي بن أبي

طالب عليه السلام للفقير الحافظ أبي

الحسن علي بن محمد بن

الطبيب الواسطي الجلابي

الشافعي الشهير بابن

المغازلي ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ :

٢١٠ كما أخرج الحديث

الخطيب الخوارزمي الحنفي

في المناقب بإسناد عن

شريك بعين السند واللفظ

وأخرجه المحب الطبري في

النخائر والرياض النضرة

١٧٨:٢ وقال أخرجه الحافظ

أبو القاسم البغوي في معجم

الصحابة وأخرجه الكنجي

لشافعي في الكفاية.

صحيح قبل أن يعمي ، قال : فابتدأوا ، فتحدثوا ، فلا ندري ما قالوا ، فجاء ينفض ثوبه ويقول : أفّ وتف ، وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره ، وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ : لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً ، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله : ، فاستشرف لها من استشرف ، فقال : أين علي ؟ فجاء وهو أرمداً لا يكاد أن يبصر ، فنفت في عينيه ، ثم هز الراية ثلاثاً ، فأعطاه إياه ، فجاء علي بصفية بنت حبي (٣٢) ، قال ابن عباس : ثم بعث رسول الله ﷺ فلاناً بسورة التوبة (٣٣) ، فبعث علياً خلفه ، فأخذها منه ، وقال : لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه ، قال ابن عباس : وقال النبي ﷺ لبني عمه : أيكم يوالي في الدنيا والآخرة ، قال : وعلي جالس معه فأبوا ، فقال علي : أنا أواليك في الدنيا والآخرة ، قال : أنت ولي في الدنيا والآخرة قال : فتركه ، ثم قال : أيكم يوالي في الدنيا والآخرة ؟ فأبوا ، وقال علي : أنا أواليك في الدنيا والآخرة فقال لعلي : أنت ولي في الدنيا والآخرة (٣٤) ، قال ابن عباس وكان علي أول من آمن من الناس بعد خديجة ، قال وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه ، فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين (٣٥) ، وقال : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، قال : وشرى علي نفسه فلبس ثوب النبي ﷺ ، ثم نام مكانه وكان المشركون يرمونه (٣٦) ، إلى أن قال : وخرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وخرج الناس معه فقال له علي : اخرج معك ؟ فقال ﷺ : لا ، فبكى علي ، فقال له رسول الله ﷺ : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه ليس بعدي نبي ؟ انه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي ، وقال له رسول الله ﷺ : أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة ، قال ابن عباس : وسد رسول الله ﷺ أبواب المسجد غير باب علي ، فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره ، قال ، وقال رسول الله ﷺ : من كنت مولاه ، فإن مولاه علي ، الحديث ، قال الحاكم بعد إخرجه هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة ، قلت : وأخرجه الذهبي في تلخيصه ، ثم قال : صحيح (٣٧) .

هذه بعض النصوص الصريحة بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته بعد النبي ﷺ - وغيرها كثير بمضمونها - وهي تحمل نفس المضمون الذي حملة حديث الغدير ، أوردناها للعلظة والتدبر.

(٣٢) اشارة إلى انتصار علي عليه السلام في خيبر وسميه لذراري اليهود وحبي بن أخطب كان زعيم اليهود في خيبر.

(٣٣) فلان الذي بعثه : هو أبو بكر بعثه في تبليغ سورة التوبة للمشركين في مكة ثم أمره الله تعالى أن يبلغ مطالع التوبة علي بن أبي طالب عليه السلام بدلاً منه في قصة معروفة.

(٣٤) اشارة إلى حديث الدار المشهور.

(٣٥) اشارة إلى حديث الكساء ونزول آية التطهير في الخمسة المطهرين عليهم السلام.

(٣٦) اشارة إلى افتداء علي عليه السلام نفسه للنبي ﷺ ليلة هجرته إلى المدينة.

(٣٧) وأخرجه شرف الدين في المراجعات : ١٣٠ - ١٣١

بإسناده عن النسائي في

الخصائص وأحمد في المسند

والحاكم في المستدرک : ١٢٣

والذهبي في تلخيص مسلم

وغيرهم.

روايات عبد الرحمن بن صخر الأزدي المعروف بابي هريرة

* اعداد

ناصر البيهندي

(١) الاصابة : ٧ : ١٩٩٠

أسد الغابة : ٥ : ٣١٥ - ٣١٦

قد اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً^(١) . أسلم في السنة السابعة من الهجرة عام خيبر ، ولما انصرف النبي ﷺ إلى المدينة بعد فتح خيبر رجع معه أبو هريرة فيمن رجعوا.

قضى بالمدينة سنة واحدة من شهر صفر سنة ٧ هـ وهو الشهر الذي وقعت فيه غزوة خيبر إلى شهر ذي القعدة سنة ٨ هـ ، ثم انتقل بعد ذلك إلى البحرين . وذكر العلامة محمود أبو رية قصة ذهابه إلى البحرين في سفره القيم «شيخ المضيرة أبو هريرة» ص ٦٢ .

ولاه الخليفة عمر على البحرين سنة ٢٠ هـ كما روى الطبري ، وبعد ذلك بلغ عمر عنه أشياء تخل بأمانة الوالي فعزله وولى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي .

وفي رواية ابن سعد في طبقاته عن أبي هريرة أن عمر قال له : عدواً لله وللإسلام ، وفي رواية : عدواً لله ولكتابه ، سرقت مال الله .

وكان هو أكثر الصحابة تحديثاً وقد جمع أبو اسحاق ابراهيم بن حرب العسكري المتوفى سنة ٢٨٢ هجرية سند أبي هريرة ، وتوجد نسخة منه في خزانة كوبرلس بتركيا كما ذكر صاحب الأدب العربي .

وقد ذكر أبو محمد بن حزم أن مسند بن مخلد قد احتوى من حديث أبي هريرة على ٥٣٧٤ روى البخاري منها ٤٤٦.

قال ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) ص ٤٨ : لما أتى أبو هريرة عنه عليه السلام ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة الصحابة والسابقين الأولين له . وقد اعتمد على رواياته بعض مصنفى الاحاديث وبعض رواتها من بعض الفرق الاسلامية .

ونذكر هنا جملة من رواياته الواردة بشأن أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم . مسند الامام الشافعي ١٢٣ روى بسنده عن أبي هريرة انه قال : يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ - يعني في الصلاة - فقال : « تقولون : اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم ، ثم تسلمون علي » (٢).

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « علي بن أبي طالب خير هذه الامة من بعدي ، وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، فمن قال غير هذا فعليه لعنة الله » (٣). عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ليلة أسري بي إلى السماء السابعة سمعت نداء من تحت العرش : أن علياً آية الهدى . و حبيب من يؤمن بي ، بلغ علياً . فلما نزل من السماء نسي ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك (في علي) وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ » الآية (٤).

عن أبي هريرة قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وآله ، إذ أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : « أتدري من هذا ؟ قلت : علي بن أبي طالب ، قال عليه الصلاة والسلام : « هذا البحر الزاخر هذا الشمس الطالعة ، أسخى من الفرات كفاً ، وأوسع من الدنيا قلباً ، فمن بغضه فعليه لعنة الله » (٥).

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ان الله عهد إلي في علي عهداً ، فقلت : يا رب بينه لي ، فقال : اسمع ، فقلت : سمعت ، فقال : ان علياً راية الهدى وامام أوليائي ونور من أطاعني ، و هو الكلمة التي الزمته المتقين ، من أحبه أحبني ومن أبغضه أبغضني ، فبشره بذلك ، فجاء علي فبشرته فقال : يا رسول الله أنا عبد الله وفي قبضته ، فإن يعذبني وان يتم لي الذي بشرني به فالله أولى بي . قال : قلت : اللهم أجل قلبه واجعل

(٢) كنز العمال ٤ : ١٠٢.

مشكل الآثار ٢ : ٧٥.

(٣) مائة منقبة من مناقب

أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب والائمة من ولده ١٢.

كنزالفوائد ٦٣ ، غاية

المرام ٤٥٠ - ١٦ ، بحار

الأنوار ج ٢٧ - ٢٢٨ - ٣١.

٣٧ ، روضات الجنات ١٨١٦.

(٤) فضائل أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام ٧٦.

(٥) فضائل أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام لابن

شاذان ص ٣٢.

ربيعه الايمان . فقال الله : قد فعلت به ذلك . ثم انه رفع الي أنه سيخصه من البلاء بشيء لم يخص به أحداً من أصحابي ، فقلت : يا رب أخي وصاحبي . فقال : ان هذا شيء قد سبق انه مبتلى ومبتلى به « (٦) .

عن أبي هريرة قال : مر علي بن أبي طالب عليه السلام بنفر من قريش في المسجد فتغامزوا عليه ، فدخل على رسول الله ﷺ وشكاهم إليه ، فخرج النبي ﷺ غضبان فقال : « يا أيها الناس ما لكم إذا ذكر ابراهيم وآل ابراهيم أشرفت وجوهكم وطابت نفوسكم ، وإذا ذكر محمد وآل محمد قست قلوبكم وعبست وجوهكم ؟ والذي نفسي بيده لو عمل أحدكم عمل سبعين نبياً من أعمال البر ما دخل الجنة حتى يحب هذا وولده . وأشار إلى علي عليه السلام ثم قال : إن لله حقاً لا يعلمه إلا الله وأنا وعلي ، وإن لي حقاً لا يعلمه إلا الله وعلياً ، وإن لعلي حقاً لا يعلمه إلا الله وأنا » (٧) .

عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال لعلي : « أنت بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة » (٨) .

عن أبي هريرة قال : من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم ، لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : « أليست ولي المؤمنين ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال عمر : بخ بخ لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولاي ، ومولى كل مؤمن ، فأنزل الله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ » الحديث (٩) .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله عليه ، قال عمر بن الخطاب : وما أحببت الامارة إلا يومئذ ، قال : فتشارفت لها رجاء أن أدعى لها . قال : فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها . قال : امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك ، قال : فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت ، فصرخ : يا رسول الله على ماذا أقاتل ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » (١٠) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ جاءه رجل فقال : يا رسول الله أما رأيت فلاناً ركب البحر ببضاعة يسيرة وخرج إلى الصين فأسرع الكرّة (١١) وأعظم

(٦) مختصر تاريخ دمشق

١٧ : ١٤٩ نسخة مكتبة

طوب قابو سراي باسلامبول.

نقلًا عن ملحقات الاحقاق

٣١٤ : ٢١ .

(٧) احقاق الحق ٥ : ١٢١

نقلًا عن الأربعين حافط

محمد بن أبو الفوارس

ص ٢٤ (مخطوط).

(٨) الكامل في الرجال ٦ :

٢٠٨٨ ط دارالفكر في

بيروت.

(٩) امالي الشجري ١ : ٤٢ .

(١٠) مختصر تاريخ دمشق

١٧ : ١٢٦ نسخة مصورة من

مكتبة اسلامبول نقلًا عن

ملحقات الاحقاق ٣١ : ٤٨٢ .

صحيح مسلم ١ : ١٨٧١ حديث

٢٤٠٥ ونزل الأبرار : ٤٤ .

(١١) الكرّة : الرجوع .

الغنيمة حتّى قد حسده أهل ودّه وأوسع قراباته وجيرانه ؟ فقال رسول الله ﷺ :
 « إِنَّ مَالِ الدُّنْيَا كَلَمَّا أَزْدَادَ كَثُرَ وَعَظُمَ أَزْدَادُ صَاحِبِهِ بَلَاءٌ فَلَا تَغْتَبَطُوا أَصْحَابَ الْأَمْوَالِ
 إِلَّا بِمَنْ جَادَ بِمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَنْ هُوَ أَقَلُّ مِنْ صَاحِبِكُمْ بِضَاعَةِ
 وَأَسْرَعُ مِنْهُ كَرَّةً وَأَعْظَمُ مِنْهُ غَنِيمَةً وَمَا أَعَدَّ لَهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ مُحْفُوظٌ لَهُ فِي خَزَائِنِ عَرْشِ
 الرَّحْمَنِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَنْظَرُوا إِلَيَّ هَذَا الْمَقْبِلَ
 إِلَيْكُمْ ، فَنَظَرْنَا فَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَثَّ الْهَيْئَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ هَذَا لَقَدْ
 صَعِدَ لَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ إِلَى الْعُلُوِّ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالطَّاعَاتِ مَا لَوْ قَسَمَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَكَانَ نَصِيبُ أَقْلَتِهِمْ مِنْهُ غَفْرَانِ ذُنُوبِهِ وَوَجُوبُ الْجَنَّةِ لَهُ ، قَالُوا : بِمَاذَا
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : سَلَوَهُ يَخْبِرُكُمْ عَفَا صَنَعَ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا لَهُ : هَنِيئًا لَكَ مَا بَشَّرَكَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَاذَا صَنَعْتَ فِي
 يَوْمِكَ هَذَا حَتَّى كَتَبَ لَكَ مَا كَتَبَ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا أَعْلَمُ أَنِّي صَنَعْتُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي
 خَرَجْتُ مِنْ بَيْتِي وَأَرَدْتُ حَاجَةً كُنْتُ أَبْطَأْتُ عَنْهَا فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ فَاتَتْنِي فَقُلْتُ فِي
 نَفْسِي لَأُعْتَاضَنَّ مِنْهَا النَّظَرَ إِلَى وَجْهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
 يَقُولُ : النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ عَلِيٍّ عِبَادَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِي وَاللَّهِ عِبَادَةٌ وَأَيُّ عِبَادَةٍ إِنَّكَ
 يَا عَبْدَ اللَّهِ ذَهَبْتَ تَبْتَغِي أَنْ تَكْتَسِبَ دِينَارًا لِقَوْتِ عِيَالِكَ فَفَاتَكَ ذَلِكَ فَاعْتَضَصْتَ مِنْهُ النَّظَرَ
 إِلَى وَجْهِ عَلِيٍّ وَأَنْتَ لَهُ مُحِبٌّ وَلِفَضْلِهِ مَعْتَقِدٌ وَذَلِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا لَكَ
 ذَهَبَةٌ حُمْرَاءُ فَأَنْفَقْتَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِتَشْفَعَنَّ بِعَدَدِ كُلِّ نَفْسٍ تَنْفُسَتَهُ فِي مُصِيرِكَ إِلَيْهِ
 فِي أَلْفِ رَقِيعَةٍ يَعْتَقُهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ بِشِفَاعَتِكَ » (١٢) .

(١٢) أمالي الصدوق : ٢١٧ .

عن أبي هريرة قال : قالت فاطمة عليها السلام : « يَا رَسُولَ اللَّهِ زَوَّجْتَنِي مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ وَهُوَ فَقِيرٌ لَا مَالَ لَهُ ، فَقَالَ : يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضِينَ أَنْ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ
 الْأَرْضِ فَاخْتَارَ رَجُلَيْنِ أَحَدَهُمَا أَبُوكَ ، وَالْآخَرُ بَعْلُكَ » (١٣) .

(١٣) مستدرک الصحيحین

١٢٩٢ ، تاريخ بغداد

١٩٧٠ : ٤ ، الكشف الحثيث

٢١٦ ، مفتاح النجاة

ص ٣ مخطوط .

الجامع الأزهر في حديث النبي الأنور ٢ : ١١٩ قال : عن أبي هريرة ورجاله
 رجال الصحيح ، عن النبي ﷺ أنه قال : « لَا يَحِبُّكَ يَا عَلِيُّ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَبْغُضُكَ إِلَّا
 مُنَافِقٌ » (١٤) .

(١٤) ملحقات الاحقاق

٣٤٧ : ٢١

عن أبي هريرة أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : « يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنَا
 أَمْ فَاطِمَةُ ؟ قَالَ : فَاطِمَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ وَأَنْتِ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْهَا ، وَكَأَنِّي بِكَ وَأَنْتِ عَلَى حَوْضِي

تذود عنه الناس وإن عليه لأباريق مثل عدد نجوم السماء ، وإنّي وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة (إخواناً على سرر متقابلين) أنت معي وشيعتك في الجنة ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ إخواناً على سرر متقابلين ﴾ لا ينظر أحد في قفا صاحبه » (١٥) .

(١٥) مجمع الزوائد ١٧٣: ٩.

عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش : أيها الناس غصوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة إلى الجنة » (١٦) .

(١٦) جامع الأحاديث ١٧٥٨.

عن أبي هريرة قال : إن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فشكى إليه الرجوع فبعث إلى بيوت أزواجه فقلن : ما عندنا إلا الماء ، فقال ﷺ : « من لهذا الليلة ؟ فقال علي : أنا يا رسول الله ، فأتى فاطمة فأعلمها فقالت : ما عندنا إلا قوت الصبية . ولكننا نؤثر به ضعيفنا ، فقال علي : نؤمي الصبية وأنا أطفئ للضيف السراج ، ففعلت ، وغشي الضيف فلما أصبح أنزل الله عليهم هذه الآية ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ » (١٧) .

(١٧) شواهد التنزيل ٢٤٦: ٢.

(١٨) مستدرک الصحيحين

١٥٢: ٣ . وقال : هذا

حديث صحيح على شرط

مسلم .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تبعث الأنبياء يوم القيامة على الدواب ليوافوا بالمؤمنين من قومهم المحشر ويبعث صالح على ناقته وأبعث على البراق ، خطوها عند أقصى طرفها وتبعث فاطمة أمامي » (١٨) .

(١٩) فضائل الخمسة ١٦٧: ٣.

(٢٠) الاستيعاب ٧٢٠: ٢.

و ٧٥٠.

ميزان الاعتدال للذهبي ، ٢ : ١٣١ ذكر حديثاً مسنداً قد اعترف بصحته عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : « أول شخص يدخل الجنة فاطمة » ، قال : أخرجه أبو صالح المؤذن في مناقب فاطمة » (١٩) .

(٢١) أخرجه الترمذي في ٢٢.

كتاب السير ، ٤٤ باب ما جاء

في تركة رسول الله ﷺ ح

١٦٠٩ : ٤١٦٧ - ١٥٨ .

(٢٢) مسند الامام أحمد بن

حنبل ، ٢ : ٤٤٢ ، مستدرک

الصحيحين ١٤٩ ، آل بيت

الرسول ١٢ ، تاريخ بغداد

١٣٦: ٧ ، كنز العمال ٣١٦: ٦.

صحيح مسلم ٤ : ١٨٧١ .

الجامع الصحيح ٥ : ٦٣٨ ح

٣٧٢٤ . ونزل الأبرار ١٠٥ .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد » (٢٠) .

عن أبي هريرة : أن فاطمة جاءت أبا بكر وعمر تسأل ميراثها من رسول الله ﷺ فقالا : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « إني لأؤزث ، قالت : والله لأكلمكما أبداً ، فماتت ولا تكلّمهما » (٢١) .

عن أبي هريرة قال : نظر رسول الله ﷺ إلى عليّ والحسن والحسين وفاطمة فقال : « أنا حرب لمن حاربكم ، وسلم لمن سالمكم » (٢٢) .

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال للحسن : « اللهم إني أحبه ، فأحبه وأحب من

يُحِبُّهُ» قال: وضمَّه إلى صدره (٢٣).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّهما فقد أحبَّني ومن أبغضهما فقد أبغضني، يعني حسناً وحسيناً» (٢٤).

عن أبي هريرة قال: كنث مع النبي ﷺ في سوقٍ من أسواق المدينة فانصرف وانصرفت معه، فجاء إلى فناء فاطمة فنادى الحسن، فقال: «أي لكع، أي لكع، أي لكع». قال ثلاث مرات، فلم يجبه أحد، قال: فانصرف وانصرفت معه، فجاء إلى فناء عائشة فقعد، فجاء الحسن بن علي، قال أبو هريرة: ظننت أن أمه حبستهُ لتجعل في عنقه السُّخاب، فلما جاء التزمه رسول الله ﷺ والتزم هو رسول الله ﷺ، قال: اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه. ثلاث مرات (٢٥).

الأدب المفرد للبخاري في باب الانبساط إلى الناس، روى بسنده عن معاوية بن أبي مزرع عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: سبَّع أذناي هاتان وبصر عيناي هاتان رسول الله ﷺ أخذ بيديه جميعاً بكفي الحسن أو الحسين وقدماه على قدم رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يقول: ارق، فرقي الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ ثم قال رسول الله ﷺ: افتح فاك، ثم قبله ثم قال: اللهم أحبه فأني أحبه (٢٦).

قال أبو هريرة: أبصرت عيناي هاتان، وسمعت أذناي رسول الله ﷺ وهو أخذ بكفي حسين، وقدماه على قدم رسول الله ﷺ وهو يقول: ترق عَيْن بَقْه قال: فرقي الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال رسول الله: افتح فاك، ثم قبله ثم قال: اللهم أحبه فأني أحبه (٢٧).

عن أبي هريرة قال: ذكر رسول الله ﷺ المهدي فقال: «يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبَّع، وإلا فتسبَّع فتسبَّع فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها قط» (٢٨).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم حتى تضيق عليهم الأرض، فيبعث الله رجلاً من عترتي فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدخر الأرض بذرها شيئاً إلا أخرجه ولا السماء شيئاً من قطرها إلا حبته، يعيش فيهم سبع سنين أو ثمان أو تسع» (٢٩).

(٢٣) أخرجه ابن ماجه في

المقدمة باب ١١ فضل

الحسن والحسين ح ١٤٢،

٥١:١ وأخرجه الامام أحمد

في مسنده ٢: ٢٤٩ ط

الميمنية.

(٢٤) أخرجه ابن ماجه في

المقدمة، باب ١١ مناقب

الحسن والحسين ح ١٤٣،

وأخرجه الامام احمد في

٢: ٢٨٨ ط الميمنية.

(٢٥) مسند احمد بن حنبل

٢: ٣٢١ ط الميمنية.

(٢٦) الاصابة ٢: ١١، كنز

العمال ٧: ١٠٤، فضائل

الخمسة ٣: ٢٦٥.

(٢٧) الاستيعاب ١: ١٨٢

و ٢٨٣.

(٢٨) كنز العمال ١٤: ح

٢٨٧٠٦، بيلفظ مقارب،

والحاكم في المستدرک ٤:

٥٥٨، وسنن ابن ماجه في

كتاب الفتن: ح ٤٠٨٣.

(٢٩) فضائل الخمسة ٣: ٣٢١.

النظام الاقتصادي والمالي

للمجاعة الصالحة

في مدرسة أهل البيت

١

دراسات

السيد

محمد باقر الحكيم

(العراق)

نظرة عامة للموضوع الاقتصادي :

يعتبر الموضوع الاقتصادي والمالي لأي جماعة عنصراً مهماً من عناصر النظام ، بحيث لا يمكن للجماعة أن تتكامل وتنمو وتكون قادرة على مواجهة الضغوط السياسية والاجتماعية بدون هذا العنصر المهم في وجودها .



ولذلك نجد الاسلام الحنيف - إلى جانب اهتمامه بالجوانب العقائدية والفكرية والروحية والأخلاقية - اهتم بشكل أساسي بالجانب الاقتصادي والمالي ، مع أنه رسالة إلهية قائمة على أساس التكامل المعنوي والروحي ، إلا أن قضية المال وتنظيم الحياة المعيشية المادية ، والنظام الاقتصادي له دور عظيم في هذا التكامل المعنوي والروحي . ويمكن أن نلاحظ ذلك في الامور التالية :

أ: كانت الزكاة مقرونة بالصلاة في القرآن الكريم ، وكان الحث على الإنفاق في سبيل الله وعلى الفقراء والمساكين والمضطرين من الغارمين وغيرهم من أهم الطاعات التي تقرب الانسان إلى الله تعالى .

ب : كما أن الاسلام نظم قضايا الأسرة والمجتمع والعلاقات مع الله تعالى والطبيعة والانسان ، وغير ذلك من مناحي الحياة ، كذلك نظم قضية الانفاق والواجبات العامة والخاصة في هذا المجال ، سواء على مستوى الأسرة أو أفراد

الجماعة ، أو على مستوى المحافظة على الوجود الاجتماعي والسياسي للجماعة والناس .

ج : نجد القرآن الكريم يعالج قضية الأموال في مختلف أبعادها ، سواء في تقييم دور المال في الحياة الانسانية ، أو تشخيص الموقف تجاه المال وكيفية استثماره لتطوير المجتمع وجعله طريقاً للتكامل ، أو في نسبة المال للإنسان وأنه مستخلف من قبل الله تعالى فيه ، وأن الله هو المالك الحقيقي له ، إلى غير ذلك من الأبعاد .

د : كما نجد الدعوة الاسلامية في بداية وجودها تعتمد على الأموال الكبيرة التي كانت تملكها زوج النبي السيدة خديجة الكبرى عليها السلام ، والتي كان لها دور عظيم في إنقاذ الدعوة في مراحلها الأولى ، عندما واجهت الضغوط المختلفة من المشركين .

هـ : كما أن أعداء الرسالة كانوا يدركون أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه الجانب الاقتصادي والمالي في حياة الرسالة ، حيث كانوا يعتمدون على محاصرتها اقتصادياً ومالياً للقضاء عليها ، كما فعلوا في (شعب أبي طالب) عندما قاطعوا المسلمين اقتصادياً ، واستمروا في ممارسة هذا الضغط بأشكال مختلفة .

ويمكن في هذا المجال أن نشير إلى الأمور التالية ، التي تلخص أهداف وأبعاد النظام الاقتصادي والمالي في الاسلام ، وفي المجتمعات الانسانية بشكل عام :

الأول : ان تحقيق الرفاه والاستقرار الداخلي في العلاقات الاجتماعية والانسانية ، وإيجاد الأرضية الحياتية للتكامل الروحي يتوقف إلى حد كبير على معالجة مشكلة الفقر والحاجة والتمايز الاجتماعي الفاحش في المستوى المعيشي . ولا يمكن تحقيق هذا الهدف إلا من خلال النظام الاقتصادي والمالي .

الثاني : أن استقلال الجماعة وقدرتها على التحرك بحرية ، واختيار القرار المناسب يعتمد بشكل رئيسي على استقلالها الاقتصادي وإمكاناتها المالية .

الثالث : ان بناء المؤسسات الاجتماعية والثقافية والخدمية العامة ، وتيسير الحياة الاجتماعية للجماعة بما هي كيان سياسي واجتماعي ، وكذلك القيام

بالنشاطات الثقافية والاجتماعية والجهادية في الدفاع عن كيان الجماعة أو تحقيق أهدافها ، لا يمكن أن يتم كل ذلك إلا من خلال هذا النظام الاقتصادي والمالي .

الموضوع الاقتصادي في نظر أهل البيت (عليه السلام) :

وانطلاقاً من هذه الرؤية العامة للموضوع الاقتصادي نجد أهل البيت (عليه السلام) يُعَيِّرون هذا الموضوع أهمية خاصة في التصميم العام لبناء الجماعة الصالحة . ويعتمد أهل البيت في معالجة الموضوع الاقتصادي بالأصل على الرؤية الأصلية للإسلام والنظرية الإسلامية الاقتصادية الشاملة ، ذلك أن الإسلام بكل معالمه يشكل الإطار العام في رؤية أهل البيت لبناء الجماعة الصالحة . ومن هنا نجد أهل البيت (عليه السلام) يؤكدون على شيعتهم ضرورة الالتزام بالواجبات المالية العامة ، كما نلاحظ ذلك من نصوص الزكاة :

عن عبدالله بن سنان قال : « قال أبو عبدالله (عليه السلام) : لما نزلت آية الزكاة ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ في شهر رمضان ، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) مناديه فنادى في الناس : إن الله تبارك وتعالى قد فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة (الى أن قال) : ثم لم يتعرض لشيء من أموالهم حتى حال عليهم الحول من قابل فصاموا وأفطروا ، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) مناديه فنادى في المسلمين : أيها المسلمون زكوا أموالكم تقبل صلاتكم ، قال : ثم وجّه عمّال الصدقة وعمّال الطسوق » (١) .

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله (عليه السلام) (في حديث) : « إن الزكاة ليس يحمد بها صاحبها ، إنما هو شيء ظاهر ، إنما حق الله بها دمه ، وسُمِّيَ بها مسلماً » (٢) .

وانطلاقاً من ذلك نجد أهل البيت (عليه السلام) يخططون للنظام الاقتصادي للجماعة الصالحة مع مراعاة الخطوط الاقتصادية والالتزامات العامة للدولة الإسلامية ، حيث يراد لهذه الجماعة أن تعيش ضمن إطار الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي العام .

ولا نريد هنا أن نعالج النظرية الاقتصادية الإسلامية من خلال رؤية أهل البيت (عليه السلام) ، فإن لذلك مجاًلاً آخر (٣) . حيث نلاحظ الفهم الخاص الأصل الذي

(١) وسائل الشريعة ٦ : ٣ .

ح ١ - حديث صحيح المسند :

والطسوق : جمع طسوق . وهو

الوظيفة من الخراج ، أو شبه

الخراج له مقدار معلوم (السان

العرب والتهذيب)

(٢) وسائل الشريعة ٦ : ١٧٦ .

ح ١ .

(٣) يمكن مراجعة كتاب

(اقتصادنا) لآية الله الشهيد

المصدر ، حيث عالج هذا

الموضوع بشكل كامل ،

خصوصاً في الجزء الثاني

منه .

يختص به أهل البيت عليهم السلام في فهم التفاصيل الإسلامية دون المذاهب الإسلامية الأخرى . إلا أن أهل البيت عليهم السلام قد واجهوا في هذا الموضوع (النظام الاقتصادي للجماعة الصالحة) مشكلتين رئيسيتين ، كانتا بحاجة إلى معالجة تقوم على أساس النظرية الإسلامية :

الاولى : مشكلة التوفيق بين النظام الاقتصادي العام ، الذي كانت تلتزم به الدولة الإسلامية ، وما يترتب عليه من تكاليف مالية ، وبين الفهم الخاص لأهل البيت عليهم السلام للنظام الاقتصادي الإسلامي ومتربئاته المالية ، التي قد تضيف أعباء وتكاليف على أبناء الجماعة الصالحة ، إذا أرادوا الوفاء بكل الواجبات والالتزامات الخاصة لأهل البيت عليهم السلام ، والعام للدولة الإسلامية .

الثانية : تأمين الموارد المالية التي يمكن من خلالها تغطية نفقات بناء الجماعة الصالحة ، بالإضافة إلى إيجاد الاستقلال الاقتصادي النسبي ، فإن تحقيق ذلك في الظروف الخاصة التي يعيشها أهل البيت وأتباعهم يمثل مشكلة حقيقية .

ونريد هنا أن نشير إلى مجمل المواقف والاجراءات التي اتخذها أهل البيت في المجال الاقتصادي لمعالجة هاتين المشكلتين ، مع الإشارة إلى بعض الخصائص التي تميز بها مذهب أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال ، على مستوى الفهم التشريعي للإسلام ، أو على مستوى الاجراءات التي اتخذوها في المجال المالي ، وعلى مستوى الاهتمامات الاقتصادية ، وذلك مثل : موضوع «الخمس» أو الإلزام بالتكافل الاجتماعي ، أو في مصرف الزكاة ، أو الاهتمام بالوقف ، أو الاهتمام بخطى التجارة والزراعة في النشاط الاقتصادي العام ، أو وضع الضرائب المالية الخاصة بالشكل الذي يوضح جانب الخصائص التي يمتاز بها النظام الاقتصادي والمالي العام للجماعة الصالحة .

ويمكن أن نلخص الحديث في هذا الموضوع في ثلاث جهات :

الاولى : في الموقف من التشريعات الاقتصادية والمالية العامة التي تلتزم بها

الدولة الاسلامية .

الثانية : في التشريعات الاسلامية الاقتصادية العامة التي لا تلتزم بها الدولة .

الثالثة : في النشاط الاقتصادي العام وسياسة أهل البيت تجاهه .

أولاً : التشريعات الاقتصادية والمالية العامة

أما الجهة الاولى ، فإن إئمة أهل البيت عليهم السلام قد أرشدوا شيعتهم إلى القبول والانسجام مع التشريعات الاقتصادية والمالية العامة ، سواء منها ما يتعلق بالمعاملات والعقود التجارية ، أو ما يتعلق منها بالمرتبات والالتزامات المالية . حيث لا نلاحظ شيئاً مهماً يستحق الذكر في موارد الخلاف في هذه المجالات إلا بقدر محدود - سوف نشير إلى بعض معالمه - يرتبط باختلاف آراء الفقهاء تجاه هذه المعاملة أو تلك ، أو هذا الالتزام بهذا التشريع أو ذلك ، بحيث لا يشكّل هذا الفرق ظاهرة تميّز أتباع أهل البيت عليهم السلام عن غيرهم في هذا المجال .

وهذا الموقف قد يكون أمراً طبيعياً تجاه التشريعات في مجال المعاملات والعقود ، لأن هذه التشريعات تعتمد في قبول الشارع لها على السيرة العقلانية والتمسك بالعقلاء بها في هذا المجال الحيوي ، إلا ما استثناه الشارع منها ، يمثل : الربا أو بعض المعاملات الأخرى ، فكان الاختلاف جزئياً بين المذاهب الاسلامية . ولكن في مجال التشريعات المالية ، التي هي تشريعات ذات طبيعة شرعية وترتبط بمصالح الحكم والجماعة ، حيث يعتبر أهل البيت عليهم السلام طرفاً مهماً في هذا الجانب لأنهم أصحاب الحق الشرعي في الحكم ، فإن هذا الانسجام يأتي ضمن السياسات العامة لأهل البيت عليهم السلام التي كانت تؤكد على أهمية الانسجام والتعايش مع الحكم الاسلامي ، والجماعة المسلمة في الاطار الاجتماعي العام . وبهذا الصدد نشير إلى أربعة موارد تعتبر من أهم التشريعات المالية والاقتصادية التي عرفها المسلمون في هذا المجال ، لتعرف على موقف أهل البيت عليهم السلام الذي عرضوه لشيعتهم وأتباعهم تجاه هذه التشريعات :

١ - الزكاة :

الأول : الزكاة ، حيث تعتبر الزكاة أهم تشريع مالي أكد عليه القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم ، حيث شخّص بشكل دقيق مواردها من الأموال الخاصة المملوكة للمسلمين ، كالنقدين : « الذهب والفضة » ، والغلات الأربع : « الحنطة والشعير والتمر والزبيب » ، والأنعام الثلاثة : « الابل والبقر والغنم » . وجعل الولاية عليها للحاكم الاسلامي الذي يقوم بخرصها وتقديرها ، أو إحصائها وجمعها من أصحاب الأموال . كما حدد القرآن الكريم مصرفها في الآية الكريمة : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ (٤) .

(٤) التوبة : ٦٠ .

ففي الزكاة أبعاد أربعة رئيسة :

أ - أصل وجوب الزكاة وأهميتها .

ب - الأموال التي تتعلّق فيها الزكاة .

ج - مصرف الزكاة .

د - الوالي على الزكاة .

أهمية الزكاة بنظر أهل البيت (عليه السلام) :

أ - أما بالنسبة إلى أصل التشريع وأهميته فنحن نلاحظ أن أهل البيت (عليه السلام) يؤكّدون على المستوى العام نفسه من التأكيد على أهمية الزكاة - كما أشرنا سابقاً - بالرغم من أن هذه الأموال كانت تذهب بشكل عام إلى أيدي الحكّام الظالمين .

فعن محمد بن مسلم وأبي بصير وبريد وفضيل كلّهم عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليه السلام) قالوا : « فرض الله الزكاة مع الصلاة » (٥) .

(٥) وسائل الشريعة ٦ : ٥ .

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال : « ما من عبد منع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوّقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب ، وهو قول الله عزّ وجل : ﴿ سيطوَّقونَ ما بخلوا به يومَ القيامة ﴾ » (٦) .

٨٣

(٦) وسائل الشريعة ٦ : ١١ .

٣٥

كما أن مانع الزكاة استحلالاً ووجوداً يكون كافراً ويستحق القتل ، لأن وجوب الزكاة من ضروريات الدين .

عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ » (٧) .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً » (٨) .

(٧) وسائل الشيعة ٦ : ١٨ .

ح ٣ .

(٨) وسائل الشيعة ٦ : ١٨ .

ح ٥ .

الأموال التي تتعلّق بها الزكاة :

ب : أما الأموال التي تتعلّق بها الزكاة ، فهنا يبدو وجود اختلاف وفرق في موردين رئيسين على مستوى الحصلة الفقهية الاجتهادية لأتباع أهل البيت عليهم السلام ، والمحصلة الفقهية الاجتهادية للمذاهب الاسلامية الأخرى ، وإن كنا لا نجد هذا الفرق على مستوى الأخبار والروايات التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام .

المورد الأول : هو أموال التجارة والبضائع التي تبقى عند التجار في متاجرهم ومخازنهم ، فإن الرأي الفقهي العام المعروف لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام هو عدم تعلّق الزكاة بها ، بخلاف الرأي الفقهي العام لدى المذاهب الاسلامية الأخرى . وإن كانت توجد نصوص متعددة وردت عن أهل البيت يفهم منها وجوب الزكاة في هذه الأموال ، وذهب إلى ذلك بعض علماء أتباع أهل البيت . ولكن هذه النصوص تحمل في نظر مشهور علمائهم على الاستحباب أو التقية ، جمعاً بينها وبين نصوص أخرى يفهم منها حصر الوجوب في خصوص الأموال التسعة السابقة (٩) .

(٩) لا نريد هنا أن نتناول

هذا البحث الفقهي بالتفصيل

والاستدلال ، وإنما نكتفي هنا

بالإشارة إلى المحصلة

الفقهية وتفسيرها اقتصادياً

وسياسياً على نحو الاحتمال .

وهكذا الحال في المورد

المورد الثاني : هو الغلات والأنعام الأخرى ، مثل : الرز والذرة وغيرهما من

الغلات ، أو الخيل من الحيوانات ، حيث نلاحظ الفرق نفسه على مستوى المحصلة

الفقهية ، وإن كانت النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال قد يُفهم

منها ثبوت الزكاة أيضاً ، ولكنها محمولة في نظر المشهور من علماء أتباع أهل

البيت على الاستحباب أو التقية أيضاً .

الثاني

ويمكن أن نفسّر ظاهرة هذا الفرق المحدود بأحد تفسيرين - ولو على نحو الاحتمال الذي تؤيده بعض القرائن مع قطع النظر عن مدى صحتها :

التفسير الأول : هو أن واقع التشريع الاسلامي لموارد وجوب الزكاة في الأموال هو خصوص الأموال التسعة ، والباقي منها مما يستحب فيه الزكاة ، وقد أدرك أهل البيت عليه السلام هذه الحقيقة - في التمييز بين موارد الوجوب والاستحباب - التي اختلطت على بقية المسلمين ، حيث تشير بعض النصوص الصحيحة إلى هذا الاحتمال :

عن عبدالله بن سنان قال : « قال أبو عبدالله عليه السلام : لما نزلت آية الزكاة : ﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ في شهر رمضان ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله مناديه فنادى في الناس : إن الله تبارك وتعالى قد فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة ، ففرض الله عليكم من الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم ، ومن الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، ونادى فيهم بذلك في شهر رمضان ، وعفا لهم عما سوى ذلك الحديث » (١٠) .

(١٠) وسائل الشيعة ٦ : ٣٢ .

ج ١

وعن أبي جعفر وأبي عبدالله عليه السلام قالا : « فرض الله عز وجل الزكاة مع الصلاة في الأموال ، وستأمر رسول الله صلى الله عليه وآله في تسعة أشياء ، وعفا (رسول الله صلى الله عليه وآله) عما سواهن : في الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والحنطة والشعير والتمر والزبيب ، وعفا رسول الله صلى الله عليه وآله عما سوى ذلك » (١١) .

(١١) وسائل الشيعة ٦ : ٣٤ .

ج ٤

وعن محمد (بن جعفر) الطيار قال : « سألت أبا عبدالله عليه السلام عما تجب فيه الزكاة ، فقال : في تسعة أشياء : الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والزبيب والإبل والبقر والغنم ، وعفا رسول الله صلى الله عليه وآله عما سوى ذلك ، فقلت : أصلحك الله فإن عندنا حباً كثيراً ، قال : فقال : وما هو ؟ قلت : الأرز ، قال : نعم ما أكثره ، فقلت : أففيه الزكاة ؟ فزبرني ، قال : ثم قال : أقول لك : إن رسول الله صلى الله عليه وآله عفا عما سوى ذلك وتقول : إن عندنا حباً كثيراً أففيه الزكاة » (١٢) .

(١٢) وسائل الشيعة ٦ : ٣٦ .

ج ١٢

وعن زرارة قال : « كنت قاعداً عند أبي جعفر عليه السلام ، وليس عنده غير ابنه جعفر عليه السلام ، فقال : يا زرارة إن أباذر وعثمان تنازعا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عثمان : كل مال من ذهب أو فضة يدار به ويعمل به ويتجر به ففيه الزكاة إذا حال عليه

الحول ، فقال أبو ذر : أما ما يَنْجَرُ به أو دير وعمل به فليس فيه زكاة ، إنما الزكاة فيه إذا كان ركازاً أو كنزاً موضوعاً ، فإذا حال عليه الحول ففيه الزكاة ، فاختصما في ذلك إلى رسول الله ﷺ قال : فقال : القول ما قال أبو ذر ، فقال أبو عبد الله ﷺ لأبيه : ما تريد إلا أن يخرج مثل هذا فيكف الناس أن يعطوا فقراءهم ومساكينهم ، فقال أبوه : إليك عني لا أجد منها بداً» (١٣) .

التفسير الثاني: إن واقع التشريع الاسلامي هو فرض الزكاة من أموال الأغنياء بشكل عام بما يكفي الفقراء ويسعهم ، وقد أوكل الله تعالى مهمة تشخيص هذه الأموال - بعد تعيين الحد الأدنى منها بالأموال التسعة - إلى ولي الأمر المنصوب من قبل الله تعالى ، وهو النبي ﷺ والأئمة المعصومون ﷺ . وقد اقتصر النبي ﷺ في بداية التشريع على الأموال التسعة التي تمثل الأموال الأساس التي تجب فيها الزكاة ، وعفا عن بقية الأموال ، باعتباره ولي أمر المسلمين . حيث كانت المصلحة الاسلامية تقتضي ذلك ، وكان هذا المقدار من الزكاة يحقق الهدف من التشريع . ولكن يصح لولي الأمر من بعده - «المعصوم» وحده أو هو وغيره - أن يضع الزكاة على الأموال الأخرى حسب المصلحة الاسلامية العليا ، أو تحقيق الهدف الذي كان وراء تشريع الزكاة . وقد اختلط أصل الحكم مع التشريعات السلطانية الولايتية (١٤) لدى الفقهاء من الفريقين ، وإن كان واضحاً لدى أئمة أهل البيت أنفسهم ﷺ .

وهذا التفسير قد تشير إليه بعض النصوص الصحيحة التي وردت عن أهل البيت ﷺ :

عن زرارة ومحمد بن مسلم عن أبي عبد الله ﷺ (في حديث) قال : « إن الله عز وجل فرض للفقراء في مال الأغنياء ما يسعهم ، ولو علم أن ذلك لا يسعهم لزداهم ، إنهم لم يؤتوا من قبل فريضة الله عز وجل ، ولكن أوتوا من منع من منعهم حقهم لا مما فرض الله لهم ، ولو أن الناس أدوا حقوقهم لكانوا عايشين بخير » (١٥) .

وعن علي بن مهزيار (في الحديث) « إن أبا الحسن ﷺ كتب إلى عبد الله بن محمد : الزكاة على كل ما كيل بالصاع ؟ قال : وكتب عبد الله ، وروى غير هذا الرجل عن أبي عبد الله ﷺ أنه سأله عن الحبوب فقال : وما هي ؟ فقال : السمسم والأرز

ح ١

(١٤) نقصد بالتشريعات

السلطانية الولايتية

التشريعات التي يضعها

الحاكم باعتباره ولياً

للمسلمين ينظم بها

حياتهم الاجتماعية حسب

الصلاحيات التي يمنحها له

هذا المنصب ، ويطبق من

خلالها الأحكام الكلية

المشرعة في أصل الدين ، أو

يملاً بها منطقة الفراغ التي

تركها الشارع المقدس لولي

الأمر ، كل ذلك ضمن إطار

الأهداف العامة للتشريع .

(١٥) وسائل الشريعة ٦ : ٣ ،

ح ٢

والدخن ، وكل هذا غلّة كالحنطة والشعير ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : « في الحبوب كلها زكاة » ، وروي أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال : « كل ما دخل القفيّز فهو يجري مجرى الحنطة والشعير والتمر والزبيب » ، قال : فأخبرني جعلت فداك هل على هذا الأُرْز وما أشبهه من الحبوب الحمص والعدس زكاة ؟ فوقع عليه السلام : « صدقوا الزكاة في كل شيء كيل » (١٦) .

(١٦) وسائل الشيعة ٦ : ٣٩ .

وعن زرارة قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : في الذرة شيء ؟ فقال لي : « الذرة والعدس والسلت والحبوب فيها مثل ما في الحنطة والشعير ، وكل ما كيل بالصاع قبلغ الأوساق التي يجب فيها الزكاة فعليه فيه الزكاة » (١٧) .

(١٧) وسائل الشيعة ٦ : ٤١ .

وعن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : هل في الأُرْز شيء ؟ فقال : « نعم » ، ثم قال : « إن المدينة لم تكن يومئذ أرض أرز فيقال فيه ، ولكنه قد جعل فيه ، وكيف لا يكون فيه وعامة خراج العراق منه » (١٨) .

(١٨) وسائل الشيعة ٦ : ٤١ .

وعن سماعة قال : سألت عن الرجل يكون معه المال مضاربة هل عليه في ذلك المال زكاة إذا كان يتجر به ؟ فقال : « ينبغي له أن يقول لأصحاب المال : زكّوه ، فإن قالوا : إنا نزكّيه فليس عليه غير ذلك ، وإن هم أمرّوه بأن يزكّيه فليفعّل » ، قلت : رأيت لو قالوا : إنا نزكّيه والرجل يعلم أنهم لا يزكّونه ، فقال : « إذا هم أقروا بأنهم يزكّونه فليس عليه غير ذلك ، وإن هم قالوا : إنا لا نزكّيه فلا ينبغي له أن يقبل ذلك المال ولا يعمل به حتى يزكّيه (يزكّوه) » (١٩) .

(١٩) وسائل الشيعة ٦ : ٥٠ .

وعن محمد بن مسلم قال : « سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل اشترى متاعاً فكسد عليه متاعه ، وقد زكّى ماله قبل أن يشتري المتاع ، متى يزكّيه ؟ فقال : « إن كان أمسك متاعه يبتغي به رأس ماله فليس عليه زكاة ، وإن كان حبسه بعدما يجد رأس ماله فعليه الزكاة بعدما أمسكه بعد رأس المال » ، قال : وسألت عن الرجل توضع عنده الأموال ، يعمل بها ؟ فقال : « إذا حال عليه الحول فليزكّها » (٢٠) .

(٢٠) وسائل الشيعة ٦ : ٤٦ .

مصرف الزكاة :

ج - وأما الموارد التي يتم فيها صرف الزكاة فقد أكّد أهل البيت عليهم السلام أن هذه الموارد هي الأمور الثمانية التي أشارت إليها الآية ٦٠ من سورة التوبة السابقة

﴿إنما الصدقات...﴾. ولكن لا يجب البسط في كل هذه الموارد، بل يصح الاقتصاد في الصرف على واحد أو أكثر منها. وقد ترك هذا الأمر بالأصل للحاكم الشرعي الذي يتولّى مصرف الزكاة، وهذا الأمر يكاد يتفق عليه المسلمون بشكل عام مع قطع النظر عن بعض التفاصيل.

ولكننا مع ذلك نجد أهل البيت (عليه السلام) يوجهون شيعتهم للصرف - عندما تسمح لهم الفرصة - على خصوص أبناء الجماعة الصالحة، ويؤكدون عليهم ذلك انطلاقاً من تشخيصهم لطبيعة الحاجات والضرورات التي تفرضها الأوضاع الاقتصادية والسياسية التي تحيط بالجماعة، باعتبارها جماعة محاصرة اقتصادياً وسياسياً، فأبناؤها أحق بهذه الزكاة، لأنهم - بالإضافة إلى أنهم يساؤون بقية المسلمين في الاستحقاق - يتعرّضون إلى الضغوط المختلفة، ويواجهون الحرمان بسبب هذه الضغوط، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن أكثر أموال الزكاة بشكل عام تقع بيد الحاكم، ولا يبقى منها تحت تصرف الأفراد إلا النزر اليسير الذي يمكنهم استثناءه من عملية الجمع. وبالتالي فلا بد من تعويض أبناء الجماعة عن ذلك الحرمان، بتوجيه الإنفاق والتوزيع إلى خصوص أبناء هذه الجماعة.

ولعل هذا التصوّر هو المقصود من صحيحة زرارة ومحمد بن مسلم التي رواها المشايخ الثلاثة الكليني والصدوق والطوسي:

فعن زرارة ومحمد بن مسلم أنهما قالاً لأبي عبد الله (عليه السلام): «أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله﴾ أكل هؤلاء يُعطى وإن كان لا يُعرف؟ فقال: إن الإمام يعطي هؤلاء جميعاً لأنهم يقرّون له بالطاعة، قال زرارة: قلت: فإن كانوا لا يعرفون؟ فقال: يا زرارة لو كان يُعطى من يُعرف دون من لا يُعرف لم يوجد لها موضع، وإنما يُعطى من لا يعرف ليرغب في الدين فيثبت عليه، فأما اليوم فلا تعطها أنت وأصحابك إلا من يُعرف، فمن وجدت من هؤلاء المسلمين عارفاً فأعطه دون الناس، ثم قال: سهم المؤلفة قلوبهم وسهم الرقاب عام، والباقي خاص، قال: قلت: فإن لم يوجدوا؟ قال: لا يكون فريضة فرضها الله عز وجل

ولا يوجد لها أهل ، قال : قلت : فإن لم تسعهم الصدقات ؟ فقال : إن الله فرض للفقراء في مال الأغنياء ما يسعهم ، ولو علم أن ذلك لا يسعهم لزادهم ، إنهم لم يؤتوا من قبل فريضة الله عز وجل ، ولكن أوتوا من منع من منعهم حقهم ، لا مما فرض الله لهم ، فلو أن الناس أدوا حقوقهم لكانوا عايشين بخير» (٢١).

(٢١) وسائل الشيعة ٦ : ١٤٣ ، ج ١٣

وانطلاقاً من هذا التصور يضع أهل البيت (عليهم السلام) توجيهاً اقتصادياً مالياً يغطي بعض احتياجات أبناء الجماعة الصالحة ، حيث يلزم الأغنياء من أبناء الجماعة الصالحة بدفع الزكاة إلى خصوص أبنائها بدون استثناء ، ويحدد مصرفها بذلك : عن اسماعيل بن سعد الأشعري عن الرضاء (عليه السلام) قال : « سألته عن الزكاة هل توضع فيمن لا يُعرف ؟ قال : لا ، ولا زكاة الفطرة » (٢٢).

(٢٢) وسائل الشيعة ٦ : ١٥٢ ، ج ١٣

وعن ضريس قال : سأل المدايني أبا جعفر (عليه السلام) قال : لنا زكاة نخرجها من أموالنا ففي من نضعها ؟ فقال : « في أهل ولايتك » ، فقال : إنني في بلاد ليس بها أحد من أوليائك ، فقال : « ابعت بها إلى بلدكم تدفع إليهم ، ولا تدفعها إلى قوم إذا دعوتهم غدا إلى أمرك لم يجيبوك ، وكان والله الذبح » (٢٣).

(٢٣) وسائل الشيعة ٦ : ١٥٢ ، ج ١٣

ويبدو من بعض هذه النصوص التي وردت في هذا المجال أن هذا الإجراء المحدود الخاص إنما هو قرار وحكم «ولائي» اتخذته الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) إدراكاً منهم لمصلحة الجماعة الصالحة العامة في إطار الظروف المعاشية ، وليس حكماً محدوداً في أصل الشريعة . والله سبحانه أعلم .

عن يعقوب بن شعيب الحداد ، عن العبد الصالح (عليه السلام) قال : « قلت له : الرجل منّا يكون في أرض منقطعة كيف يصنع بزكاة ماله ؟ قال : يضعها في إخوانه وأهل ولايته ، قلت : فإن لم يحضره منهم فيها أحد ؟ قال : يبعث بها إليهم ، قلت : فإن لم يجد من يحملها إليهم قال : يدفعها إلى من لا ينصب ، قلت : فغيرهم ؟ قال : ما لغيرهم إلا الحجر » (٢٤).

(٢٤) وسائل الشيعة ٦ : ١٥٣ ، ج ١٣

وعن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله (عليه السلام) (في حديث) قال : « قلت له : رجل عارف أدّى زكاته إلى غير أهلها زماناً ، هل عليه أن يؤديها ثانية إلى أهلها إذا علمهم ؟ قال : نعم ، قلت : فإن لم يعرف لها أهلاً فلم يؤدّها أو لم يعلم أنها عليه فعلم بعد ذلك ؟ قال : يؤديها إلى أهلها لما مضى ، قال : قلت له : فإنه لم يعلم أهلها فدفعها

إلى من ليس هو لها بأهل ، قد كان طلب واجتهد ثم علم بعد ذلك سوء ما صنع ، قال : ليس عليه أن يؤذيها مرة أخرى » (٢٥).

وبهذا نعرف أن هذا الإجراء يمثل أحد الامتيازات الواضحة في موقف أهل البيت من الزكاة ، حيث يرتبط هذا الإجراء بأوضاع الجماعة الصالحة ويؤمن مصدراً مالياً مهماً لهم .

الولاية على الزكاة :

د - الولاية على الزكاة بحسب الممارسة الخارجية للدولة الإسلامية كانت للحاكم الاسلامي (٢٦) ، ولا يبعد أن يكون الأمر كذلك بحسب أصل الشريعة الاسلامية ، فالزكاة وإن كانت تمثل شراكة للفقراء في أموال الأغنياء ، كما جاء ذلك في عدة نصوص ، إلا أن ولاية هذا المال من أجل إيصاله إلى أصحابه الشركاء ، أو صرفه في مصارفه المحددة شرعاً إنما هي للحاكم الاسلامي الذي يجبي الزكاة ، كما كان النبي ﷺ يقوم في زمنه بجبايتها ، وكذلك الخلفاء من بعده .

ولكن الحكومات الاسلامية في التاريخ الاسلامي كانت في أكثر الأحيان غير شرعية ، لا تصلح للولاية بنظر أهل البيت (عليه السلام) ، لأسباب لا مجال لذكرها في هذا البحث (٢٧).

ولذا فقد واجه أتباع أهل البيت مشكلة ذات حدين وبعدين :

أحدهما : (واقعي) وهو : أن هذه الحكومات كانت تقوم بالجباية لأموال الزكاة ، ولم تكن تترك الخيار لأصحابها في الصرف .

والآخر : (شرعي) وهو : براءة الذمة بالدفع إلى الحكومة ، أو عدم براءتها لأنها حكومات جائرة . وفي حالة عدم براءة الذمة يترتب على ذلك الدفع مرة أخرى ، وهذا يشكل ضغطاً اقتصادياً إضافياً على الجماعة الصالحة .

وفي هذا المجال نجد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يتخذون إجراء يعالج هذه المشكلة الواقعية الشرعية . حيث ينصحون أتباعهم بعدم الدفع لعمال الحكومة مهما وسعهم ذلك ، انسجاماً مع الحكم الشرعي الواقعي ، وفي حالة عدم التمكن ولو

(٢٥) وسائل الشريعة ٦ : ١٤٧ ،

ج ١

(٢٦) يذكر بعض العلماء في

الأحكام السلطانية وجود

الفرق بين الأموال (الظاهرة)

وهي الغلات والأنعام ،

والأموال (الباطنة) وهي

النقدان وأموال التجارة وما

يشبهها ، فإن الولاية في

(الظاهرة) للحاكم الاسلامي ،

وأما في (الباطنة) فهي

لصاحب الزكاة . (لاحظ :

الأحكام السلطانية للقاضي

أبي يعلى الفراء الحنلي : ١١٥

، وكذلك الأحكام السلطانية

للماوردي : ٢١٢).

•

(٢٧) نتناول هذا الموضوع في

بحث الإمامة .

بسبب الظروف السياسية والاجتماعية (التقية) تركوا تشخيص هذا الأمر إلى صاحب المال نفسه واعتبروا هذا الدفع مبرراً للذمة ، حيث إن هذه الحكومات وإن كانت غير مؤهلة للولاية إلا أنها حكومات اسلامية على أي حال ، ويراد للجماعة أن تتعايش مع هذا الحكم والمجتمع الاسلامي ، وبدون ذلك فسوف تقع الجماعة تحت ضغط اقتصادي إضافي ، وهذا ما لا يرضاه أئمة أهل البيت عليهم السلام للجماعة الصالحة .

وقد ورد الحديث عن هذا الإجراء في مجموعة من النصوص ، أشار بعضها إلى تفسيره أيضاً .

ففي صحيحة يعقوب بن شعيب التي رواها الكليني في الكافي ، والصدوق في من لا يحضره الفقيه « قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العشور ^(٢٨) التي تؤخذ من الرجل ، أychتسب بها من زكاته ؟ قال : نعم إن شاء الله . »

وجاء في صحيحة العيص بن القاسم التي رواها الكليني في الكافي والشيخ الطوسي في التهذيب والاستبصار عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام « في الزكاة قال : ما أخذوا منكم بنو أمية فاحتسبوا به ولا تعطوهم شيئاً ما استطعتم ، فإن المال لا يبقى على هذا أن يزكّيه مرتين . »

وكذلك صحيحة سليمان بن خالد التي رواها الكليني في الكافي والشيخ الطوسي في التهذيب والاستبصار قال : « سمعت أبا عبد الله يقول : إن أصحاب أبي أتوه فسألوه عما يأخذ السلطان فرق لهم ، وأنه ليعلم أن الزكاة لا تحل إلا لأهلها ، فأمرهم أن يحتسبوا به ، فجاء فكري والله لهم ، فقلت (له) : يا أبا عبد الله إنهم إن سمعوا إذا لم يزك أحد ، فقال : يا بني حق أحب الله أن يظهره » ^(٢٩) .

٢ - الأراضي الموات (*) :

الثاني : الأرض الموات وهي الأرض المعطّلة التي لا ينتفع بها أما لانقطاع الماء عنها ، أو لاستيلائه عليها ، أو لملوحتها أو استيجامها ، أو غير ذلك من موانع الانتفاع التي تتعلق بالأرض وظروفها الطبيعية .

ولا شك لدى علماء الإمامية أن هذه الأرض هي ملك الامام ، حيث إنها جاءت

(٢٨) العشر : هو نسبة الزكاة في الغلات ، ويطلق على الزكاة بشكل عام أيضاً .

(٢٩) وسائل الشيعة ٦ : ١٧٣ - ١٧٤ ، ج ٣ و ٤ .

(*) ذكرنا في بحث الزكاة ، ونؤكد هنا أننا لا نريد أن نتناول هذا الموضوع من الناحية الفقهية والاستدلال على الآراء المختلفة فيه ، فإن لذلك مجالاً آخر ، وإنما نكتفي باستعراض الآراء الإجمالية الكلية من أجل تناول الموقف تجاه القضية الاقتصادية المرتبطة بأئمة أهل البيت عليهم السلام والجماعة الصالحة .

في تعداد قائمة الأنفال من الأموال التي دلت الآية الكريمة على أنها ملك الله والرسول ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ (٣٠).

(٣٠) الأنفال : ١.

كما دلت على ذلك الروايات المتعددة ونص بعضها أنها ملك للإمام ، ومن ذلك صحيحة حفص بن البختري التي رواها الكليني في أصول الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، أو قوم صالحوا أو قوم أعطوا بأيديهم ، وكل أرض خربة ، ويطون الأودية فهو لرسول الله ﷺ وهو للإمام بعده يضعه حيث يشاء » (٣١).

(٣١) وسائل الشيعة ٦ : ٣٦٤.

١٢٥

وكذلك رواية الشيخ الطوسي في التهذيب عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : « سمعته يقول : الفئ والأنفال ما كان من أرض لم يكن فيها هراقة الدماء وقوم صولحوا واعطوا بأيديهم ، وما كان من أرض خربة أو بطون أودية فهو كله من الفئ ، فهذا لله ولرسوله ، فما كان لله فهو لرسوله يضعه حيث شاء وهو للإمام بعد الرسول » (٣٢).

(٣٢) وسائل الشيعة ٦ : ٣٦٨.

١٢٦

وأما الرأي الفقهي لدى عامة فقهاء الجمهور من المسلمين في ملكيتها فهو أن الأرض الموات تعتبر من المباحات العامة شأنها شأن مياه الأنهار والبحار والاسماك والطيور أو الرمال وغيرها من المباحات والتي يمكن تملكها عن طريق الحيازة والاستيلاء عليها .

وعلى هذا الأساس نلاحظ أن الجماعة الصالحة من أتباع أهل البيت عليهم السلام لا يواجهون مشكلة واقعية من ناحية الحكم القائم تجاه نشاطهم الاقتصادي في هذا المجال الحيوي المهم ، باعتبار أن الحاكم الاسلامي لم يكن يمنع من عملية الإحياء واستثمار الأرض الموات لأنها من المباحات العامة في نظره . ولكنهم كانوا يواجهون مشكلة شرعية في هذا النشاط ترتبط بالحكم الشرعي الواقعي الذي عبّر عنه أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث اعتبروا هذه الأراضي من الأنفال التي هي ملك للإمام ، وبالتالي فتحتاج إلى الإذن والسماح من الإمام ليصح هذا النوع من النشاط والاستثمار .

ولكن الذي يهون الخطب في هذا الأمر هو أن الإذن العام للمسلمين بالإحياء قد

صدر من النبي ﷺ وهو إذن ولائي - حسب الظاهر - انطلاقاً من فكرة ملك الإمام للأراضي الموات . كما أن أئمة أهل البيت ﷺ ساروا على هذا المنهج في الإذن لشيعتهم بالإحياء .

فقد روى الشيخ الطوسي في التهذيب بطريق صحيح عن أبي جعفر الباقر ﷺ أنه قال : « أيما قوم أحيوا شيئاً من الأرض أو عمروها فهم أحق بها » (٣٣) . كما روى الكليني في الكافي والشيخ الطوسي في التهذيب والاستبصار في حديث آخر صحيح عن أبي جعفر الباقر وأبي عبدالله الصادق ﷺ قالا : « قال رسول الله ﷺ : من أحيأ أرضاً مواتاً فهي له » (٣٤) .

وهناك خلاف على مستوى اجتهاد علماء أتباع أهل البيت في فهم محتوى ومضمون هذا الإذن بالإحياء من النبي ﷺ والأئمة ﷺ . وهل يعني هذا الإذن أن يكون الإحياء سبباً في ملكية الأرض أيضاً للشخص المحيي ، كما هو رأي المشهور من علماء الإمامية ، أم ذلك يعني أن يكون الإحياء سبباً في وجود حق للشخص المحيي في الأرض مع بقاء الأرض على ملكية الإمام لها ، كما ذهب إلى ذلك بعض علماء الإمامية (٣٥) ؟

ولعلَّ صحيحة عمر بن يزيد التي رواها الشيخ في التهذيب ، والكليني في الكافي (والنص للكافي) تشير إلى الرأي الثاني ، قال : « رأيت مسمعاً (ابن عبد الملك) بالمدينة وقد كان حمل إلى أبي عبدالله ﷺ ما لافي تلك السنة فردّه أبو عبدالله ، فقلت له : لم ردّ عليك أبو عبدالله ﷺ المال الذي حملته إليه ؟ فقال : إني قلت له حين حملت إليه المال : إني كنت وليت البحرين الغوص فأصبحت أربعمائة ألف درهم ، وقد جئتكم بخمسة بثمانين ألف درهم ، وكرهت أن أحبسها عنك ، وأن أعرض لها وهي حقك الذي جعله الله تبارك وتعالى في أموالنا ، فقال : أو مالنا من الأرض وما أخرج الله منها إلا الخمس يا أبا سيار ؟ إن الأرض كلها لنا ، فما أخرج الله منها من شيء فهو لنا ، فقلت له : وأنا أحمل إليك المال كله ؟ فقال : يا أبا سيار قد طيبتناه لك وأحللناك منه فضّم إليك مالك ، وكل ما في أيدي شيعتنا من الأرض فهم فيه محلّون حتى يقوم قائمنا فيجيبهم طسق ما كان في أيديهم . ويترك الأرض في أيديهم ، وأما ما كان في أيدي غيرهم فإن كسبهم من الأرض حرام عليهم حتى يقوم قائمنا ، فيأخذ

(٣٣) وسائل الشيعة ١٧: ٣٢٦.

ج ٣.

(٣٤) وسائل الشيعة ١٧: ٣٢٧.

ج ٥.

(٣٥) راجع : اقتصادنا ٢ :

٧٤٤ ، الملحق ٤ ، ط . دار

التعارف بيروت .

(٣٦) أصول الكافي ١ : ٤٠٨ ،

ح ٢ . وفي بعض النسخ :

ويخرجهم (صفرة) .

الأرض من أيديهم ويخرجهم صفرة» (٣٦) .

٣ - الأراضي الخراجية :

الثالث : الأراضي الخراجية هي الأراضي المعمورة التي كانت بيد المشركين أو أهل الكتاب وتمكّن المسلمون من الاستيلاء عليها عنوة من خلال عمليات الفتح الاسلامي ، أو الأراضي التي تم إحيائها أو وقفها من قبل الدولة الاسلامية لصالح جماعة المسلمين .

وكان الحكم الاسلامي يتعامل مع هذه الأراضي على أنها ملك لجميع المسلمين وتديرها الدولة الاسلامية ويستثمرها عادة الأشخاص الذين كانت بيدهم من أهل الكتاب أو من غيرهم ممن أسلموا بعد ذلك ، ويدفعون الطسق للدولة الاسلامية ، وهو مقدار معين من المال يسمّى بالخراج ، أو نسبة مئوية من الناتج الزراعي ، وتقوم الدولة بتقسيم هذه الأموال على المسلمين .

وقد عرفنا سابقاً أنه أثّرت مشكلة في الصدر الأول الاسلامي حول الموقف تجاه الأراضي ، وأنها هل تكون من الغنيمة التي تقسم على المقاتلين ، أولها حكم آخر ؟ وكان أن قرر الخليفة الثاني أن تكون لجميع المسلمين ، كما صنع في أرض السواد (العراق) وكان للامام علي عليه السلام دور في هذا القرار (٣٧) .

لذا نجد أن ما ورد عن أهل البيت عليه السلام بشأن هذه الأراضي جاء متطابقاً مع القرار الذي التزم به الحاكم الاسلامي :

فقد روى الشيخ الطوسي في التهذيب بسند صحيح عن محمد الحلبي قال : « سئل أبو عبد الله عليه السلام عن السواد ما منزلته ؟ فقال : هو لجميع المسلمين لمن هو اليوم ولمن يدخل في الاسلام بعد اليوم ولمن لم يخلق بعد ، فقلت : الشراء من الدهاقين ؟ قال : لا يصلح إلا أن يشتري منهم على أن يصيرها للمسلمين ، فإن شاء ولي الأمر أن يأخذها أخذها ، قلنا : فإن أخذها منه ؟ قال : يرد إليه رأس ماله وله ما أكل من غلتها بما عمل » (٣٨) .

وعلى هذا الأساس فلا توجد هناك مشكلة من الناحية الواقعية إلا بمقدار ما عرفناه في الزكاة من أن دفع الخراج إلى الحكام الجائرين لا يكون دفعاً للولي

(٣٧) أشار إلى ذلك بعض

الباحثين مثل علي بن محمد

الماوردي في الأحكام

السلطانية : ١٧٦ . وإن كانت

أقوال فقهاء جمهور أهل

السنة مضطربة في هذا

الموضوع ، ولكنهم يكادون

يجمعون على الحكم في أرض

السواد ، وإن كانوا يختلفون

في تفسيره .

(٣٨) التهذيب ٧ : ١٤٧ ، باب

أحكام الأرضين ح ١ .

الشرعي . ولكن عرفنا في بحث الزكاة - ومن خلال هذه الرواية وكذلك السيرة التي كان عليها أصحاب الأئمة - أن هذا الدفع كان مبرئاً للذمة ، خصوصاً وأن هذه الأراضي كانت مضبوطة ومسجلة في الدواوين ، وبالتالي فلا يمكن التهرب من الدفع فيها .

الأوقاف العامة والخاصة :

يعتبر الوقف أحد الخطوط الاقتصادية المهمة في النظرية الإسلامية التي تساهم بشكل أساسي في توزيع الثروة وعدم تراكمها من ناحية ، وترشيد الصرف وتوجيهه نحو المصالح العامة من ناحية أخرى . كما أنها تؤمن مصدراً من مصادر الإنفاق العام للدولة الإسلامية ورعاية الفقراء والضعفاء .

وهذا الخط الاقتصادي كان من الخطوط العامة التي يلتزم بها المسلمون والدولة الإسلامية حسب أحكام الشريعة الإسلامية ، وتمنح فيه الصلاحيات للواقف أن يضع شروطه الخاصة ، ويوجه الصرف فيه بالطريقة المناسبة التي يراها .

وقد استفاد أهل البيت عليهم السلام من هذا الخط الاقتصادي الإسلامي العام في تأمين بعض الحاجات المالية للجماعة الصالحة وذلك عن طريق ممارسة الوقف للأموال بشكل واسع كما روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله والامام علي وفاطمة الزهراء وبقية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بحيث لا نكاد نجد إماماً من هؤلاء الأئمة لم يذكر التاريخ له القيام بهذا النوع من العمل الصالح . وقد عرف عن الامام علي عليه السلام وكذلك الإمام الكاظم عليه السلام القيام بنشاط واسع أيضاً في هذا المجال ، ولعل ذلك باعتبار توفر فرصة لهما أفضل من بقية أئمة أهل البيت المتأخرين .

فقد روي عن الامام الرضا أنه ذكر بأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد وقف الحيطان السبعة وهي : «الدلال» و«العواف» و«الحسنى» و«الصافية» و«لأم إبراهيم» و«المنبت» و«برقة» ^(٣٩) .

كما روى السيد الرضي في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد وقف ماله بعد انصرافه من صفين في وصية كتبها بشأن أمواله ^(٤٠) .

(٣٩) بحار الأنوار ١٠٣ : ١٨٣

عن قرب الاسناد .

(٤٠) نهج البلاغة: الكتاب ٢٤ .

كما رواها الكليني في فروع الكافي ، والشيخ الطوسي في التهذيب بتفصيل أوسع .

كما روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أن فاطمة عليها السلام قد أوقفت أموالها وجعلت عليها عليها السلام ولياً عليها ^(٤١).

(٤١) بحار الأنوار ١٠٣ : ١٨٤

- ١٨٥ عن مصباح الهداية .

كما روى الشيخ الكليني والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي وصية مفصلة في الوقف للإمام موسى بن جعفر عليه السلام ^(٤٢).

(٤٢) وسائل الشيعة ٣١٤ : ١٣

٥ ح

كما شجع أهل البيت عليهم السلام أتباعهم بكل مؤكّد على الاهتمام بهذا الخط وحثّوهم على هذا العمل الصالح الذي يترتب عليه ثواب عظيم لما له من أهمية في مجمل الأوضاع الاقتصادية للجماعة الصالحة ، حيث قرن الوقف في الروايات الصحيحة بأمرين مهمين رئيسيين في حياة الانسان : أحدهما الهدى والسنة الصالحة المتبعة ، والآخر الولد الصالح النافع للناس ولوالديه .

عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال : صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته ، وسنة هدى سنّها فهي يعمل بها بعد موته ، أو ولد صالح يدعو له » ^(٤٣).

(٤٣) وسائل الشيعة ٣١٣ : ٢٩٢

١ ح

وعن معاوية بن عمّار قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما يلحق الرجل بعد موته ؟ فقال : سنة يعمل بها بعد موته ، فيكون له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، والصدقة الجارية تجري من بعده ، والولد الطيب يدعو لوالديه بعد موتها ، ويحجّ ويتصدق ويعتق عنهما ، ويصلي ويصوم عنهما ، فقلت : أشركهما في حجّتي ؟ قال : نعم » ^(٤٤).

(٤٤) وسائل الشيعة ٣١٣ : ٢٩٣

٤ ح

ولذا نجد ظاهرة الوقف من الظواهر البارزة في مجمل النظام الاقتصادي للجماعة الصالحة ، ويكاد أن يكون النشاط في هذا المجال متميّزاً لديهم ، وإن كان هذا النشاط معروفاً لدى عامة المسلمين . ومن هنا نجد هذا الموضوع قد تناولته الرسائل الواردة عن الامام المهدي عليه السلام في غيبته الصغرى المعروفة « بالتوقيع » . فقد روى الصدوق في إكمال الدين عن أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدي توقيعاً يتناول فيه موضوع الوقف في عدة فقرات كان آخرها : « وأما ما سألت عنه من أمر الرجل الذي يجعل لناحيته ضيعة ويسلمها من قيم يقوم بها ويعمرها ويؤدي من دخلها وخراجها ومؤنتها ، ويجعل ما يبقى من الدخل لناحيته ، فإن ذلك جائز لمن جعله صاحب الضيعة قيماً عليها ، إنما لا يجوز ذلك لغيره ... » ^(٤٥).

(٤٥) بحار الأنوار ٥٣ : ١٨٣

نقلًا عن إكمال الدين .

ثانياً : التشريعات الاقتصادية الإسلامية العامّة التي لا تلتزم بها الدولة

وأما الجهة الثانية فإننا نلاحظ أن أهل البيت بالإضافة إلى الإجراءات والتعليمات التي وضعوها للاستفادة من الخطوط الاقتصادية العامة أو معالجة المشكلات الناتجة منها اعتمدوا خطوطاً اقتصادية ومالية إسلامية أخرى لا تلتزم بها الدولة الإسلامية . أو وضعوا سياسات وواجبات وتعليمات لأبناء الجماعة خاصة لمعالجة المشكلات الطارئة لهم ، أو توجيه النشاط الاقتصادي للجماعة . وبهذا الصدد يمكن أن نشير إلى ثلاثة خطوط رئيسية أحدها يرتبط بالامام والنظام السياسي العام ، والثاني يرتبط بالجماعة والمسؤوليات التي يجب أن يتحملها الأفراد بعضهم تجاه البعض الآخر . والثالث يرتبط بالنشاط الاقتصادي للجماعة .

وهذه الخطوط هي الأمور التالية :

الأول : الخمس في أرباح المكاسب والتجارة .

الثاني : التكافل الاجتماعي الخاص (حقوق الاخوان) .

الثالث : النشاط في مجال الزراعة والتجارة .

الأول : الخمس في أرباح المكاسب والتجارة :

يعتبر الخمس من أهم التشريعات الإسلامية الاقتصادية في النظرية الإسلامية ، خصوصاً إذا نظرنا إليه من خلال رؤية أهل البيت عليهم السلام للخمس التي تستند إلى ظهور القرآن الكريم والنصوص الواضحة الصحيحة التي وردت في السنة عن أصل تشريعه وعن الأحكام ذات العلاقة به . ذلك أن الخمس بنسبته المئوية العالية ، وسعة دائرة الأموال التي يتعلّق بها وأهميتها يشكّل مورداً من أهم موارد الدولة الإسلامية .

ويكاد يتفق المسلمون في أصل تعلّق الخمس بغنائم الحرب وبالركاز ، وأما المعادن فقد ذهب جمهور المسلمين إلى وجوب الزكاة فيها على كلام بينهم في تفصيل ذلك ^(٤٦) .

(٤٦) راجع : الأحكام

السلطانية لأبي يعلى الفراء

الحنبلي ولأبي الحسن علي بن

محمد الماوردي .

ولكن أهل البيت عليهم السلام يرون أن الخمس في أمور سبعة هي :

١ - غنائم الحرب ، ٢ - المعادن ، ٣ - الكنز (وهو الركاز) في تعريف فقه الجمهور ، ٤ - الغوص ، ٥ - المال الحلال المختلط بالحرام ، ٦ - الأرض التي اشتراها الذمي من المسلم ، ٧ - أرباح المكاسب .

وبهذا يتبين الفرق الكبير بين نظرة أهل البيت إلى الحقوق المالية ، ونظرة فقه الجمهور التي تحدد الخمس في مجال ضيق ، وتبقي الباب مفتوحاً في الأموال الأخرى إلى الزكاة التي تكون النسبة المئوية فيها أقل من الخمس ، بالإضافة إلى القيود الإضافية المطلوبة في الزكاة .

وفي جانب آخر من موضوع الخمس ، نرى أن الخمس له نحو اختصاص بأهل البيت من حيث المصرف ، كما نجد هذا النوع من الاختصاص أيضاً في «الفيء» كما جاء القرآن الكريم بذلك في الموردين معاً . لأن أهل البيت هم ذوو القربى إجمالاً بإجماع المسلمين . قال تعالى : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ (٤٧) .

(٤٧) الانفال : ٤٦ .

وقال : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ (٤٨) .

(٤٨) الحشر : ٧ .

ونلاحظ أنه في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والخليفة الأول وجزء من عهد الخليفة الثاني كانوا يدفعون سهماً من الخمس إلى ذوي القربى من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن الخليفة عمر استكثر عليهم هذا السهم بعد ذلك ، واقترح عليهم أن يقتصر في الدفع على حدود الحاجات الضرورية لذوي القربى . وقد رفض أهل البيت منذ البداية هذا التفسير الخاطئ للحكم الشرعي وأبوا إلا أن يأخذوا سهمهم كاملاً فمنعهم عمر من ذلك ثم استمر هذا المنع في العهود التالية بعد عمر عملاً بسنة عمر وتفسيره في هذا المجال (٤٩) .

فقد ورد في صحيح مسلم عن يزيد بن هرمز قال : « كتب نجدة بن عامر الحروري الخارجي إلى ابن عباس ، قال ابن هرمز : فشهدت ابن عباس حين قرأ الكتاب وحين كتب جوابه قال : فكتب إليه : إنك سألتني عن سهم ذي القربى الذين ذكرهم الله ، من هم ؟ وإنا كنا نرى أن قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم نحن ، فأبى

(٤٩) تشير بعض النصوص

إلى أن هذا المنع كان من

الخليفة الأول أبي بكر ، ولكن

بعضها الآخر يشير إلى أن

المنع كان من قبل عمر . وقد

تناول هذا الموضوع العلامة

المسكري في مقدمة مرآة

العقول : ١٤٤ - ١٥٥ .

ذلك علينا قوماً» (٥٠).

وفي رواية أخرى عن ابن عباس : « سهم ذي القربى لقربى رسول الله ﷺ قسّمه لهم رسول الله ﷺ ، وقد كان عمر عرض من ذلك عرضاً قرأناه دون حقنا ، فرددناه عليه وأبينّا أن نقبله » (٥١).

وفي رواية ثالثة : « هو لنا أهل البيت ، وقد كان عمر دعانا إلى أن يُنكح منه أيّمتنا ، ويحذي منه عائلنا ، ويقضي منه عن غارمنا ، فأبينّا إلا أن يسلمه لنا ، وأبى لنا ذلك فتركناه » (٥٢).

وقد وردت الروايات الكثيرة عن أهل البيت تؤكد اختصاص الخمس لهم ، سواء كان في ذلك سهم ذوي القربى أو سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل . وإن هذا الاختصاص جاء تعويضاً لأهل البيت ﷺ عن حرمانهم من الزكاة والصدقات باعتبارها من أوساخ الناس ، هذا بخلاف الخمس ، الذي هو حق جعله الله تعالى لهم في الأموال العامة أو الغنائم من الأموال ، فهو منزّه عن ذلك .

فقد روى الشيخ الطوسي في التهذيب عن عبد الله بن بكير عن بعض أصحابه عن أحدهما [الباقر والصادق] ﷺ في قوله تعالى : ﴿اعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسته وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل...﴾ قال : « خمس الله للامام ، وخمس الرسول للامام ، وخمس ذوي القربى لقراية الرسول : الامام ، واليتامى يتامى الرسول ، والمساكين منهم ، وابناء السبيل منهم ، فلا يخرج منهم إلى غيرهم » (٥٣).

ويبدو من بعض الروايات ، كما يفهم أيضاً من القرآن الكريم في آية الغنمة وفي آية الفاء ، أن الخمس إنما هو للامام من أهل البيت خاصة ، وأن هذا التفصيل في الأصناف إنما هو بيان لموارد الصرف (٥٤) .

فقد روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي جعفر الباقر ﷺ في قول الله عزّ وجل : ﴿اعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسته وللرسول ولذي القربى...﴾ قال : « هم قراية رسول الله ﷺ ، والخمس لله وللرسول ﷺ ولنا » (٥٥).

كما روى الكليني أيضاً في الكافي بطريق صحيح عن أبي عبد الله الصادق ﷺ قال : « والأنفال : ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، أو قوم صالحوا ، أو قوم أعطوا

(٥٠) صحيح مسلم ، كتاب

الجهاد والسير ، الباب ٤٨ ،

النساء الغازيات يرضخ لهن .

(٥١ و ٥٢) راجع هذه

الروايات في مقدمة مرآة

العقول ، حيث أسندتها إلى

الكتب المعروفة لدى جمهور

المسلمين .

(٥٣) وسائل الشيعة ٦ : ٣٥٦ ،

ج ٢ .

(٥٤) راجع : كتاب الخمس ،

بحوث في الفقه ، للحجة السيد

محمود الهاشمي ٢ : ٣٧٤ -

٣٩٧ ، وذلك للتوسع في هذا

البحث .

(٥٥) وسائل الشيعة ٦ : ٣٥٧ ،

ج ٥ .

بأيديهم ، وكل أرض خربة ، وبطون الأودية ، فهو لرسول الله ﷺ وهو للامام من بعده يضعه حيث يشاء» (٥٦) .

(٥٦) وسائل الشيعة ٦ : ٣٦٤ .

ح ١

ويوجد في هذا الموضوع حديث واسع حول مالكية هذا الخمس وأنه هل هو ملك للأئمة عليهم السلام باعتبارهم أشخاصاً حقيقيين ، ويكون منصب الإمامة هو العلة والسبب لمنحهم هذا القدر الكبير من الأموال والملك ، أو أن الخمس هو ملك لمنصب الإمامة ؟ ولذا فلا يختص بالأئمة عليهم السلام ، بل يكون نائبهم ومن يقوم مقامهم بالإمامة له حق التصرف فيه أيضاً (٥٧) .

(٥٧) يمكن مراجعة بحوث في

الفقه (كتاب الخمس) للسيد

محمود الهاشمي ٢ : ٣٧٤ -

٣٩٧ ، وكذا بحوث الخمس

للشيخ المنتظري وذلك

للتوسع في هذا الموضوع .

ولعل الحق من الناحية العملية

إذا أردنا الاقتصار على ما

يستفاد من النصوص التي

جانب الرأي الثاني ، وإن كان

المشهور بين علماء أتباع أهل

البيت : هو الأول .

ولا نريد هنا مناقشة المباني والأدلة الفقهية لهذه الآراء ، سواء على مستوى الاختلاف المذهبي بين أهل السنة وأهل البيت عليهم السلام ، أو على مستوى الاختلاف في الرأي في استنباط مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وإنما نريد هنا أن نعالج الجانب الذي يمتاز به فقه أهل البيت عليهم السلام بشكل عام فيما يتعلق بهذه الأموال بالقدر الذي ينعكس على النظام الاقتصادي للجماعة الصالحة .

وبهذا الصدد نشير إلى الأمور الثلاثة التالية التي تشكل التصور العام حول هذا الموضوع :

الأول : موقف الأئمة من الخمس في الأموال ذات العلاقة بهذه الضريبة المالية التي تقع بيد الناس مثل : «الغنائم» و«المعادن» و«الكنز» و«الغوص» و«الأرض التي اشتراها الذمي من المسلم» أو «الأموال المختلطة بالحرام» وكذلك «أرباح المكاسب لدى الناس» .

الثاني : موقف الأئمة من خمس أرباح المكاسب وتفسير ظهور فرض هذا الخمس .

الثالث : بيان دور الخمس في مجمل الأوضاع الاقتصادية للجماعة الصالحة .

١ - الموقف من الخمس مما بأيدي الناس :

انطلاقاً من النظرة السابقة التي يتبناها أهل البيت عليهم السلام لفريضة الخمس ، أصبح أتباع أهل البيت يواجهون مشكلة عامة في التعامل مع الأموال التي يتداولها عامة المسلمين ، سواء تلك الأموال التي يرى بقية فقهاء المسلمين فيها الخمس ؛ كغنائم الحرب والركاز (الكنز) ، أو التي لا يرون فيها الخمس ؛ كالمعادن والغوص

وغيرهما ؛ خصوصاً أن بعض هذه الأموال كانت ذات حساسية خاصة ، مثل الإماء والجواري والعبيد الذين كانوا يؤسرون في الحرب ويحولون إلى غنيمة يكون لأئمة أهل البيت الخمس فيها^(٥٨) ، ويكون نكاحها عندئذٍ نكاحاً محرماً ، لأنه تصرف في المال بدون إذن صاحب الحق والشريك الحقيقي .

وهذا الحكم ثابت من دون فرق بين أن يكون أبناء الجماعة الصالحة من المشاركين في القتال ، أو ممن يشتري من المشاركين ، أو يكونوا من أبناء هذه الإماء والجواري والعبيد .

وقد كانت هذه المشكلة واسعة الأطراف والابتلاء ، وتصطدم بالقضية العقائدية من ناحية ، والضغط الاقتصادي أو الروحي من ناحية أخرى ، ولا يمكن معالجتها - في بعض الأحيان - حتى يدفع الخمس مرة أخرى .

وقد اهتم أهل البيت عليهم السلام منذ بداية الأمر بهذه المشكلة قبل أن تتسع الجماعة الصالحة أو تتكامل في أبعادها الاجتماعية والعديدية فعالجوها بتحليل جزء من هذا الخمس لأتباعهم وشيعتهم ، وامتد هذا التحليل واتسع ليشمل الآباء والأمهات لأبناء هذه الجماعة . وفسر أئمة أهل البيت عليهم السلام هذا التحليل أنه من أجل التخفيف عنهم اقتصادياً ونفسياً ، ومن أجل أن تطيب مواليدهم وأصولهم .

فقد روى الصدوق في العلل والشيخ المفيد في المقنعة والشيخ الطوسي في التهذيب والاستبصار بطريق صحيح عن الثقات الثلاثة أبي بصير وزرارة ومحمد بن مسلم كلهم عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام : هلك الناس في بطونهم وفروجهم لأنهم لم يؤدوا إلينا حقنا ، ألا وإن شيعتنا من ذلك وآباؤهم في حل »^(٥٩) .

كما روى الشيخ الطوسي في التهذيب بإسناده عن محمد بن الحسن الصفار يسنده بطريق صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « من وجد برد حبناً في كبده فليحمد الله على أول النعم ، قال : قلت : جعلت فداك ما أول النعم ؟ قال : طيب الولادة ، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة عليها السلام : أحلي نصيبك من الفياء لآباء شيعتنا ليطيبوا ، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : « إنا أحللتنا أمهات شيعتنا لآبائهم ليطيبوا »^(٦٠) .

(٥٨) هذا إذا كانت مشروعة إسلامياً ، ومأذوناً بها ، وإلا فإنه لا يصح للتصرف للمقاتلين بهذه الغنائم - كما هو في بعض الحالات المنحرفة - وإنما تكون كلها من حق الإمام نفسه .

(٥٩) وسائل الشيعة ٦ : ٣٧٩ .

(٦٠) وسائل الشيعة ٦ : ٣٨١ .

كما روى الشيخ في التهذيب وكذلك الكليني في أصول الكافي بطريق معتبر عن ضريس الكناسي قال : « قال أبو عبدالله عليه السلام : أتدري من أين دخل على الناس الزنى ؟ فقلت : لا أدري ، فقال : من قبل خمسنا أهل البيت إلّا لشيعةنا الأتبيين ، فإنه محلل لهم ولميلادهم » (٦١) .

(٦١) وسائل الشيعة ٦ : ٣٧٩ .

٣٢

وأيضاً روى الشيخ في التهذيب والمفيد في المقنعة عن سالم بن مكرم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قال رجل وأنا حاضر : حلّ لي الفروج ، ففزع أبو عبدالله عليه السلام ، فقال له رجل : ليس يسألك أن يعترض الطريق ، إنما يسألك خادماً يشتريها أو امرأة يتزوجها أو ميراثاً يصيبه أو تجارة أو شيئاً أعطيه ، فقال : هذا لشيعةنا حلال الشاهد منهم والغائب ، والميت منهم والحي ، وما يولد منهم إلى يوم القيامة فهو لهم حلال ، أما والله . لا يحل إلّا لمن أحلنا له ، ولا والله ما أعطينا أحداً ذمة . وما عندنا لأحد عهد (هواة) ولا لأحد عندنا ميثاق » (٦٢) .

(٦٢) وسائل الشيعة ٦ : ٣٧٩ .

٤٢

ويبدو من بعض هذه الروايات أن الأئمة كانوا قد توسّعوا في هذا التحليل - ولو إجراء تنفيذياً ولائياً يرتبط بذلك العصر - ليشمل كل موارد الحاجة والعوز ، وذلك للتخفيف على أتباعهم من آثار الضغط الاقتصادي الذي كانوا يواجهونه . فقد روى الطوسي في التهذيب والصدوق في الفقيه عن علي بن مهزيار قال : « قرأت في كتاب لأبي جعفر عليه السلام من رجل يسأله أن يجعله في حلٍّ من مأكله ومشربه من الخمس ، فكتب بخطه : من أعوزه شيء من حقي فهو في حل » (٦٣) .

(٦٣) وسائل الشيعة ٦ : ٣٧٩ .

٢٢

وكذلك ورد في رواية يونس بن يعقوب التي رواها الشيخ الطوسي في التهذيب والشيخ الصدوق في الفقيه والشيخ المفيد في المقنعة قال : « كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل عليه رجل من القمطين فقال : جعلت فداك . تقع في أيدينا الأموال والأرباح وتجارات تعلم أن حقل فيها ثابت ، وإنّا عن ذلك مقصرون ، فقال أبو عبدالله : ما أنصفناكم إن كلّناكم ذلك اليوم » (٦٤) .

(٦٤) وسائل الشيعة ٦ : ٣٨٠ .

٦٢

٢ - الموقف من أرباح المكاسب والمناجر :

لا يكاد يوجد شك لدى فقهاء الإمامية في أن الخمس ثابت في أرباح المكاسب بعد استثناء مؤنة الإنسان في سنته (٦٥) ، ويستندون في ذلك إلى إطلاق الآية الكريمة التي تدلّ على ثبوت الخمس في كل ما يغنم الإنسان من دون فرق بين

(٦٥) مستند العروة الوثقى ،

كتاب الخمس : ٩٣ - ١٩٤ .

غنائم الحرب أو غنائم الكنز والمعدن والغوص ، أو غنائم التجارات والأعمال والحرف ، فإن سبب نزول هذه الآية - وإن كانت قد وردت في غنائم الحرب - لا يقيد الحكم المطلق فيها .

فقد ورد في حديث معتبر عن علي بن مهزيار هذا المقطع الذي يتناول فيه الامام أبو جعفر الثاني (الجلاد) تفسير الآية : « فأما الغنائم والفوائد فهي واجبة عليهم في كل عام ، قال الله تعالى : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ﴾ : فالغنائم والفوائد - يرحمك الله - فهي الغنيمة يغنمها المرء والفائدة يفيدها ، والجائزة من الانسان للانسان التي لها خطر » (٦٦).

(٦٦) وسائل الشيعة ٦ : ٢٥٠ .

ح ٥٠

كما أن الروايات العديدة التي وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) تؤكد ذلك بشكل قاطع ، وهم أعلم الناس بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية والشرعية الاسلامية .

فقد روى الشيخ الطوسي في التهذيب والاستبصار بطريق معتبر عن محمد بن الحسن الأشعري قال : « كتب بعض أصحابنا إلى أبي جعفر الثاني (عليه السلام) : أخبرني عن الخمس ، أعلی جميع ما يستفيد الرجل من قليل وكثير من جميع الضروب وعلى الصنّاع ؟ وكيف ذلك ؟ فكتب بخطه : الخمس بعد المؤنة » (٦٧) .

(٦٧) وسائل الشيعة ٦ : ٢٤٨ .

ح ١٠

وعن ابن شجاع النيسابوري أنه سأل أبا الحسن الثالث (عليه السلام) عن رجل أصاب من ضيعته من الحنطة مئة كرا ما يزكى ، فأخذ منه العشر عشرة أكرار ، وذهب منه بسبب عمارة الضيعة ثلاثون كرا ، وبقي في يده ستون كرا ، ما الذي يجب لك من ذلك ؟ وهل يجب لأصحابه من ذلك عليه شيء ؟ فوقع لي منه : الخمس مما يفضل من مؤنته » (٦٨) .

(٦٨) وسائل الشيعة ٦ : ٢٤٨ .

ح ٢٠

وعن علي بن مهزيار قال : « قال لي أبو علي بن راشد : قلت له : أمرتني بالقيام بأمرك وأخذ حَقَّك فأعلمتُ مواليك بذلك ، فقال لي بعضهم : وأي شيء حقّه ؟ فلم أدِرْ ما أجيبه ، فقال : يجب عليهم الخمس ، فقلت : ففي أي شيء ؟ فقال : في أمعتهم وصنائعهم (ضباعهم) ، قلت : والتاجر عليه والصانع بيده ؟ فقال : إذا أمكنهم بعد مؤنتهم » (٦٩) .

(٦٩) وسائل الشيعة ٦ : ٢٤٨ .

ح ٣٠

تفسير ظهور هذا الحكم في العصور المتأخرة

ولكن بالرغم من هذا الوضوح الفقهي بالنسبة إلى أصل تشريع هذا الخمس توجد بعض الإبعاد الغامضة التي اقترنت مع هذا التشريع تحتاج إلى شيء من التفسير والتوضيح .

الأول : الغموض الناشئ من عدم معرفة هذا الخمس على مستوى عموم المسلمين والأمة الإسلامية ، حيث لا يوجد لهذا القسم من الخمس عين ولا أثر في صدر الاسلام إلى عهد الصادقين عليه السلام ^(٧٠) . مع أن أرباح المكاسب من الأمور التي كان لها وجود منذ الصدر الأول للاسلام وفي زمن النبي ﷺ ، الأمر الذي يثير التساؤل حول ثبوت الخمس في أرباح المكاسب .

الثاني : إن هذا الحكم الشرعي لم يكن معروفاً أيضاً - كما يبدو - حتى في أوساط الجماعة الصالحة من أتباع أهل البيت عليهم السلام مع وجود هذه الأرباح من ناحية ، ووجود الارتباط بين أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم من ناحية أخرى .

أما تفسير الغموض الأول فيمكن أن نرجع فيه إلى بحثنا حول مرجعية أهل البيت الدينية ، حيث عرفنا أن النبي ﷺ لم يبين جميع الأحكام الإسلامية على المستوى العام للمسلمين لأسباب موضوعية ترتبط بالنبي ﷺ وبالأمة نفسها ، وإنما بين ذلك على المستوى الخاص وهو الامام علي عليه السلام وبعض الخاصة من أصحابه . وأرجع النبي ﷺ الأمة في معرفة هذه الأمور مستقبلاً إلى أهل البيت عليهم السلام ، كما دلّت على ذلك النصوص الماثورة عن النبي ﷺ ، وكما اعترف بذلك الخلفاء بعد النبي ﷺ ، ويشير إليه رجوعهم إلى الامام علي عليه السلام في حل المعضلات الشرعية .

وهذا الأمر أدّى إلى خفاء هذا التفصيل في الحكم الشرعي على الأمة بسبب الظروف السياسية والثقافية التي أحاطت بأهل البيت عليهم السلام وإبعادهم عن موقعهم السياسي . وكان الخمس أحد الموضوعات ذات العلاقة بهذا الأمر ، باعتبار أن أهل البيت هم المرجع لهذا الخمس كما عرفنا .

بل قد يقال : إن النبي لم يبين هذا القسم من الخمس وإنما أخره عن عصر التشريع ، وأوكل إلى الإمام بيانه في ظرفه المناسب له حسب المصالح

(٧٠) مستند العروة الوثقى ، كتاب الخمس : ١٩٦ . ولكن بعد ذلك حاول أن يجد له بعض الأثر فيما أثر عن رسول الله ﷺ ، كما ورد في صحيح البخاري ، راجع : صفحة ١٩٧ .

(٧١) المصدر نفسه .

الوقتية^(٧١) . بالإضافة إلى أن الخمس في أرباح المكاسب لم يكن من الأمور التي يمكن ضبطها من قبل الحاكم ، لأنه إنما يجب بعد ظهور الربح في التجارات واستثناء المؤنة السنوية لصاحب الربح ؛ وهذا مما لا يمكن ضبطه وتعيينه من قبل الحاكم الشرعي في ذلك ، شأنه شأن الزكاة في النقدين والتجارة التي يستثنى عنها فقهاء الجمهور من وجوب تسليمها إلى الحاكم باعتبارها من الأموال «الباطنة» بخلاف الأموال «الظاهرة» كالأنعام والغلات التي يمكن أن تضبط وتخرص ويجب تسليمها إلى الحاكم^(٧٢) .

(٧٢) الأحكام السلطانية

للقاضى أبي يعلى الفراء :

١١٥ ، والأحكام السلطانية

للماوردي : ١١٣ .

أضف إلى ذلك أن أرباح المكاسب في عصر النبي ﷺ كانت قليلة ومحدودة في عدد معين من الناس . ونرى فقهاء الجمهور يذهبون إلى وجوب الزكاة في أموال التجارة ، بخلاف الرأي السائد لدى فقهاء مذهب أهل البيت ﷺ ، وهذا يفتح أمامنا احتمال أن يكون تشريع الخمس في أرباح المكاسب بالأصل قد تحول لدى فقهاء الجمهور إلى الزكاة في أموال التجارة ، بسبب عدم الضبط في تشخيص الأحكام الشرعية ، أو بسبب ما تعرض له المجتمع الاسلامي والاسلام من محاولات التبديل والتحريف ، بحيث أصبحت بعض الأمور الواضحة في الشريعة الاسلامية غامضة في ذلك العصر ، مثل بعض أحكام الزكاة والحج وغيرهما^(٧٣) . ولم يتصدأئمة أهل البيت ﷺ لبيان هذا الحكم الشرعي ، لأن ذلك يؤدي بطبيعة الحال إلى المزيد من القوة والمنعة للحكومات الظالمة الجائرة التي كانت ترى أن الخمس هو ملك لمنصب الخليفة ، وبالتالي سوف يتحول هذا المال إلى خزينة هذا الخليفة أو ذلك ، بحيث يتعامل معه وكأنه ملك شخصي للخليفة نفسه . وأما تفسير الغموض الثاني ، فيمكن تفسيره بأحد احتمالين :

(٧٣) مستند العروة الوثقى ،

كتاب الخمس : ١٩٧ - ١٩٨ .

١ - على أساس أن أئمة أهل البيت لم يكونوا قد أرادوا تكليف شيعتهم وهم قلة أعباء مالية إضافية ، ولم يكن الأئمة ﷺ يشعرون بوجود حاجة ملحة لهذه الأموال ، بسبب عدم تكوّن الجماعة الصالحة بشكلها الكامل الواسع ، الأمر الذي يفرض الحاجة إلى نفقات كبيرة ، ولذلك أباحوا لشيعتهم هذا الخمس ، لأنه ملك لمنصب الإمامة ، كما قد أباحوا لهم الأخماس المتعلقة بالأموال التي كانت بأيدي الآخرين من الناس ، كما عرفنا سابقاً .

هذا كله بناء على أن الخمس في أرباح المكاسب ثابت في أصل الشريعة، وقد بيّنه النبي ﷺ إجمالاً لعامة الناس وتفصيلاً للإمام علي عليه السلام، كما هو الظاهر من بعض النصوص.

٢ - وأما إذا قلنا بأن الخمس في أرباح المكاسب لم يبيّن في أصل التشريع وإنما كان أمراً متروكاً للأئمة من أهل البيت عليه السلام ضمن الصلاحيات الواسعة التي أعطاها الاسلام للإمام في تشريع بعض الأحكام ذات العلاقة بالمجتمع الاسلامي بشكل عام وفي حدود القضايا الحالية. كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء^(٧٤)، فبناء على ذلك يمكن تفسير عدم معرفة عموم الشيعة لهذا الخمس إلى زمن الصادقين عليه السلام بأن الأئمة لم يشرّعوا هذا الخمس إلا في ذلك العصر عندما ظهرت الحاجة إلى هذا المصدر المالي، بسبب نمو الجماعة وتكاملها ووجود الحاجة إلى الأموال لملء الفراغ المالي في سد حاجاتها والإنفاق عليها.

٣ - دور الخمس في الأوضاع الاقتصادية للجماعة الصالحة :

لقد كان الخمس في أرباح المكاسب ولا زال يمثل أهم مصدر من المصادر المالية في النظام المالي للجماعة الصالحة، حيث تعتمد عليه بشكل أساسي مختلف النفقات العامة والخاصة التي تقوم بها الجماعة، خصوصاً فيما يتعلق بالشؤون العامة منها، ولكن بالإضافة إلى كل ذلك نلاحظ أبعاداً أخرى تعطي لدور الخمس أهمية إضافية في مجمل النظام العام لهذه الجماعة الصالحة. ويمكن أن نتعرّف على الصورة الإجمالية الكاملة لدور الخمس في الأوضاع الاقتصادية للجماعة الصالحة نظرياً وواقعياً من خلال ملاحظة الأبعاد التالية التي نشير إليها بشكل إجمالي :

الخمس هو الرصيد المالي الوحيد :

الأول : ان الخمس يمثل المورد المالي الوحيد تقريباً الذي يعتمد عليه النظام العام للجماعة، بالإضافة إلى الأوقاف العامة، وذلك بعد صد أبواب الموارد المالية الأخرى وغلقها مثل الزكوات التي تدفع للدولة أو للفقراء بشكل مباشر، أو أموال الخراج التي تستولي عليها الدولة أيضاً، أو الأموال العامة الأخرى التي

(٧٤) مستند العروة الوثقى

كتاب الخمس : ١٩٦ . وبحوث

في الفقه، كتاب الخمس : ٢ .

كانت تذهب إلى خزينة الدولة ، وتجنّب لها من كل البلاد الاسلامية .

ولا يمكن لأي جماعة - كما ذكرنا - أن تبني وجودها الاجتماعي والسياسي والثقافي بدون وجود الأموال العامة اللازمة لذلك ، كما أن الظروف السياسية والاجتماعية لم تكن تسمح بوجود موارد أخرى تعتمد عليها الجماعة ، كالاشتراكات أو الاستثمارات العامة ، حيث كانت مثل هذه النشاطات تشكل تهديداً لأمن الجماعة ، بالإضافة إلى أنها تمثل - أحياناً - عبئاً اقتصادياً إضافياً عليها كالاشتراكات .

المرونة في الخمس :

الثاني : ان الخمس كان ملكاً لأئمة أهل البيت عليهم السلام أو حقاً للإمامة والإمارة المختصة بهم ، ولهم صلاحيات واسعة في التصرف به ، وكذلك هناك سعة في دائرة مصرفه ، فإن حق السادة فيه من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله أو بني هاشم الذي جعله الله تعالى لهم عوضاً عن الزكاة إنما هو باعتباره أحد المصارف التي هي للخمس الذي هو ملك أو حق للإمام ، ولذلك يتحمل الإمام النقص في سهم السادة وينفقه في الشؤون العامة عند الزيادة منه ، بل الحكمة في التشريع هو أن يكون الاتفاق عليهم من أموال الخمس التي هي أموال الإمام ، لأنها أموال نظيفة طاهرة ، وليست من أوساخ الناس ، كما جاء التعبير بذلك على ما أشرنا .

وهذه الصلاحيات تعطي مرونة وفرصة للاستفادة من هذا المال وتوجيهه في مختلف المجالات والمصالح التي يراها الإمام أو المرجع النائب عن الإمام . ولذلك نجد أئمة أهل البيت عليهم السلام يؤكدون على هذا الجانب في تصريح الخمس ، ويصل الحدّ بهم أحياناً إلى إباحة الخمس - كما عرفناه في روايات التحليل - أو إرجاعه إلى صاحبه عندما يجدون المصلحة في ذلك ، كما في رواية أبي سيار مسمع بن عبد الملك التي سبق ذكرها ^(٧٥) .

(٧٥) وسائل الشيعة ٦ : ٣٨٢ .

الإمكانيات المالية الواسعة :

الثالث : ان الخمس يمثل نسبة مئوية عالية من مجمل الثروة العامة للمجتمع

الانساني ، الأمر الذي يضع تحت يد صاحب الخمس وهو الامام إمكانات مالية كبيرة جداً يقدم من خلالها خدمة عظيمة للإسلام والمسلمين والأهداف المقدسة ، فإن الخمس كما عرفنا يتعلّق بمجمل الأموال الأساسية التي يغنمها الانسان كما يعبر عنها القرآن الكريم ، مثل : المعادن ، والغوص ، وغنائم الحرب ، وأرباح المكاسب .

وبذلك يكون الخمس أكثر أهمية من الصدقات (الزكاة) لارتفاع النسبة المئوية فيه . وتزداد أهمية خمس أرباح المكاسب إذا عرفنا التوجّه الاقتصادي العام لاتباع أهل البيت إلى خصوص التجارة والزراعة ، تشكل التجارة موضوعاً مهماً في خمس أرباح المكاسب كما هو واضح . ولعلّ أحد أبعاد التأكيد من أهل البيت على اتباعهم بالاهتمام بالتجارة ينطلق من هذا البعد .

الأمّن من الأعداء :

الرابع : ان خمس أرباح المكاسب لما كان يتعلّق بالأموال «الباطنة» - حسب التقسيم الفقهي للأموال - كان دفع الخمس إلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لا يلفت أنظار الأعداء ، ولا يشكل خطراً أو تهديداً أمنياً ضد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، بخلاف الدفع من الأموال «الظاهرة» التي يتم إحصاؤها وخرصها من قبل السلطات عادة ، كما هو في زكاة الأنعام أو الغلات .

كما أن خمس أرباح المكاسب ليس معروفاً لدى الأوساط العامة للمسلمين ، فلا يثير الدفع إلى الأئمة (عليهم السلام) الشكوك في نظر هذه الأوساط حول حركتهم أو بثّهم لفكرة الإمامة في أوساط شيعتهم ، وبذلك تتم المحافظة على الجانب الأمني وتجنّب الأخطار الناتجة عن عملية أخذ الخمس أو جبايته .

البعد العقائدي والروحي :

الخامس : ان دفع «هذا الخمس» وأخذه لهما أبعاد عقائدية وروحية تزيد من أهمية الدور الذي يمكن أن يؤديه الخمس في حياة الجماعة الصالحة : ذلك أن الخمس هو حق أهل البيت (عليهم السلام) ، فدفعه يستبطن التعبير عن الاعتقاد بأحقّيتهم

ومظلوميتهم ، كما يعبر في الوقت نفسه عن الحب والود والوفاء .

إن الخمس هو حق الامارة - كما ورد في الحديث - وبالتالي فدفعه إلى أهل البيت عليه السلام يعني الايمان بإمامتهم وإمارتهم ، وهذا بعد عقائدي في الخمس ، فهو ليس مثل الزكاة تدفع إلى الفقراء ، فيكون الدفع إليهم مثلاً ترجيحاً لهم على غيرهم ، وإن كان الثابت لدى المسلمين هو منع دفع الزكاة لأهل البيت تنزيهاً لهم من أوساخ الناس وتأكيذاً على علاقتهم بالخمس .

البعد التنظيمي :

السادس : ان الخمس يمثل بعداً تنظيمياً في الجماعة الصالحة ، بما يمثله من التعبير عن ارتباط أبناء الجماعة بالولاية والمرجعية ، من خلال المشاركة المالية في إدارة الجماعة وتغطيتها لمصاريفها العامة ، من خلال محور الولي والمرجع . وفي هذا تعبير عن الانتماء للجماعة والعضوية فيها ، فهو شبيه بحق المساهمة المالية للأعضاء في المنظمات والمؤسسات الجماعية .

البعد الواقعي :

السابع : ان الواقع التاريخي لأئمة أهل البيت عليه السلام وللجماعة الصالحة يؤكد أن الخمس كان يمثل المحور الأهم في الموارد المالية التي كانت تعتمد عليها الجماعة الصالحة في إدارة شؤونها المختلفة .

ويمكن أن نشير هنا إجمالاً إلى مجموعة من العناوين والقضايا والمشاريع المهمة التي كانت تغطى مالياً بهذا المورد المبارك :

أ - الحوزات العلمية والمدارس الثقافية في مختلف البلاد ، حيث يكون التدريس فيها مجاناً ، والمدرسون فيها لا يتقاضون - عادة - عوضاً عن جهودهم ، وهكذا الباحثون والمحققون .

ب - نفقات علماء البلاد والمبشرين والرساليات التعليمية والارشادية .

ج - نفقات طبع ونشر الكتب الدينية ، مثل : كتب الفتاوى ، أو التعليم الديني ، أو البحوث الفقهية والأصولية والحديثية وغيرها ، أو المجلات والدوريات .

- د - بناء وإدارة المساجد والحسينيات والمراقد لأئمة أهل البيت عليهم السلام وأولادهم الصالحين ، والمدارس الدينية والأقسام الداخلية ، وبيوت الطلبة المتزوجين ، والمكتبات العامة ، وغيرها من المؤسسات الدينية .
- هـ - إدارة الجمعيات الإسلامية والدينية التي تقوم بالنشاطات المختلفة .
- و - إقامة الاحتفالات الدينية والمجالس الحسينية العامة .
- ز - أعمال الإغاثة في الحوادث الاستثنائية كالزلازل والسيول والفيضانات ، وغيرها من الكوارث . وكذلك بعض الخدمات العامة مثل : الحمامات العامة ، والقناطر أو بيوت الضيافة العامة للزوار (الخانات) وغيرها .
- ح - تغطية نفقات الفقراء والضعفاء والمحتاجين أو مساعدتهم ، سواء أكانوا من بني هاشم بشكل عام أو أولاد الرسول صلى الله عليه وآله بشكل خاص ، أو كانوا من عامة الفقراء والضعفاء والمحتاجين من أبناء الجماعة الصالحة .
- وبهذا يتبين لنا الدور العظيم الذي كان لهذا الواجب المالي ، خصوصاً في أرباح المكاسب ، وأهميته في بناء الجماعة الصالحة .

قَالَ الرَّؤُوسُ الصَّادِقُ (ع) :

إِنَّ لِحَقِّ النَّاسِ بِالْوَرَعِ
أَلَّ مُحَمَّدٍ وَشَيْعَتِهِ
كَيْمَا تَقْتَدِيَ الرَّعِيَّةُ بِهِمْ .

بشارة المصطفى : ١٧

الجوع في العالم

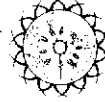
والله أكبر ولله الحمد

د.اي

• روبرت جيري

[فرنسا]

إن الغالبية العظمى من سكان هذا العالم تعاني من الجوع ونقص في المواد الغذائية المختلفة ، بينما تطفح «البلاد الصناعية» بالمنتجات الزراعية والغذائية .



إن هذا الوضع ليس قدراً محتوماً (على الناس) ، بل هو نتيجة للسياسات التي تتخذها مجموعة الشركات العالمية (الكارتلات) والتي يخضع بعضها لقيادة أميركية ، كالشركة العالمية للسويا ، واتحاد المنتجين للفوسفات في فلوريدا، واللوبي الأميركي - الكندي للتحكم بتجارة القمح وخصوصاً مجموعة المقاولين في تجارة الحبوب منهم .

لن نعالج هنا إلا مشكلة البروتينات الغذائية التي أدت إلى ثراء كارتل السويا الفاحش ، وذلك لأنه الكارتل الوحيد الذي يمكن للدول المنتجة للنفط أن تؤثر عليه مباشرة ، لأن هذه الدول ، وكما سيظهر لنا من خلال هذا البحث ، لديها إمكانية أن تقوم بانتاج كميات كبيرة وكافية ومنخفضة الأسعار من مادة البروتين ، بحيث يمكنها أن تسد حاجة شعوب القارة الأفريقية وجنوب آسيا .

والسويا هي نوع من البقول (الخُضر البقلية) وأصلها من بلاد الصين الغنية جداً بالزيوت النباتية والبروتين ، والتي تدخل في كثير من أطعمة الناس هناك وبأشكال مختلفة ، ولكن بدون فصل لزيوتها عن بقية العناصر الغذائية الموجودة

في بذورها .

لقد انتشرت زراعة السويا ، بسبب تصنيعها ، في الولايات المتحدة الأميركية انتشاراً واسعاً وناجحاً . مع أن الأميركيين لا يُدخلون السويا في وجباتهم الغذائية ، ماعدا تلك الأقلية الصينية الموجودة هناك ، فإنها تعتمد كثيراً على السويا في غذائها .

ولذا سعى الأميركيون لإيجاد أسواق مربحة ، لتصدير هذه المادة الغذائية التي ينتجونها بكميات كبيرة ، وبكلفة زهيدة في المقاطعات الجنوبية من الولايات المتحدة الأميركية .

كما أن الانتشار الواسع في الولايات المتحدة الأميركية لتربية المواشي ، أدى إلى ايجاد حاجة ماسة للحصول على المواد البروتينية النباتية ، التي تتوفر كثيراً في نبات السويا لتقديمها علفاً لحيواناتهم ومواشيهم . ولكن كثرة المواد الزيتية في حبوب السويا شكل عقبة في وجه تقديمها علفاً للحيوانات .

ولحلّ هذا المشكل عمدوا إلى استخراج المادة الزيتية من حبوب السويا ، عن طريق استخدامهم لمواد كيميائية محلّلة (أي مُذيبات كيميائية) ، وذلك بعد أن عجزوا عن استخراج زيت السويا بالطرق التقليدية المعروفة .

ولما تم لهم ذلك قاموا بتصدير هذه الزيوت المستخرجة من حبوب السويا إلى بلدان العالم الثالث ، تحت شروط مُعيّنة لا تنتطرق إليها هنا .

وعندما تم اشباع السوق الأميركية بالعلف الحيواني المصنّع من نبات السويا ، قام الأميركيون بغزو السوق الأوروبية عن طريق تصديرهم للفاصل عن حاجتهم من مادة العلف هذه ، وبذلك أصبحت تربية المواشي في أوروبا مُتعلقة بالعلف الذي يصنعه الأميركيون من بذور نبات السويا .

كما أن تطور وسائل النقل البرّي ، عن طريق استخدام الشاحنات على حساب النقل بواسطة السكك الحديدية ، جعل الاقتصاد الأوروبي مرتبطاً ارتباطاً كاملاً بمصانع محرّكات الديزل الأميركية .

وفي الجو البارد في أوروبا ، والحالة هذه ، يتجمد الوقود (الكازوئيل) المستخدم في هذه المحرّكات وبذلك تُشل حركة الشاحنات . والواقع أن مادة

«البارافين» (مادة شمعية موجودة في الكازوئيل) تتجمد في درجات الحرارة المنخفضة تحت الصفر. أما مادة «الهيدروكربون» المتبقية من الكازوئيل فإنها تحافظ على سيولتها في درجات الحرارة المنخفضة جداً.

ولذلك، ولمواجهة هذه المشكلة، تم العمل لتنقية الكازوئيل من مادة «البارافين» خصوصاً في فصل الشتاء. ولكن هذه العملية مكلفة نسبياً. وقد تم اكتشاف عدة طرق لتنفيذها. ففي الستينات (أي بعد عام ١٩٦٠م وحتى ١٩٦٩م) نجح باحث فرنسي في مدينة مرسيليا، وهو البروفيسور جاك سينس [jacques sènès]، الذي كان يعمل مع الفرع الفرنسي لشركة البترول البريطانية الفرنسية [British petroleum] أي الـ [BP]، نجح هذا الباحث بوضع طريقة بيولوجية لتنقية الكازوئيل من مادة البارافين، وهي طريقة مهمة جداً حيث توصل هذا الباحث باكتشافه هذا إلى إنتاج مادة بروتينية غذائية لها نفس القيمة الغذائية، وأقل كلفة من العلف المستخرج من بذور نبات السويا.

وهذه الطريقة المكتشفة هي نسبياً عملية بسيطة وفي نفس الوقت اقتصادية. يتم إضافة الهواء والأمونياك والماء وأملاح معدنية مختلفة إلى الكازوئيل، ثم يضاف إلى هذه الرغوة الناتجة نوع من الخميرة، وهو فطر مداري [candida tropicalis]، وخلال عملية التخمر هذه تنمو هذه الخميرة عن طريق استهلاكها لمادتي البارافين والأمونياك. وعندما يتم استهلاك هاتين المادتين استهلاكاً كاملاً تتوقف عملية التخمر، وعندها تفصل بقية المواد: الكازوئيل الذي تمت تنقيته من مادة البارافين، والماء المالح، ورغوة الخميرة التي تُعطي بعد تنقيتها وإجراء عملية لحفظها بطريقة [Lyophilisation]^(١) نوعاً من المسحوق الناعم يحتوي ثلثاه على المواد البروتينية الغذائية.

وما إن تمت هذه العملية حتى قامت وسائل الاعلام بضجة إعلامية صاخبة حول ما أطلقت عليه خطأ اصطلاح «بروتين البترول»، فالحقيقة أنه لا يوجد بروتين في البترول. بينما استعمل رجال العلم الاصطلاح التالي «البروتين الناتج من وحيدات الخلية المزروعة في البترول» أي باختصار الـ [POUP]^(٢).

ولكن مهما كان الاسم الذي نطلقه على هذا الاكتشاف، فإن وسائل الاعلام

(١) طريقة لحفظ المواد

الحية والبيولوجية

السريعة العطب.

(٢) كما يطلق على هذه

البكتيريا وحيدة الخلية

المنتجة لمادة البروتين باللغة

الإنجليزية اسم : [SCP] أي

[Single cell protein]

سكتت فجأة عن الموضوع وفرضت عليه مقاطعة اعلامية وكأن شيئاً لم يكن .
 في الحقيقة أن كارتل سويلا (الأميركي) عرف خطر هذا الاكتشاف على مصالحه . ففي البداية قامت زوبعة إعلامية مُشوّهة تتهم «بروتين البترول» (كما يطلقون عليه) أو الـ [POUP] كما يسميه العلماء ، بأنه يؤدي إلى الإصابة بأمراض سرطانية ، ولذلك قامت شركة الـ [BP] الفرنسية بدفع أحد دكاترة الصيدلة في جامعة الجزائر ، الذي يدّعي أنه متخصص بالمواد السامة ، ليبرهن ، خلافاً للحقائق العلمية ، أن هذا النوع من البروتين يسبب الإصابة بمرض السرطان .

ولكن الأوساط العلمية الفرنسية تحركت بطريقتها الخاصة ، وقامت بعقد ندوة علمية في مدينة «اكسن برو وانس» بتاريخ ١٥ و ١٦ / ٢ / ١٩٧٢م برئاسة كل من البروفسور [Robert Debrè] ، والبروفسور (كويل دو بونتانييل) [Goudelle de Pontanel] ، حيث تم في هذه الندوة العلمية تنفيذ تلك المزاعم القائلة بأن هذا البروتين المكتشف يؤدي للإصابة بالسرطان .

أما في إيطاليا ، فقد قام «بنك مزوجيورنو» بتمويل لإنشاء مصنعين كبيرين ، أحدهما في سردينيا والآخر في جزيرة سيسيليا ، يستخدمان هذه الطريقة المكتشفة من قبل البروفسور سينس لإنتاج هذا النوع من البروتين ، ولكن رجال المخابرات الأميركية الذين يُسيرون رجال السلطة في إيطاليا ، تحركوا عن طريق المحفل الماسوني «٦» [Loge P6] ونجحوا بأن تم التصويت على قانون يمنع إنتاج «بروتين البترول» في إيطاليا . وهكذا تم خسران مليارات الليرات الإيطالية التي تم صرفها على إنشاء هذين المصنعين ، دون أن يجرؤ أي شخص على الاعتراض .

ولكن شركة النفط البريطانية [British Petroleum] ، التي أنفقت المليارات على هذه الأبحاث العلمية الناجحة ، غير مستعدة للتخلي عن هذه النتائج العلمية الهامة دون أن تحصل على تعويض في المقابل .

وإذا ما عددنا التعويضات التي حصلت عليها في مقابل تخليها عن هذه النتائج العلمية ، يتبين لنا مدى الأهمية العظيمة لطريقة إنتاج البروتين بواسطة البترول ،

فقد طلبت شركة الـ [BP] الحصول على امتيازات في ألاسكا ، وإعطاءها الرخصة في شراء إحدى الشركات الأميركية لتوزيع البترول ، وقد كان الشرط في قبول الأميركيين لهذين الطلبين هو أن تتخلى شركة الـ [BP] عن مشروعها في إنتاج البروتين عن طريق البكتيريا وحيدة الخلية بواسطة البترول ، أي [Poup] . وهكذا لم تحصل شركة الـ [BP] على الطلبين السابقين فقط ، بل حصلت أيضاً على السيطرة على ثلث السوق الأوروبية لتوزيع علف السوا .

ولذلك ، ومنذ ذلك الوقت ، فإن العلماء والمهندسين الذين ابتكروا هذه الطريقة ، وعملوا في تشغيل الوحدة الصناعية التجريبية في مدينة لافيرا [Lavèra] الفرنسية ، قاموا بترك شركة الـ [BP] حيث تحول البعض منهم على التقاعد والبعض الآخر مازال يزاوّل أعماله في غير مجال تخصصه ، ولكنهم ما زالوا موجودين ، وهم مستعدون ، إن لم يستطيعوا القيام بهذا العمل بأنفسهم ، أن يقدموا تجربتهم لمن هم أكثر شباباً منهم .

لقد حاول البروفسور سينس [Sènès] عدة مرات اقناع دول الخليج الفارسي بتبني هذه الطريقة (التي اكتشفها) ، ولكن الأميركيين أفسلوا كل هذه المحاولات عن طريق الضغوط السياسية التي مارسوها على هذه الدول ، مما دعاها للتخلي عن تبني هذا المشروع .

وفي آخر محاولة للبروفسور سينس ، وكانت قبل ابتداء حرب الخليج بسنة واحدة ، استطاع أن يقنع المملكة العربية السعودية بتبني هذا المشروع ، وقد وافقت السعودية على ذلك ، ولكن الولايات المتحدة الأميركية قامت بتهديد السعودية بأنها ستوقف عن بيعها أي نوع من الأسلحة ، إن هي قامت بإنشاء مصنع لإنتاج هذا النوع من البروتين . وهكذا مرة أخرى تم إهمال هذا المشروع . إن الحل الأمثل هو القيام بإنشاء وحدة صناعية لتنقية الكازوثيل من مادة البارافين ، بطريقة سينس البيولوجية ، في البلد المنتج للنفط نفسه ، ولكن ذلك سيدفع الأميركيين للدعاء بأن هذا المصنع هو لإنتاج الأسلحة البيولوجية والبكتيرية ، وبذلك سيعطيها المبرر لضربه وتدميره دون أن يقدر أحد على الاعتراض ، وحتى لو لم يُدمر المصنع وتم إنتاج البروتين فيه ، فإن تصريف

الإنتاج سيواجه الكثير من العقبات والمشاكل .

ولذلك تم التفكير بطريقة تعمل لشل التحرك الأميركي والتهديد الذي يمثله .
لقد احترقت مصفاة تكرير النفط «توتال» [TOTAL] الموجودة في منطقة [LAMÈDE] على شاطئ [L'Etange de Berre] بالقرب من مدينة مرسيليا ، وذلك بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٩٩٢ م . ويبدو في الظروف الحالية أن شركة توتال غير مستعجلة لإعادة بناء هذه المصفاة من جديد . إذا بإمكان دولة منتجة للبتروول ومستقلة عن الـ «كارتل» عرض مساعدتها على شركة «توتال» للقيام بإعادة بناء هذه المصفاة ويكون الحساب مناصفة ، والدولة المنتجة للبتروول تقوم بدفع ما يترتب عليها في عملية البناء هذه عن طريق تقديمها للنفط الخام ، ويمكن عندها أن يشمل مخطط البناء هذا إنشاء وحدة صناعية في المصفاة لتنتج الكازوئيل من مادة البارافين باستخدام طريقة «سينس» .

فمن جهة لن يستطع رجال المخابرات الأميركية والاسرائيلية الادعاء بأنها وحدة صناعية لإنتاج الأسلحة البكتيريولوجية ومن جهة أخرى فإن عملية توزيع مادة البروتين المستخدم علفاً للحيوانات في السوق الأوروبية لن تواجه أي مشكلة .

وعندما تتم هاتان العمليتان ، (أي الإنتاج والتوزيع في أوروبا) ، فإن البلد الذي شارك في عملية البناء سيستطيع إنشاء الوحدات الصناعية التي يرغب فيها لإنتاج هذا النوع من البروتين على أراضيه ، دون أن يواجه أي مشكلة تكنولوجية أو سياسية . ومن الواضح أن العقد الذي سيتم بين الطرفين سيتضمن هذه الإمكانية ، وسيتم تربية الكوادر اللازمة لهذا العمل ، من البلد الشريك ، في مصنع [LAMÈDE] «في فرنسا» .

هذه العملية لا تكلف البلد المنتج للنفط الخام ، الذي سيقبل بالمشاركة ، إلا الكمية اللازمة من النفط الخام التي يقدمها لإعادة بناء مصفاة البتروول (التي احترقت) في [LAMÈDE] .

الأسس الجبرية للوحدة الإسلامية

في مدرسة أهل البيت

الأساس الأول : وصف لعقيدة الإسلام

دراسات

* الشيخ

فؤاد كاظم المقدادي

العراق

مدخل

لعل من أبرز المسائل التي تعيش أملاً حياً في ضمير المسلمين ،
 وهدفاً أكيداً في تطلعات الأمة الإسلامية ، ورغبة ملحة لدى رجالها
 وقادتها المجاهدين ، هي مسألة الوحدة بين المسلمين ، والتقارب بين مذاهبهم
 وفرقهم ، وردم الهوة الوهمية بينهم تلك التي خلقها الجهل والهوى ، وأحكمها كيد
 حكام الجور والفساد ، وعمل على اتساعها وتكريس أمرها في مرحلتنا المعاصرة
 الكفر العالمي ومؤسساته الثقافية والإعلامية الخبيثة ، حتى استحكمت وأصبح
 أمرها يحتاج إلى الهمة العالية للعلماء المخلصين ، والحركة الرائدة للقادة
 المجاهدين ، والإرادة الماضية للأمة الواعية الراشدة ، خصوصاً وأن المشتركات
 تكاد تجعل ، وبمنظرة علمية موضوعية ، كل الاختلافات على الهامش فيما تحتفظ
 بالاصول والاركان واحدة لا تعدد فيها ، متحدة لا خلاف عليها ، سواء كانت
 بمنطق صريح مباشر للثوابت والنصوص العقائدية والتشريعية أو بالملازمة
 العقلية والعقلانية لها .

وتتأكد هذه الرؤية عند مراجعتنا لتراث السلف الصالح وأطروحاتهم

الحديثية والعلمية لمفردات الاسلام في مختلف أصوله وفروعه ، ذلك لأن يد التحريف والتزوير ، ومواكبة مصالح الحكّام الفاسدين والسلاطين المنحرفين لم تكن قد توغلت واستقرّت بعد في كثير مما وصلنا من بعدهم ، وقد كان لائمة أهل بيت النبوة والعصمة عليهم السلام الدور الاساس في ذلك حتى لقد تبلورت منهجية خاصة تميّزوا بها من خلال مدرستهم النبوية الاصيلية ، بذلوا لتحقيقها في حياة الامة الاسلامية كل وجودهم وحياتهم ليصدق على واقع هذه الامة الوصف القرآني الكريم في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... ﴾ ^(١) . كما كانت مواجهة الطغاة ومخططاتهم في اجهاض هذا الهدف الرسالي الكبير شرسة لا هوادة فيها .

(١) آل عمران: ١١٠.

وليس أدلّ على ذلك من معاناة أئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم من علماء ورواة حديث وما تعرضوا له من اضطهاد وقمع وتشريد وسجن وتعذيب وقتل ، منعاً للحق من أن يظهر وتدول دولته ، وللأمة من أن تعي وترشد فتتحد وتردع الباطل وتسقط سلطانه . ولن ينهض بهذا العبء الثقيل ويضطلع بهذه المسؤولية الكبرى إلا أهل العلم المخلصين ورجال الأمة الواعين من أتباع هذه المدرسة الرائدة وسالكي نهجها القويم ، الذين يدركون خطورة الأمر وأهميته ، ومواطن الصحة من الفساد في المنقول ومنطق الصواب من الخطأ في المعقول ، بروح اسلامية مسؤولة تأمل رضا الله ، ويعقول علمية متفتحة تفحص عن الحقيقة وتنشد الحق ، وبأخلاقية تدعو إلى سبيل ربها بالحكمة والموعظة الحسنة .

وفي دراستنا المختصرة هذه نحاول أن نسلط الضوء وبنظرة سريعة على الاسس المبدئية للوحدة الاسلامية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام لتكون مدخلاً مفهراً لدراسة أكثر عمقاً وأوسع تفصيلاً في التعرف على معالم هذه المدرسة النبوية الطاهرة في منهجها واساليبها الالهية لبناء الامة الاسلامية الواحدة وتوحيد المسلمين على اسس الاسلام المحمدي الاصيل . وكلنا أمل ورجاء أن نتحقق بذلك خطوة أساسية ، ويشيد ركن ركين في مسيرة الوحدة الاسلامية المقدسة .

ويمكننا حصر هذه الأسس من خلال الاستقراء القرآني والسيرة الشريفة في

ثلاثة :

الاساس الأول : وحدة العقيدة الاسلامية .

الاساس الثاني : وحدة التشريع الاجتماعي والسياسي العام .

الاساس الثالث : وحدة مصلحة الاسلام العليا .

وستتناول كل من هذه الاسس تباعاً ان شاء الله تعالى .

الاساس الأول : وحدة العقيدة الاسلامية

وهي المضمون العقائدي لشهادة « أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ » .

فبقول « لا إله إلا الله » تبدأ مسيرة التوحيد نحو الفلاح والصلاح « يا أيها الناس

قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » (٢) .

وبالشهادة لمحمد بن عبد الله ﷺ بالرسالة الإلهية تنطلق رحلة التسليم

والإيمان نحو الله سبحانه : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم

لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (٣) .

وبهاتين الشهادتين تتحقق وحدة العقيدة الاسلامية في اساسيها الأوليين

وهما توحيد الله والتسليم للرسول بالرسالة الالهية فتتقوم العلاقة الانسانية على

اساس هذه العقيدة في الحقوق والواجبات وحفظ الحرمات ، فعن رسول الله ﷺ

أنه قال : « من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلّى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك

المسلم ، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم » (٤) .

ويقول ﷺ أيضاً : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً

رسول الله فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واستقبلوا قبلتنا وأكلوا

ذبيحتنا وصلّوا صلاتنا حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها » (٥) .

وبذلك تتم الحجة الشرعية على اسلام قائلها ويحرم حينئذ نفي اصل

الاسلام عنه وتكفيره في العقيدة وان صدر منه ما يخالف احكام الاسلام

التفصيلية بعد ذلك لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك في قوله : « كفوا عن أهل لا إله إلا

الله لا تكفروهم بذنب فمن كفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب » (٦) ، وقوله ﷺ

أيضاً : « من قذف مؤمناً بكفر فهو كقاتله ومن قتل نفساً بشيء عذب الله بما قتل » (٧) ،

(٢) السيرة النبوية لابن

كثير: ١: ٤٦٢، ط. دار الفكر.

(٣) النساء : ٦٥ .

(٤) جامع الاصول

١٥٨:١ .

(٥) راجع صحيح

البخاري ٢، وصحيح

مسلم ٦، وجامع

الاصول ١٥٨:١ - ١٥٩ .

(٦) ٨، ٧، ٦ راجع جامع

الاصول ١ و ١٠ و ١١ ،

وكنز العمال للمتقي

الهندي ١ .

وقوله ﷺ أيضاً: «إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فهو كقتله، ولَعَنُ المؤمن كقتله» (٨).
وعليه ففي هذا الأساس مبدءان:

الأول: مبدء التوحيد

وهو الأس الأول للصراط المستقيم، ومنطق حركة الانسان نحو الكمال الواحد الأحد ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ (٩). ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ (١٠).

وبدونه لا يمكن ان تتوحد حركة أي انسان مع نظيره مهما كانت المحاولات والنوايا، ومهما توفرت العوامل المادية لذلك ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ * وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ (١١).

بل سجد كل انسان قد افترق إلى فرقة بنفسه، وبعدد أهواء النفوس وشهواتها ستكون هناك سبل وفرق ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ (١٢). ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ (١٣).

كما أن التوحيد هو الأساس في بناء الأمة الواحدة ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (١٤). ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ (١٥). وهو الأساس أيضاً في قلب الموازين الاجتماعية في بناء العلاقات والجماعات، وتغيرها من موازين النسب والحسب إلى موازين الايمان بالله والتحرر له ومن أجله سبحانه ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان

(٩) آل عمران: ١٠٣.

(١٠) البقرة: ٢٥٦.

(١١) الأنفال: ٦٣-٦٢.

(١٢) الانعام: ١٥٣.

(١٣) الشورى: ١٣.

(١٤) الانبياء: ٩٢.

(١٥) المؤمنون: ٥٢.

وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴿١٦﴾ .

(١٦) المجادلة: ٢٢ .

وهو بعد ذلك حصن المسلم وضمان لسلامة الدين والمصير ، فقد روي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه الطاهرين عليهم السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : قال الله جلّ جلاله : «إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني ، من جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالاخلاص دخل حصني ومن دخل في حصني أمن من عذابي» (١٧) . وعنه عليه السلام أيضاً عن آبائه الطاهرين عليهم السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما جزاء من أنعم الله عزّ وجل عليه بالتوحيد إلا الجنة » (١٨) .

(١٧) التوحيد للصدوق :

٢٤ - ٢٥ .

(١٨) التوحيد للصدوق :

٢٢ - ٢٣ .

كما أن بالتوحيد كمال التصديق بالدين لقول أمير المؤمنين عليه السلام : « أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده » (١٩) .

(١٩) نهج البلاغة : ج ١ .

الثاني : مبدأ الإيمان بالرسول والطاعة له :

وهو المبدأ الثاني من مبادئ العقيدة الإسلامية الواحدة ، التي عاش المسلمون الأوائل حقيقتها على الأرض ، وتفاعلوا معها قيماً وسلوكاً وجهاداً وآثراً ، وأقام على ذلك اللاحقون من بعدهم بعقولهم وعواطفهم وسلوكهم ، وقولهم فيه قول الله عزّ وجل في محكم كتابه المجيد : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢٠) . ويمكننا الإحاطة الإجمالية بهذا المبدأ ودوره في التوحيد والوحدة الإسلامية من خلال تناول المفردات التالية :

(٢٠) الأحزاب: ٥٦ .

أ - الكتاب الإلهي الواحد «القرآن الكريم» :

باعتباره الكتاب الذي جاء به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من عند الله تعالى ، وقام بتبليغه للناس ، وعمل على تثبيت مكانته المقدسة ووحدته في عقيدة المسلمين ، وحفظه لهم بإذن الله ، ودعاهم إلى أن يكون الدستور الأبدي لهم ، ومن أبرز مداليل أن القرآن الكريم ، باعتباره الكتاب الإلهي الواحد للمسلمين ، أساس

مبدئي للوحدة والاخوة بين المسلمين هي:

١ - كونه امام الأمة المصدق والحق من الله تعالى الذي لامرية فيه ، ورحمته

الواسعة الذي يتوحد المسلمون تحت لوائه وذلك مدلول قوله تعالى : ﴿ ومن قبله

كتاب موسى إماماً ورحمةً وهذا كتابٌ مصدقٌ لساناً عربياً لينذرَ الذين ظلموا وبشرى

للمحسنين ﴾ (٢١) ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ

قبله كتابٌ موسى إماماً ورحمةً أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنارُ

موعده فلا تك في ريةٍ منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ (٢٢) .

وعن علي امير المؤمنين عليه السلام قال : « عليكم بالقرآن فاتخذوه اماماً قائداً » (٢٣) .

وبخلاف ذلك تنتفي الوحدة وتحل الفرقة وينتشر الضلال ويضيع الدين

وذلك قول امير المؤمنين عليه السلام : « انه سيأتي عليكم بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من

الحق ، ولا اظهر من الباطل فالكتاب واهله في ذلك الزمان في الناس وليس فيهم ،

ومعهم وليس معهم ! لان الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعوا فاجتمع القوم على الفرقة ،

وافترقوا على الجماعة كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم ، فلم يبق عندهم منه إلا

اسمه ، ولا يعرفون إلا خطه وزُتِرَه... » (٢٤) .

وهو حبل الله المتين في توحيد المبدأ وعروته الوثقى في وحدة الدين

وطريقته المثلى في صراطه المستقيم ، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام

« عليكم بكتاب الله ، فبأنه الحبل المتين والنور المبين ، والشفاء النافع ... مَنْ قال به

صدق ، وَمَنْ عمل به سبق » (٢٥) .

وذكر الامام الرضا عليه السلام يوماً القرآن ، فقال : « هو حبل الله المتين ، وعروته

الوثقى ، وطريقته المثلى ، المؤدي الى الجنة ، والمنجي من النار » (٢٦) .

٢ - كونه يمتاز في هذا السبيل ، سبيل الحجة التامة للواحد الأحد في المعبود ،

والتوحيد والوحدة الاسلامية في الدين ، انه محفوظ لا ينحرف ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢٧) ، ويطمئن الله سبحانه رسوله الامين صلى الله عليه وآله بعدم

ضياع القرآن الكريم فان عليه تعالى جمعه وقرآنه ومن ثم بيانه وهو قوله

الكريم : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به * إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَأَازِنَ خَاتَمَهُ فَاتَّبِعِ

قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (٢٨) .

(٢١) الاحقاف : ١٢ .

(٢٢) هود : ١٧ .

(٢٣) كنز العمال : ج ٤٠٢٩ .

(٢٤) نهج البلاغة : ج ١٤٧ .

(٢٥) نهج البلاغة : ج ١٥٦ .

(٢٦) بحار الأنوار : ج ٩٢ : ١٤ .

(٢٧) الحجر : ٩ .

(٢٨) القيامة : ١٦ - ١٩ .

كما أنه قائم لا يبلى ، وحق لا اختلاف ولا تخلف فيه ، وهو مفاد قول الامام
الرضا عليه السلام : « لا يخلق من الأزمنة ، ولا يغت على الألسنة ، لأنه لم يجعل لزمان دون
زمان ، بل جعل دليل البرهان ، وحجة على كل إنسان ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيلاً من حكيم حميد » (٢٩) .

(٢٩) بحار الانوار ٩٢ : ١٤ .

وعنه عن أبيه عليه السلام : « إن رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام ما بال القرآن لا يزداد على
النشر والدرس إلا غضاضة ؟ فقال : « لأن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون
زمان ، ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد ، وعند كل قوم غرض إلى يوم
القيامة » (٣٠) .

(٣٠) بحار الانوار ٩٢ : ١٥ .

وعن امير المؤمنين علي عليه السلام قال : « كتاب الله تبصرون به ، وتنطقون به ،
تسمعون به ، وينطق بعضه ببعض ، ويشهد بعضه على بعض ، ولا يختلف في الله ،
ولا يخالف بصاحبه عن الله » (٣١) .

(٣١) نهج البلاغة : ج ١٣٣

ومن بليغ وصفه عليه السلام للقرآن الكريم كونه قوام الاسلام الابدي وبنياته الازلي
قوله : « .. ثم انزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيح ، وسراجاً لا يخبو توقده ، وبحراً
لا يدرك قعره ، ومنهاجاً لا يضل نهجه ، وشعاعاً لا يظلم ضؤؤه ، وفرقاناً لا يخذل
بُزْهانه ، وتبياناً لا تهدم أركانه وشفاء لا تخشى أسقامه ، وعزاً لا تهزم أنصاره ، وحقاً
لا تخذل أعوانه ، فهو معدن الايمان وبحيوته ، وينابيع العلم وبحوره ، ورياض العدل
وغدرانه ، وأثافي الاسلام وبنياته ، وأودية الحق وغيطانه ، وبحر لا ينزفه
المستنزفون ، وعيون لا ينضبها الماتحون ، ومناهل لا يغيضها الواردون ، ومنازل لا
يصل نهجها المسافرون ، واعلام لا يعمى عنها السائرون وآكام لا يجوز عنها
القاصدون ... » (٣٢) .

(٣٢) نهج البلاغة : ج ١٩٨ .

والقرآن بعد ذلك نزل بالحق مصدقاً لما سبقه من كتب الانبياء والمرسلين
ومهيماً وحاكماً عليها ، وهو قوله تعالى : ﴿ وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما
بين يديه من الكتب ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم عما
جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم امةً واحدة ولكن
ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون ﴾ (٣٣) .

(٣٣) المائدة : ٤٨ .

٣ - كونه المحجة البيضاء التي لا طريق للباطل والفرقة والفتن بين المسلمين معها ، لو يتلونه حق تلاوته ويتبعونه حق اتباعه ، وذلك مفاد قوله عز من قائل في كتابه الكريم : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣٤) . وهو بعد ذلك مقوم مبدئي للأخوة الإسلامية التي نادى بها رسول الله ﷺ وبذل أهل البيت عليه السلام من بعده كل وجودهم من أجل تجسيدها وتحقيقها في واقع المسلمين وخصوصاً في سلوك وحياة أتباعهم ومحبيهم .

(٣٤) البقرة: ١٢١.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « أَوْهَ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَوُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْصَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَاوُا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا ، وَوَثَّقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ » (٣٥) .

(٣٥) نهج البلاغة: خ: ١٨٢.

ثم هو حصن الأمة من الفتن والمخرج الآمن منها ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال : « أَنَا نِي جِبْرِئِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ سَيَكُونُ فِي أَمْتِكَ فِتْنَةٌ ، قُلْتُ : فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا ؟ فَقَالَ : كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ بَيَانُ مَا قَبْلَكُمْ مِنْ خَيْرٍ ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ... » (٣٦) .

(٣٦) تفسير العياشي ١: ٣.

وعن الحسن بن علي عليه السلام قال : « قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ أَمْتَكَ سَتَفْتَنُ ، فَسُئِلَ : مَا الْمَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : كِتَابُ اللَّهِ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلُ مَنْ حَكِيمٌ حَمِيدٌ ، مَنْ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ ... » (٣٧) .

(٣٧) بحار الأنوار ٩٢: ٢٧.

وعن الصادق عليه السلام قال : « مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْحَقَّ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يَتَنَكَّبِ الْفِتْنَ » (٣٨) .

(٣٨) بحار الأنوار ٢: ٢٤٢.

٤ - كما أن في القرآن الكريم حل مشاكل المسلمين وحكم ما بينهم ، ونظم أمرهم ، وبذلك يُحكم بناء الأمة الواحدة ويشدُّ عودها وتقوى شوكتها . وهو مدلول قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خُسَارًا ﴾ (٣٩) ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٠) ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ (٤١) .

(٣٩) الإسراء: ٨٢.

(٤٠) يونس: ٥٧.

(٤١) فصلت: ٤٤.

وعن رسول الله ﷺ قال : « الْقُرْآنُ غَنِيٌّ لَا غَنَى دُونَهُ ، وَلَا فَقْرَ بَعْدَهُ » (٤٢) . وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغْشَى ،

(٤٢) بحار الأنوار ٩٢: ١٩.

والهادي الذي لا يضل ، والمحدث الذي لا يكذب ، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان : زيادة في هدى ، أو نقصان من عمى . واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ، ولا لأحد قبل القرآن من غنى ، فاستشفوه من أدوائكم ، وأستعينوا به على لاوائكم ، فإن فيه شفاء من أكبر الداء : وهو الكفر والنفاق ، والغنى والضلال ، فاسألوا الله به ، وتوجهوا إليه بحبه ، ولا تسألوا به خلقه ، إنه ما توجه العباد إلى الله تعالى بمثله ، واعلموا أنه شافع مشفع ، وقائل مصدق ، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شُفِّع فيه ، ومن حُجِّلَ به القرآن يوم القيامة صُدِّق عليه ، فإنه ينادي مناد يوم القيامة : (ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله ، غير حرثة القرآن) . فكونوا من حرثه وأتباعه ، واستدلوه على ربكم ، واستنصحوه على أنفسكم ، واتهموا عليه آراءكم واستغشوا فيه أهواءكم» (٤٣).

(٤٣) نهج البلاغة : ج ١٧٦ .

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال : « في القرآن نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم » (٤٤) .

(٤٤) شرح نهج البلاغة

وقال أيضاً : « ... ألا إنَّ فيه علم ما يأتي ، والحديث عن الماضي ، ودواء دائكم ، ونظم ما بينكم » (٤٥) .

٢٢٠ : ١٩ .

(٤٥) شرح نهج البلاغة

وعنه عليه السلام في وصف القرآن الكريم قال : « جعله الله رياً لعطش العلماء ، وريباً لقلوب الفقهاء ، ومحاج لطرق الصلحاء ، ودواء ليس بعده داء ، ونوراً ليس معه ظلمة ، وحبلاً وثيقاً عروته ، ومعقلاً منيعاً ذروته ، وعزاً لمن تولاه ، وسلماً لمن دخله ، وهدى لمن انتم به ، وعذراً لمن انتحلته ، وبرهاناً لمن تكلم به ، وشاهداً لمن خاصم به ، وفلجاً لمن حاج به ، وحاملاً لمن حملة ، ومطية لمن أعمله ، وآية لمن توسم ، وجنة لمن استلأم ، وعلماً لمن وعى ، وحديثاً لمن روى ، وحكماً لمن قضى » (٤٦) .

(٤٦) نهج البلاغة : ج ١٩٨ .

وبالمفاد نفسه قال الصادق عليه السلام : « ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل ، ولكن لا تبلغه عقول الرجال » (٤٧) .

(٤٧) الكافي ١ : ٦٠ .

ب - عظمة الرسول صلى الله عليه وآله وصفاته الكمالية :

إن الخصال المثالية والصفات الكمالية التي حباها الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وتعااهده عليها تحقق هدفين أساسيين في مضمار إمضاء الإرادة

الإلهية على الأرض ، وسوق الإنسان المسلم في مدارج الكمال إلى ربه العزيز المتعالي وهما :

١ - على صعيد تبليغ رسالة الله ودعوة الإنسان لعبوديته سبحانه سيكون كمال رسول الله ﷺ وعصمته من الخطأ والنسيان والخيانة مُنْجِزاً للحجة الإلهية التامة على الأرض والبلاغ المبين في الدين للإنسان ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام في بيان هذه الصفة الشريفة والمنزلة الرفيعة للرسول الكريم ﷺ يقول : « ... أرسله على حين فترة من الرسل ، وتنازع في الألسن ، فقضى به الرسل ، وختم به الوحي ، فجاهد في الله المدبرين عنه ، والعادلين به ... » (٤٨) ، ذلك لأن رسول الله ﷺ لا ينطق إلا عن وحي وتسديد إلهي لقوله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * عَلمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ (٤٩) . وبهذا تتحقق وحدة الدين ووحدة الطرح الإلهي للبشرية ، وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيما ورد من كتاب له للاشتراحين ولاه مصر : « ... وارد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ، ويشتهب عليك من الأمور فقد قال الله تعالى لقوم أحب ارشادهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ﴾ فالرد إلى الله : الأخذ بمحكم كتابه ، والرد إلى الرسول : الأخذ بسنته الجامعة غير المفارقة ... » (٥٠) .

وقد استوعب أمير المؤمنين عليه السلام هذه الحقيقة في امضاء ارادة الله لتحقيق وحدة الطرح الالهي من خلال عظمة الرسول ﷺ ومقامه الالهي قائلاً : « اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق ، والفتاح لما انقلب ، والمعلن الحق بالحق ، والدافع جيوشات الابطاليل ، والدامغ صولات الاضاليل : كما حُمل فاضطلع قائماً بأمرك مُستوفزاً في مرضاتك ، غير ناكل عن قدم ، ولا واه في عزم ، واعياً لوحيك حافظاً لعهدك ، ماضياً على نفاذ أمرك : حتى أوري قبس القابس واضاء الطريق للخابط ، وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن والآثام ، وأقام بموضحات الاعلام ونيرات الاحكام ، فهو أميتك المأمون وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين وبعيتك بالحق ورسولك إلى الخلق ... » (٥١) .

٢ - على صعيد التربية والإعداد لإنسان الرسالة الإلهية ومجتمع العدل الإلهي

(٤٨) نهج البلاغة: خ ٨٩ .

(٤٩) النجم: ٣ - ٥ .

(٥٠) نهج البلاغة: ك ٥٣ .

(٥١) نهج البلاغة: خ ٧٢ .

والأمة الواحدة الراشدة ستكون الأخلاق العظيمة لرسول الله ﷺ ورأفته ورحمته سبيلاً حسناً ، وحكمته ودرايته منهجاً ربانياً لتحقيق المصاديق النموذجية للاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ الذي أمر الله عباده به حيث قال في محكم كتابه الكريم : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ (٥٢).

(٥٢) الأحزاب : ٢١.

ومن الواضح الجلي أن التأسي برسول الله ﷺ يعني بمفهوم لازم وحدة التلقي والأخذ ، ووحدة السلوك ووحدة الدعوة والتبليغ في واقع المسلم المتأسي ، كما هو شأن الرسول ﷺ مع ربه عز وجل حين أدبه ورباه ، فقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام : « إن الله أدب نبيه ﷺ حتى إذا أقامه على ما أراد ، قال له : ﴿ وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ فلما فعل ذلك له رسول الله ﷺ زكاه الله فقال : ﴿ إنك لعلی خلقی عظیم ﴾ فلما زكاه فؤض إليه دينه فقال : ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ » (٥٣).

(٥٣) الحشر : ٧.

وهكذا تكون أخلاق رسول الله ﷺ العظيمة ، وخصاله الكريمة باعث شوق المسلمين وحبهم لله الواحد الأحد ، ورائد هديهم ورشادهم لصراطه المستقيم ، وحنة تامة على صدق ما آتاهم من الدين ، وعامل شديهم وتحريكهم لتوحي أمرهم في تحقيق إرادة الله وإعلاء كلمته في الأرضين ، وكل ذلك عوامل بناء وترسيخ لوحدة الأمة وتأسيس أرضية خلقية كاملة للأخوة بين المسلمين .

وقد صدق الله في محكم كتابه إذ قال في ذلك : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (٥٤) ، وقوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنتم غلظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ (٥٥).

(٥٤) التوبة : ١٢٨.

(٥٥) آل عمران : ١٥٩.

ج - قيمة وأثار طاعة الرسول ﷺ :

إن طاعة الرسول ﷺ قيمة وأثاراً ذكرها القرآن الكريم وأشارت إليها السنة الشريفة للرسول الكريم ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ، خصوصاً في تحقيق

أخلاقية الوحدة والاخاء بين المسلمين ، ومن أبرز تلك القيم والآثار :

١- إنها تؤدي إلى توحيد الله ، والتوبة والإنابة له سبحانه ، وهي بذلك ترتب آثار هذا التوحيد وتلك الإنابة في تحقيق وحدة المبدأ والمسار والمصير للمسلمين ، حيث جاء في القرآن الكريم : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفياً ﴾ (٥٦) وجاء أيضاً : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ (٥٧) . بل إن مخالفة رسول الله ﷺ وشقاقه الصريح هي في طول مخالفة وشقاق الله سبحانه وهي تساوق الكفر في الآثار والنتائج ، وقد تضافرت آيات القرآن الكريم في بيان ذلك وتأكيدده ، منها قوله تعالى : ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بيناتٍ للكافرين عذاب مهين ﴾ يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴾ (٥٨) ، وقوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ﴾ (٥٩) .

ويذهب القرآن الكريم إلى أبعد من ذلك فيؤكد أن التوحيد الخالص والايمان الحق لا يجتمع أبداً في قلب مؤمن مع ودّ من خالف الله ورسوله وإن كانوا آباءه أو أبناءه أو اخوانه أو عشيرته ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذنين ﴾ كتب الله لأغلبنا أنا ورسلي إن الله قوي عزيز * لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يأتون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (٦٠) .

٢ - تحقيق وحدة الإمامة والقيادة الإلهية ، وبالتالي وحدة القرار والحركة والهدف في مسيرة المسلمين نحو الله ، إذ بوحدة الامامة والقيادة الإلهية تنتفي كل عوامل الاختلاف والتفرق عن سبيل الله . فطاعة رسول الله ﷺ والتسليم له بعنوانه اماماً وقائداً للمسلمين بلا حرج وشوب هو علامة كاشفة عن صدق الايمان والاقرار بالحاكمية المطلقة للرسول ﷺ في كل شأن من شؤون الامة ،

(٥٦) النساء : ٨٠ .

(٥٧) النساء : ٦٤ .

(٥٨) المجادلة ٥ - ٩ .

(٥٩) الحشر : ٤ .

(٦٠) المجادلة : ٢٠ - ٢٢ .

وهي تقابل الصد عن طاعة الرسول ﷺ والتحرّج من انفاذ قضاءه وتنفيذ أوامره ، الذي هو علامة كاشفة عن النفاق وعدم صدق الايمان بالرسول ﷺ وبالتالي عدم الاقرار بامامته وقيادته الإلهية ، وهو في واقعه المبدأ السلبي الذي منه تتفرق الامة وتتمزق إلى شيع وأحزاب لغير الله يعادي بعضها بعضها الآخر فيفشلوا وتذهب ريحهم ، وهو مفاد قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يُريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾ فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظّمهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴿ (٦١) . وهو أيضاً مدلول قوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ (٦٢) .

ومن هذه الرؤية المبدئية في وحدة الامامة والقيادة ندرك أهمية بيانات رسول الله ﷺ المتكررة في تعيين من يخلفه اماماً وخليفة للمسلمين ، وتتابع وصاياه في ضرورة اتباع وطاعة من نصبه للخلافة والامامة من بعده ، وذلك حفظاً للدين واقامة لأركانه وتوحيداً للامة وصيانة لكيانها . وقد كانت هذه البيانات والوصايا في كمها وكيفها قد استوعبت كل الصيغ والاساليب والمناسبات المشهودة والمعهودة لدى المسلمين أيام رسول الله ﷺ (٦٣) ، حتى اشتهر أمرها وتمت حجيتها وتحدث كل محاولات الطمس والتحريف والتزييف التي قام بها من كان في عقيدته برسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) شوب وبقايا جاهلية جهلاء ، ولو تولّوا من نصبه رسول الله ﷺ للخلافة من بعده

(٦١) النساء: ٥٩ - ٦٥.

(٦٢) الحشر: ٨.

(٦٣) كحديث الغدير،

وحديث الثقلين، وحديث

الدار، وحديث السفينة،

وحديث المنزلة، وحديث

الكساء، وحديث الامان

من الاختلاف، وحديث

المودة ، وعشرات

الأحاديث النبوية الاخرى

التي تزخر بها كتب

الحديث على اختلاف

المذاهب والفرق الاسلامية.

لاستقامت الأمة على الصراط المستقيم ولما كالحا الشقاق والتفرق ، وبهذا ورد أنه : « ذُكرت الامارة - أو الخلافة - عند النبي ﷺ فقال : « ... ان وليتموها علياً وجدموه هاديا مهدياً يسلك بكم على الطريق المستقيم » (٦٤) .

٣ - ومن الآثار المهمة لطاعة رسول الله ﷺ هو منع سيادة حالة النفاق في أوساط المسلمين ، وبالتالي الوقوف في وجه التفرق والتشردم والانكفاء عن الأهداف الإلهية للإسلام في هداية الناس ، وتحقيق وحدة الأمة الاسلامية وبناء كيانه الشامخ ، وهو مدلول قوله تعالى في محكم كتابه العزيز والذي يحدد فيه سبحانه علامات الطاعة للرسول ﷺ ولوازمها ويكشف عن حالات النفاق في طاعته والتسليم له ﷺ وعلامات هذا النفاق والآثار المترتبة عليه ويرشده الى الموقف المبدئي من المعارضين والمعارضين ﴿ ويقولون آمناً بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولّون فريقاً منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾ وإذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴾ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴾ أفي قلوبهم مرض أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ﴾ إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا نقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون ﴾ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴿ (٦٥) .

(٦٥) النور: ٤٧ - ٥٤ .

لهذا نجد أن القرآن الكريم قد عنى بشكل كبير ومثير خطورة النفاق على انتشار دعوة الرسول ﷺ بين الناس واقامة مجتمع التوحيد وبناء أمة الاسلام ، فجاءت عشرات الآيات الكريمة تحذر الرسول الكريم ﷺ منهم وتكشف نواياهم وخططهم في اجهاض الدعوة الاسلامية والتشكيك في مقام الرسول الكريم ﷺ وقيادته بهدف خلق حالة من التردد وعدم التسليم له ﷺ تمهيداً لأرضية التمرد عليه وعصيان أوامره . وكثيراً ما كان يحذر هؤلاء المنافقون أن تنزل آية كريمة لتكشف أمرهم وخططهم ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في مواضع متعددة ،

منها قوله تعالى : ﴿ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون ﴾ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴾ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نَعَفُ عن طائفة منكم نَعَذِّب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴾ المنافقون والمنافقات وبعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ وَعَذَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦٦﴾ .

(٦٦) التوبة: ٦٤ - ٦٨ .

ولجني هذه الثمرة الكبيرة وردع النفاق ومنع سيادته حذر الله سبحانه رسوله الكريم ﷺ منهم ومن خططهم ونواياهم وأمره بجهادهم ومواجهتهم ، والزمه بالاقدام وانفاذ ما أمره به ، وتعبئة المؤمنين وتحريضهم على طاعته وامتنال أوامره ، وتحذيرهم من دسائس المنافقين ودعاياتهم الكاذبة ، فقد جاء العديد من آيات القرآن الكريم بهذا المدلول ، منها قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسولُهُ من فضله فان يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعدبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة ومالهم في الأرض من وليٍّ ولا نصير ﴾ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﴾ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ﴾ فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ﴾ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم ﴾ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ﴾ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ فان رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً

إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين * ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون * ولا تعجبكم أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله واجهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين * رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون * لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بآموالهم وأنفسهم وأولئک لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون * أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم * وجاء المَعذِرُونَ من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيَّب الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴿٦٧﴾ .

(٦٧) التوبة: ٧٣ - ٩٠ .

ومنها قوله تعالى : ﴿ ويقولون طاعةً فإذا برزوا من عندك بيئت طائفةً منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً * أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً * وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتَّبَعْتُم الشيطان إلا قليلاً * فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ﴾ (٦٨) .

(٦٨) النساء: ٨١ - ٨٤ .

قال الإمام علي عليه السلام :

إِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ
وَالْيَاكُمُ الْكِبَرُ وَالْفُرْقَةُ

شرح الحديث

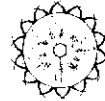
مراد اللوح (الله صلى)

المعرب

فنون وآداب

• أبو هدى

هذه مقطوعات شعرية شاء مترجمها أن يترجمها شعراً حفاظاً على ما يتركه الجرس الموسيقي الشعري من أثر^(١).



يقول الشاعر الإيراني المعروف المولوي :

(١) نقلناها من ترجمة

كتاب (الإنسان والقدر)

للمرحوم الشهيد المطهري.

ان ما يعنيه «قد جف القلم»	يبعث الهمة في كل الامم
قلم القدرة قدماً انجزا	أن للفعل نتاجاً وجزا
فاذا هدمت وافاك الخواء	وإذا اصلحت وافاك العلاء
وإذا الكف تجنت قُطعت	وإذا الخمرة حلت اسكرت
وسياتي عقب الظلم الدمار	وعقب العدل مجد وازدهار
هل ترى العقل الخبير المستقيم	يعزل الله عن الحكم القديم
قائلاً أن قد مضى حكم القضاء	فدع الشكوى ودع هذا البكاء
لا ، فما يعنيه «قد جف القضاء»:	ليس يوم العدل والظلم سواء

ويقول أيضاً :

وترك الوهم يعلمنا بان الد مفرّ من القضاء إلى القضاء
وما ضد القضاء يصح سعي لأن السعي من سنن القضاء

* * *

ويقول الشاعر المولوي أيضاً :

ان حلّ أمر «القضا» فالفهم تيّاه وليس يعلم سر الأمر إلّاه
تعمى العيون فلا عين بمبصرة ويخلط العقل أدناه بأعلاه

* * *

ولذا قال (عليّ) في الخبر أن إذا جاء القضا يعمى البصر
فاذا ما قُضي الأمر انفجر نادماً : ماذا... وهل يُغني الضجر؟!

* * *

سوف لا يبدو سوى قشرٍ رقيق سوف لا يبدو عدوّ من صديق
والطبيب الحق معتوه صفيق والدواء الحق لا يدري الطريق

* * *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إِنَّ مِنْ الشَّيْءِ الْحَكَمَ
وَلَنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسِجْلٌ

ابن أبي زينب

في «طبرية»

تحقيقات

• الشيخ

جعفر المهاجر

لبنان

كنت حين عرضت لأمر «طبرية» في كتابي «التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية»، قد فاتني أن أسجل معلماً هاماً من المعالم المتصلة بالتاريخ لها، يوم كانت مدينة شيعية خالصة، قبل أن يقصمها الصليبيون الهمج، فيما قصموه من الحواضر الشيعية كلياً أو جزئياً: «طرابلس» و«صور» و«نابلس» و«عمّان». يشبه ذلك الذي سجلناه عن ابن أبي عقيل العمّاني، الحسن بن علي بن عيسى، ومدينة «عمّان»^(١).

مع أنني كنت قد سجلت الملاحظات المناسبة عنه، وضممتها إلى أمثالها، وأعدتها لأوان تركيب المعلومات.

وربما كان ذلك السهو الذي لا مبرر له لخير أراده الله سبحانه بي. فها أنا، في سبيل استدراك ما فاتني هناك، أراني قد عدت إلى قراءة ما يتصل ببطل ذلك المثلّم، ابن أبي زينب، وخصوصاً كتابه المعروف «الغيبة»، وما كتبه عنه أهل الرجال والسير. ومن ذلك كله خرجت بهذه الدراسة، التي ترمي إلى التعريف بهذا المحدث والفقيه الأقدم. كما أنها، من الجهة الأخرى، تتابع المنهج الذي اعتمدته في كتابي الموماً إليه.

وهذه المتابعة وأمثالها أمر لا غنى عنه بالنسبة لمن يكتبون في موضوعات

(١) التأسيس : ١٨٤.

معقّدة ، تتناثر المعلومات عنها في مظانها وفي غير مظانها . مما يترك باب الاحتمال مفتوحاً دائماً للعثور على معلومات جديدة . تعزّز أو تعدّل النتائج التي سبق تحريرها ، ولا بد من ضمّ ما يجدّ منها إلى أصل الموضوع ، واستفراغ دلالته . لكي نحقق مبدأ نمو المعرفة .

(١)

محمد بن ابراهيم بن جعفر ، ابو عبدالله ، الكاتب النعماني المكّي في المصادر المتأخرة « ابن أبي زينب »^(٢) ، لا نستثني من هذه القسمة سوى ابن شهر آشوب في معالم العلماء^(٣) ، الذي ذكره بالاسم دون أن يكتّبه ، والسيد الأمين في أعيان الشيعة^(٤) الذي اتّبع سبيل القدماء . وليس من خطّتنا الوقوف عند هذا الاختلاف ، لاننا لا نرى فيه كبير أمر . بل نكتفي بهذه الإشارة ، عسى أن يجد فيها غيرنا ما يستحقّ عناء البحث والتحقيق ، فالباحث وهو يلحظ موضوع عمله ، يكون موزعاً بين باعثين ، فهو يعمل لنفسه ويؤسس لغيره ، وفقاً للمنهج الذي وضعه لبحثه . إذن ، فلنقل ان هذه الإشارة هي من الباب الثاني .

لكننا أثّرنا في العنوان سبيل المتأخرين ، لاننا رأينا في النسبة إلى الأمر أمراً غير مألوف ، فضلاً عن أن ما يشبه الاجماع عند المتأخرين لا بد أن يستند إلى سبب ، مما قد يكونون حقّقه وان لم يبيّنوه . نقول هذا ، مع احترامنا البالغ لأقدمية القدماء وما تعلّمه على المؤرخ بحكم قربهم الزماني من مصادر المعلومات . وعلى كل حال ، فالأمر ، كما أسلفنا ، هيّن .

الاسم ، كما حرّناه بكامله في أول هذه الفقرة استناداً لكل من ترجموا لصاحبه ، يتضمن كلمتين لا بد من الوقوف عندهما ، لما في كل منهما من دلالة خاصة ذات علاقة وثيقة بسيرة ابن أبي زينب ، أولاهما « الكاتب » صفة ، وثانيتها « النعماني » لقباً . وسيرى القارئ انهما من المفاتيح الرئيسة لسيرة صاحبهما .

أما « الكاتب » فهي أكثر ما تكون استعمالاً في النصوص ، خصوصاً حين تأتي عارية عن المقيّدات ، وتدل على مهنة الكتابة في الدواوين الرسمية .

(٢) أمل الآمل ٢ : ٢٣٢ .

مستدرک الوسائل ٣ : ٥٢٥ .

ريانة الأدب ٥ : ٢٣٦ ، رياض

العلماء ٥ : ١٢ . لكنه في

المصادر القديمة « ابن زينب »

(رجال النجاشي : ٢٩٧ ، رجال

العلامة الحلبي : ١٦٢ ، رجال ابن

داود : ٢٩٠) .

(٣) معالم العلماء : ١١٨ .

(٤) أعيان الشيعة ٩ : ٦٠ .

ومن المعلوم ان هذه المهنة كانت مرقاة البارزين فيها إلى منصب الوزارة .
وكثيراً ما كان الكاتب بعد أن يغدو وزيراً يحتفظ بصفته الاولى . وما تزال الكلمة
محفوظة حتى اليوم بهذا المعنى في بعض اقطار المغرب العربي . فيقال في الوزير
هناك : كاتب الدولة لشؤون كذا . أما حين لا تتوفر القرائن على أن صاحبها يمتن
هذه المهنة ، فالكلمة تعود إلى معناها اللغوي ، بوصفها اسم فاعل من الكتّب .

وقد لاحظنا انها ترد كثيراً في تراجم أهل الحديث وصفاً لهم ، دون أن تكتسب
معنى خاصاً يعطيها أن تكون من الكلمات التقنية التي تتصل باللغة الخاصة لهذا
العلم ، أو بعمل المحدث بوصفه محدثاً .

اذن ، فهي تتصل بملابسة خاصة من سيرة المحدث ، وستقول ماهي فيما
يخص ابن أبي زينب في محله .

واما «النعمانى» فكل الذين عرضوا لهذا التفصيل ، في القليل الذي كتبه عن
سيرة ابن أبي زينب ، قد أجمعوا ، بصيغة أو باخرى ، على انها نسبة إلى البلد الذي
خرج منه دون تحديد .

ورجّح الخوانساري في روضات الجنّات^(٥) انها «نسبة إلى النعمانية ، التي
هي بلدة بين واسط وبغداد» . لكنه تابع قائلاً : «أوقرية تكون بمصر ، على احتمال
بعيد» . والعبارة الأخيرة تشهد بان الخوانساري لا يملك أي دليل على مارجحه .
وانما قال ما قال على سبيل الحزر والتخمين ، لمجرد تشابه النسبة واسم البلدة
العراقية ، التي عرفت بانها من المراكز الشيعية^(٦) . بالاضافة إلى قربها من أحد
مرايح صاحب السيرة ، الذي أقام مدة في «بغداد» كما سنعرف .

وهكذا نرى ان هذا المؤرخ ، الذي عرف بالدقة والنظر الثاقب ، قد وقف عند
الحل السهل ، استناداً إلى الملابس الظرفية التي بين يديه ، وفي غياب المعطيات
النصية المباشرة ، بوصفه خبيراً برجال «العراق» و«إيران» .

ولكن صاحب ريحانة الأدب^(٧) كان أكثر دقة وهو يعالج المعضلة نفسها ، ولم
يتجاوز التردد بين احتمالين لا مرجح لأحدهما على الآخر ، فقال ما ترجمته :
«... منسوب الى نعمان (كذا) بلدة بين واسط وبغداد ، أو إلى نعمان من مصر» .
وبذلك أثبت انه أصلب منهجاً ، هذه المرة على الأقل .

(٥) روضات الجنّات ١٢٧: ٦.

(٦) معجم البلدان ٥ : ١٩٤.

(٧) ريحانة الأدب ٥ : ٢٢٦.

(٢)

أعتقد أن القارئ قد بدأ يحسّ معنا بالمشكلة الأساسية التي نعاني منها في هذا البحث ، أعني ندرة المعلومات . والحقيقة ان النص المباشر الوحيد الذي بين يدينا عن سيرة ابن أبي زينب ، يقل قليلاً عن الخمسة أسطر . يتناقله كتاب سيرته حرفياً ، كاتب عن كاتب ، على مدى تسعة قرون ونيف ، من مصدره الأول النجاشي ، الذي توفي سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ، حتى استاذنا السيد الخوئي في معجم رجال الحديث سجل ذلك^(٨) دون اضافة اساسية ، على الرغم من ان السيرة ، بالصيغة التي وصلتنا عن النجاشي ، لا تقدم ما يساعد على الإجابة حتى على الأسئلة البسيطة التي تطرحها سيرة أي انسان ، أي ، على الأقل ، منبته ومولده ومكان وفاته وزمانها .

ولا شك أن هذه الملاحظة ترجع بالمشكلة إلى أيام حياة صاحبها ، فسيرة أي انسان هي استمرار لانطباع الناس عنه حين كان بينهم ، فإذا كانت تلك الانطباعات وافية غنية ، أتت السيرة من بعده عامرة بأخباره وخصوصياته . والعكس صحيح .

اذن ، فالمشكلة التي نعاني منها الان ليست مشكلتنا وحدنا ، وإنما بدأت مع معاصري الرجل ، وأهمهم بالنسبة اليها النجاشي ، لانه مصدرنا الوحيد للمعلومات عنه ، فحين يعجز النجاشي ، المعاصر لابن أبي زينب ، عن تقديم أدنى المعلومات عنه ، فما ذاك إلا لأنه لم يكن يملكها .

واذن ، فنحن هنا أمام رجل يكتنف حياته الغموض ، حتى بالنسبة لمؤرخ معاصر خبير كالنجاشي ، على الرغم من موقعه الممتاز ، وانه اتصل بعدد من أكابر الفقهاء والمحدثين في «العراق» و«إيران» وقرأ عليهم وأخذ عنهم .

وعلى الرغم من ان النجاشي التقى أحد تلاميذه في « حلب » كما سنذكر في خواتيم هذا البحث ، ان شاء الله .

وما ذلك ، فيما يبدو ، إلا لأنه غريب عن المجتمع المؤلف لدى مؤرخ ورجالي كالنجاشي ، مرّ فيه مروراً عابراً ، ولم يضطرب فيه اضطراب انسان في مجتمعه ، ذلك الاضطراب الذي يتيح للمؤرخ وكاتب السيرة من بعد صاحبها أن يلتقط عنه

المعلومات ، ممن عرفه بسبب أو بآخر . شأن امرئ طرق بلداً لغرض محدد ، ثم خرج منه بعد أن نال ما كان يبتغي ، ومذ ذاك انقطعت صلته به نهائياً .
من الواضح ان هذا التحليل يُعيد طرح مشكلة منبت ابن أبي زينب . طرْحاً مقصوداً هذه المرة ، ومن ضمن خطة البحث ، وليس على النحو الذي انساق إليه الخوانساري ومدرّس صاحب ريحانة الأدب ، لمجرد الرغبة في تفسير كلمة «النعماني» في اسمه . فحسم كل منهما الأمر على طريقته بكلمات ومضى .

(٣)

مادام نص النجاشي هو كل زادنا وعُدتنا ، ونحن نعالج المشكلات التي تطرحها سيرة ابن أبي زينب ، وعلى رأسها منبته ، فلنثبته مقدمة لتحليله وكشف خبيثه .

« شيخ من أصحابنا ، عظيم القدر ، شريف المنزلة ، صحيح العقيدة ، كثير الحديث » . « قدم بغداد وخرج إلى الشام ومات بها »^(٩) .

(٩) الرجال : ٢٩٧ و ٩٨ .

والخبير بلغة النجاشي ، والرجاليين الشيعة عموماً ، يريبه هذا التنصيص على أن الرجل من شيوخ الحديث الامامية «شيخ من أصحابنا» ، ثم على انه ممن لم يلبس اماميته بما يشينها أو ينتقص منها «صحيح العقيدة» . وذلك أمر غير عادي ، علينا أن نلتقط مغزاه ، خصوصاً وان مثل هذا التنصيص نادر جداً عنده ، بل انه بشقيّه معاً فريد .

و«الشيخ» في مصطلح أهل الحديث «مَنْ يُروى عنه الحديث»^(١٠) ، ولكننا لاحظنا ان النجاشي لا يلتزم في كتابه بوصف كل من يُروى عنه الحديث بأنه شيخ بل اننا بسبر كتابه ، وجدنا ان الكلمة لا ترقى عنده إلى مستوى الكلمات الفنيّة ، ذات الدلالة المحددة بدقة ، والتي ترد على كل محل بقدره ، بحيث لا يوجد المحل إلّا وتوجد الكلمة ، شأن غيرها من الكلمات الفنيّة الدائرة في لغة أهل الحديث .

فهي لا ترد في كتابه بهذه الصيغة إلّا تسع مرّات عدّاً . وغني عن البيان ان مَنْ يصح في وصفهم قول «شيخ من أصحابنا» ممن عرض لهم من محدثي الامامية ، يفوق هذا العدد بكثير .

(١٠) كشاف اصطلاحات

الفنون ١ : ٧٣٦ .

ومثله غنى عن البيان ان أصحاب النجاشي في قولته «أصحابنا» هم الشيعة الامامية ، وان «صحيح العقيدة» تعني الصحة بالمقاييس نفسها .

اذن ، فلقد كان النجاشي مهتماً جداً ببيان ان صاحبه امامي ليس غير . وكأنه يريد أن ينفي صريحاً ما قد توحى به بعض الملابس . والسؤال الآن : لماذا ؟

من المؤكد أن الجواب يكمن في التاريخ الشخصي لابن أبي زينب ، والأرجح انه في منبته على نحو الحصر . ذلك انه ليس في سيرته بقدر ما نعرفها إلا كل جميل . وعبارة النجاشي ناطقة بذلك «عظيم القدر ، شريف المنزلة» . ولا في سيرة شيوخته وسنعرفهم ، ولا في مؤلفاته ما يدعو النجاشي إلى ذلك التنصيص بشقيه ، فلو لم يكن في منبته ما يسوغ التنصيص على أنه امامي محض . لما فعله شيخ رجالي الشيعة المعروف بالدقة والضبط وسعة الاطلاع في هذا الباب .

هل هذه الملاحظات تعزّز ان النعماني مصري ؟

التأمل في الملابس المذكورة اعلاه تعزّز قليلاً هذا الاحتمال على الاحتمال الآخر ، وقد قرأناهما كليهما لدى الخوانساري ومدرس . فهي تدل ضمناً على ابن أبي زينب بعيد المنبت ، ورد البلاد التي النجاشي خبير بها وبأهلها مدة ، ثم غادرها نهائياً . أي إنه لم يتح له أن يعرفه إلا من خلال العلاقات التي نسجها في «العراق» و«ايران» متلقياً ومتحملاً ، وربما من خلال لقاء احد تلاميذه في «حلب» ، كما سنعرف . وايضاً من خلال ما أنتج من مصنفات ، وخصوصاً أشهرها «الغيبة» الذي سنعرف انه وضعه خلال اقامته في «الشام» . ولكنه انتشر بسرعة في «العراق» على الأقل . وبذلك أتيح للنجاشي أن يعرفه ويذكر عنه ما اقتبسناه عنه آنفاً . بل اننا نعتقد ان ابن أبي زينب مدين لكتابه هذا بما يتمتع به من شهرة في الاوساط الشيعية الامامية .

من المؤكد ان النجاشي ، الذي توفي سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ، لم يلق ابن أبي زينب ، لكن التأمل في تلك الملابس وما فهمناه منها يرجح انه كان يعرف انه مصري . ولذلك رأيناه ينص ذلك التنصيص المكرر على ان صاحبه إمامي محض ، ذلك ان الفقهاء الامامية المصريين نادرون جداً ، فضلاً عن ان «مصر» كانت في أيام النجاشي فاطمية السلطنة اسماعيلية المذهب .

ذلك هو السبب الوحيد الذي يبدو لنا الآن لذلك التنصيص غير العادي .
لكن هذا التحليل يطرح سؤالاً هو أنه إذا صحَّ أن ابن أبي زينب كان مصرياً ،
وإن النجاشي كان يعرف ذلك ، فلماذا لم يذكره أو يشير إليه ؟
الحقيقة إن الإجابة على هذا السؤال ومثله هي دائماً غير سهلة لسببين ،
أحدهما عام والثاني خاص .

الأول : وهو السبب العام ، أننا في الجواب أو السعي إليه لا نتعامل مع أسباب
موضوعية ، بحيث نستطيع أن نصل وصلاً منطقياً ، ومن ضمن طبيعة الأشياء ،
بين السبب والنتيجة أو العكس . لماذا فعل أو لم يفعل ؟ هذا سؤال قد يؤوّل جوابه
إلى أسباب شخصية ذاتية ، كامنة في الشخص ونوازع . لا يطلع عليها إلا المطلع
على السرائر .

الثاني : وهو السبب الخاص ، أننا نعرف من خبرتنا ، إن الشهرة لأمر قد تكون
خصماً للمعرفة ، أعني أن الشهرة لأمر ما في زمن المؤرخ قد تغريه بالتهاون في
النص عليه ، اعتماداً على أنه أمر معروف مشهور ، ومع توالي الأيام يُنسى ،
ويصبح لغزاً حقيقياً ، يحار الباحثون في كشفه .

اذن ، فربما كان النجاشي يعرف أن ابن أبي زينب مصري ، ولكنه أغفل النص
عليه اعتماداً على اشتهاره .

ثم أن هناك سبباً ثالثاً يتصل بمنهج النجاشي ، ذلك أن منهجه في هذا الشأن
غير دقيق ، فهو لم يلتزم بذكر أو بإغفال المكونات الأساسية لسير الرجال الذين
عرض لهم ، فغرضه الأساسي هو التعريف باسم الرجل ، مع عناية خاصة بسرد
مصنفاته^(١١) ، وقد يشير إلى منبته وسواه من عناصر سيرته الأساسية ، كما قد
يتجاهل كل ذلك ، دون قاعدة .

(١١) الرجال : ٢ .

ومع ذلك كله ، فإن كون ابن أبي زينب مصرياً هو امتياز غير عادي ، نتوقع من
النجاشي ، أن صحَّ لديه ، أن يذكره ويلفت إليه ، لندرة الفقهاء الامامية من أهل
«مصر» ، خصوصاً وأنه ، إذا صحَّ ذلك ، يعني أنه أول ثلاثة فقهاء مصريين من
الامامية في كل التاريخ الثقافي الامامي . ثانيهم أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان
الكراجكي (ت : ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧) . وثالثهم أبو محمد ریحان بن عبدالله الحبشي ،

الذي نرجح انه من رجال أوائل القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد .
وهذان الأخيران كلاهما عاش في «طرابلس» . وثانيهما هو الوحيد الذي تستفيض
الإشارة إلى انه مصري ، بحيث لا يجد الباحث أدنى مشقة في معرفة هذا الشأن
من سيرته .

أضف إلى هذه الملاحظة ، ان النجاشي لا يضمن علينا عادة بالإشارة حيث
تصدق على أن من يترجم له «نزيل مصر»^(١٢) . أو «حدثنا بمصر»^(١٣) . أو «انتقل
إلى مصر وسكنها»^(١٤) . أو «سكن بمصر»^(١٥) . وعلّة هذه العناية واضحة ، فهذا
التعريف يدخل في صلب عمله بوصفه رجالياً ، فعمله الأساسي هو التعريف
بالرجل وبيع بعض ملابسات سيرته التي تعين الناقد فيما بعد على اكتشاف الخلل
في السند ، ودرجة الصحة التي يتمتع بها الحديث الذي يدخل هذا الرجل في
طريقه .

نخلص من هذا كله ، إلى ان الأدلة المباشرة على منبأ ابن أبي زينب معدومة ،
وإلى أن القرائن الواردة في نص النجاشي على انه مصري غير وافية . لكنها
تصلح أن تكون بداية قرينة على الأقل ، لا يؤخذ بها إلا إذا عززتها قرائن اضافية .
والتعزيز يأتي هنا هذه المرة من الدائرة النسبية لابن أبي زينب ، وبالتحديد من
سبطه من ابنته فاطمة ، أبي القاسم الحسين بن علي المغربي (٣٧٠ - ٤١٨ هـ /
٩٨٠ - ١٠٢٧ م) .

فمن المعلوم ، أولاً ان المرء يكون عادة حيث يكون أقاربه الادنون ، وثانياً ان
شبكة العلاقات النسبية بين البشر تمتد وتنتشر ، مثل خيط ناظم متعرج ، وهي في
امتدادها وانتشارها محكومة لعوامل عدة ، وعلى رأسها المكان والزمان
والجنس والدين . بل يمكن للمرء أن يلاحظ بتأمل بسيط ، أن انتشار الرابطة
النسبية بواسطة علاقات المصاهرة ، هو حصيلّة علاقات أعم ، هي تلك التي
ذكرناها المكان والزمان بوصفهما عاملين موضوعيين ، والجنس والدين
بوصفهما عاملين ثقافيين ، وبتعبير آخر ، ان العلاقات النسبية ولاسيما علاقات
المصاهرة وما ينتج عنها ، هي النقاط التي تتقاطع عندها تلك العوامل الأربعة .
وما يهمنا الآن من تلك العوامل هو عامل المكان ، لأن اشكاليتنا الأساسية ، في

هذه المرحلة من عمارة سيرة ابن أبي زينب ، هي منبته ، أي مكانه الأول ، ومسقط رأسه ، والشعب الذي ينتمي إليه بين «نعمانية» «العراق» و«نعمانية» «مصر» .
فلنقل أولاً من هو سبط النعماني هذا .

وأبو القاسم المغربي ابن عائلة من كبار الكتاب ، وقد قدمنا قبل قليل ان مهنة الكتابة في الدواوين الرسمية كانت مراقبة البارزين فيها إلى منصب الوزارة . وبالفعل وصل والده إلى هذا المنصب في الدولة الفاطمية في «مصر» وشغله سبع سنوات ونيفاً (٣٩٣ - ٤٠٠ هـ / ١٠٠٢ - ١٠٠٩ م) .

واستناداً إلى ابن خلكان في وفيات الأعيان^(١٦) فإن أصل العائلة يعود إلى «المغرب» كما تشهد نسبته ، وذلك خلافاً لتفسير آخر ، وتأييدها بقوة إشارة واضحة إلى أصله المغربي وردت في مدحه من مهيار الديلمي لأبي القاسم^(١٧) .
فإذا صح ذلك ، وهو قوي جداً ، فهو يدل ضمناً على أن العائلة أو ربها ، ترك «المغرب» قبل الهجرة المغربية الكثيفة التي أتت مع الحملة الفاطمية سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م ، وانتشروا في «مصر» أكثر انتشارهم . ذلك أنه لا سبب إطلاقاً لتمييز هذه العائلة عن سواها ، بنسبتها إلى أصلها المغربي ، بعد أن امتلأت «مصر» بالمغاربة القادمين مع الحملة الفاطمية . فالنسبة هي في النهاية وسيلة تمييز كالاسم .

لكن الغريب ان العائلة ، ذات المقام الرفيع ، كانت من البيوتات الشيعية الامامية . وذلك أمر غير مألوف في المغربية ، فلا شك ان أباه وجده كانا اماميين ، وكذلك خال جده هرون بن عبدالعزيز الاوراجي الكاتب ، الذي يسميه النجاشي خطأ «الأراجني»^(١٨) . والذي كان وزيراً أو كاتباً لدى بدر بن عمّار في «طبرية» . ومدحه المتنبي بقصيدتين^(١٩) .

واستناداً إلى النجاشي ، فإن الاوراجي وضع كتاباً في «الرد على الواقعة» ، مما يشهد بان الرجل كان على اتصال بالجدل العقائدي الذي كان عالقاً في «العراق» وفي مداه الحيوي الفكري الامامي . بل يمكن القول نفسه في مقر وزارته «طبرية» ، لضرورة ان الكاتب لا يكتب لنفسه بل لقراءه ، فلو لم تكن قضية الوقف على سابع الأئمة ، الامام الكاظم عليه السلام ، مطروحة في منطقته ، لما تجشّم عناء الكتابة فيها ،

(١٦) وفيات الأعيان ١٥٧:١

(١٧) سسير أعلام النبلاء

١٧: ٣٩٥

(١٨) الرجال: ٣٤٣

(١٩) ديوان المتنبي ١: ١٤٠

و٣: ٣٦٧

خصوصاً إذا اعتبرنا موقعه الاجتماعي الرفيع . فهذا مطلٌ نادر جداً وغني على مدينة «طبرية» وشيعتها ، عشية سقوطها على يد الصليبيين ، وتمزّق أهلها كل ممزّق ، فانقطع تاريخها انقطاعاً ، وانحجب عنا كأن لم تكن شيئاً مذكوراً .

مما لا شك فيه أن أبا القاسم المغربي ، سبط ابن أبي زينب ، وُلد في «مصر» أي إن أمه ابنة ابن أبي زينب كانت تعيش فيها ، وعاش الابن فيها أيضاً حتى سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ، أي حتى بلوغه الثلاثين ، مما سمح للذهبي أن يقول فيه «المصري»^(٢٠) . وكان له فيها مقام رفيع ، على الأقل بوصفه ابن الوزير . بحيث يهنئه صاحب ديوان الجيش بقصيدة بمناسبة ولادة ابنه عبدالرحمن^(٢١) ، ولكنه تركها هارباً ، بعد أن قتل الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠١٠ م) أباه وعمه وأخويه ، في أحد حمامات الدم التي كان ينظمها بين الفينة والأخرى ، ونجا أبو القاسم بنفسه ، ولكنه ظل معلق النفس بالانتقام ممن قتل أهله . وفي هذا السبيل أغرى صاحب «الرملة» حسان بن مفرج بن الجراح الطائي بإعلان خلافة علوية ، في مقابل الخلافة الفاطمية ، واستدعى بنفسه الحسن بن جعفر العلوي . وبويع بالخلافة فعلاً ، ووزر فيما بعد في «بغداد» . ومات في «ميفارقين» . ونُقلت جنازته إلى «النجف الأشرف» ليدفن بجانب مشهد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) .

نسوق هذا الكلام عن الوزير أبي القاسم المغربي ، لما فيه من دلالة على أن «مصر» كانت مسقط رأسه ووطنه الأول ، ووطن أبيه من قبله ، صهر ابن أبي زينب على ابنته فاطمة . نبتغي منه في النهاية تعزيز القول بأن هذا مصري وليس عراقياً . ما دامت دائرته النسبية التي نعرفها مصرية كلها . وهذا الدليل الظرفي ، إذ يُضاف إلى ما قدمناه ، يصلح تعزيزاً قوياً لهذا القول ، ويخرجه على الأقل عن حد التردد دون ترجيح بين القولين ، كما رأينا عند مدرّس ، بل عند الخواشساري إلى حدّ ما . ترديد منشؤه اسم البلد الذي يُنسب إليه بين النعمانيتين .

على أن القول القاطع في هذا الشأن يحتاج إلى دليل غير ظرفي ، أي دليل موثوق يقول لنا مباشرة وجه الحق في منبت الرجل . ولكن هذا الدليل غير موجود للأسف ، أو فلنقل إننا لم نعثر عليه إن كان موجوداً . وعسى أن يجد القارئ في ملابسات ما بقي من هذه السيرة ما يصلح أن يكون تعزيزاً إضافياً .

(٢٠) سير أعلام النبلاء

٣٩٤: ١٧

(٢١) وفيات الأعيان ١: ١٥٦.

(٤)

وكما عمي علينا منبت ابن أبي زينب من أرض الله ، فقد عمي علينا تاريخ ولادته ، بل إن الظلمة هنا مطبقة تماماً .

لقد كنا هناك مرددين على الأقل بين احتمالين ، لا ثالث لهما فيما يبدو ، أما هنا فالاحتمالات مفتوحة ، ولا يحدّ منها سوى المنطق العملي العام والمألوف والمعتاد .

والغريب أنك لا تجد أدنى إشارة عند الجميع إلى هذا الجزء من سيرته وسيرة أي إنسان . ولا سبب لذلك ، فيما يبدو ، إلا بُعد منبته عن مزدهم الناس ، وكثرة اضطرابه بين الأقطار ، بحيث أنه لم يكن يستقر في مكان حتى يتحوّل عنه إلى غيره ، كما سنعرف . وإلا منهج النجاشي المركّز جداً ، الذي أومأنا إليه قبل قليل . والنجاشي ، كما عرفنا ، هو مصدرنا الاساسي في هذه السيرة .

(٥)

ضبطنا ابن أبي زينب أول مرة ، في مكان وزمان معلومين ، في «شيران» سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، متلقياً حديثاً عن موسى بن محمد الأشعري القمي . ولحسن الحظ فقد أثبت الحديث الذي تلقّاه ، مشفوعاً بالنص على مكان وزمان تلقيه .

قال : « وحدثني موسى بن محمد القمي بشيران سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة » (٢٢) . والقمي هذا محدّث معروف ، ترجم له النجاشي في الرجال (٢٣) . وسبب لمحدّث أكثر شهرة بكثير ، هو سعد بن عبدالله الأشعري (ت : ٣٠١ هـ / ٩١٣ م) .

(٢٢) الغيبة : ٤٢ .

(٢٣) الرجال : ٣٦٩ .

فهذا يثبت أنه كان في «ايران» في ذلك التاريخ ، وبذلك نكون في أول فترة على شيء من الاضائة من سيرة ابن أبي زينب .

ماندري اين كان قبل هذا التاريخ ، وعمن كان يتلقّى العلم . لكننا لا نشك في أن ذلك اللقاء لم يكن أول عهده بالشيوخ وحملة العلم ، إذ ليس من المعقول أن يقفز امرؤ قفزة واحدة ، فإذا به يجلس إلى شيخ في مكانة موسى بن محمد القمي يتلقى

عنه الحديث .

والاستيفاء يوجب علينا ان نُضيف انه تلقى أيضاً عن محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري ، أبي جعفر القمي^(٢٤) ، وكان هذا مقيماً في «قم»^(٢٥) . ويمكن أن نفهم من هذا أنه عرّج ، على الأقل ، على هذا المركز العلمي العريق . وليس هذا الاستنتاج بالأمر الكبير ، فمن المتوقع أن يعرّج مثل ابن أبي زينب ، إذ يكون في «إيران» ، على مدينة لها من المنزلة العلمية والقداسة ما كان لها وما يزال . ولعله قصدها هي قبل غيرها من حواضر «إيران» ، بل ذلك هو الأرجح ، لما أشرنا إليه من منزلة «قم» .

ومما يساعد على فهم حوافز ابن أبي زينب ، حين يعم وجهه شطر «إيران» ، أن مدينتي «قم» و«الري» كانتا في ذلك الزمان المركزين الأكثر تقدماً في دراسات الفقه والحديث الاماميين . ولم تبدأ «بغداد» منازعتهما هذه المكانة إلا بعد أن تحوّل إليها محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م) سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م ، حاملاً معه كتابه «الكافي» . الذي اكتسب بسرعة منزلة لا تضاهي بوصفه منتخباً جامعاً ودقيقاً في الحديث الوارد من طرق أهل البيت عليهم السلام ، لم ينازعه عليها أي من الكتب الثلاثة التي جاءت بعده .

نرجح ان اقامته في «إيران» لم تكن قصيرة . بل أن علاقته بأجلّ أسيادها الكليني قد بدأت هناك ، وتحديدأ في «الري» حيث كان يقيم ، قبل أن يتحول إلى «بغداد» ويسكنها حتى وفاته . فالمعروف أن ابن أبي زينب «كان خصيصاً به - أي بالكليني - يكتب كتابه الكافي»^(٢٦) . ونسخة النعماني من الكتاب ، أي الكافي ، معروفة لدى المعنيين من أهل الحديث ، وهي بالاضافة إلى نسخة الصفواني ، أمّ كل النسخ التي انتشرت فيما بعد ، وعُرف كل منهما باسم كاتبها^(٢٧) ومن أجل ذلك اكتسب لقب «الكاتب» .

من المؤكد أنه كان في «بغداد» في شهر رمضان سنة ٣٢٧ هـ / تموز ٩٣٩ م . وهي السنة نفسها التي تحوّل فيها شيخه الكليني إلى «بغداد» . ففي ذلك التاريخ تلقى حديثاً عن محمد بن همام بن سهيل البغدادي الاسكافي ، اثبتته في الغيبة^(٢٨) مع التنصيص على مكان وزمان تلقيه . «حدثنا محمد بن همام في منزله ببغداد في

(٢٤) الغيبة : ٦١ .

(٢٥) الرجال : ٢٧٤ .

(٢٦) عين الغزال نقلأ

عن «الكليني» للدكتور

محفوظ : ٢٤ .

(٢٧) مرآة العقول ١ : ٣٩٦ .

(٢٨) الغيبة : ١٦ .

شهر رمضان سنة سبع وعشرين وثلاثمائة». ومنزل الاسكافي من «بغداد» كان في «سوق العطش»^(٢٩). ومن الثابت ان الكليني تحوّل إلى «بغداد» سنة ٣٢٧/٣٠، أي ان اقامته فيها لم تطل إلا سنتين أو تزيدان قليلاً، وتلك مدة غير كافية بالتأكيد لبناء علاقة بهذه المثابة بين النعماني وشيخه، فضلاً عن نسخ كتابه الضخم. فمن هنا رجحنا أنه كان معه في «إيران». ولعله نزل «بغداد» بصحبته.

نخلص من ذلك إلى ان النعماني صاحب الكليني زهاء ست عشرة سنة، أربع عشرة منها في «الري»، واثنان في «بغداد». وهذه مدة تتناسب مع ما وُصف به من خصوصية بشيخ فقهاء الشيعة في وقته. ولا شك أنه مدين لتلك السنوات بأثمن ما وعى قلبه، وهو الذي وصفه النجاشي بأنه كان «كثير الحديث». والحقيقة التي لا يصعب على قارئ كتابه «الغيبة» ان يكتشفها، ان اسم الكليني هو أبرز اسماء شيوخ المصنف في الكتاب.

توفي الكليني في «بغداد» سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م، ونظن ان النعماني انصرف بعد وفاة شيخه الأكبر إلى متابعة التحصيل ولقاء شيوخ الحديث. وكلهم منذ الآن عراقيون: أبو العباس، أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي السبيعي الحافظ (ت: ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م)^(٣١). والأرجح انه أخذ عنه في «بغداد» حين «قدما» - أي الحافظ - فحدّث بها^(٣٢). وأحمد بن محمد بن يعقوب بن عمار الكوفي (ت: ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)^(٣٣) الذي وصفه النجاشي بـ «الثقة الجليل»^(٣٤). وأحمد بن نصر بن سعيد الباهلي النهرواني، المعروف بابن أبي هراسة (ت: ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م)^(٣٥). وهذا أيضاً قدم «بغداد» من بلده «جسر النهروان» وحدّث بها^(٣٦) وعلي بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)^(٣٧) صاحب «مروج الذهب» الشهير، الذي يعرفه الجميع بوصفه أحد أشهر المؤرخين العرب شهرة طغت على موقعه بوصفه أحد رجال الحديث الشيعة. وعبدالواحد بن عبدالعزيز بن يونس الموصلي، أبو القاسم (ت: ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م)^(٣٨). وهؤلاء، بالإضافة إلى شيخه الأكبر الكليني، هم أبرز شيوخته، استناداً إلى أسناد الأحاديث الواردة في كتابه الوحيد الباقي بين أيدينا «الغيبة».

(٢٩) تاريخ بغداد ٥: ٣٢.

(٣٠) الاستبصار ٢: ٢٨٧.

(٣١) الغيبة: ٢١.

(٣٢) تاريخ بغداد ٢: ٢٦٤.

(٣٣) الغيبة: ٥٧.

(٣٤) الرجال: ٧٤.

(٣٥) الغيبة: ٨٠.

(٣٦) تاريخ بغداد ٢: ٢٨٢.

(٣٧) الغيبة: ٥٤.

(٣٨) الغيبة: ١٧.

(٦)

حلت سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م وإذا بابن أبي زينب فجأة في «طبرية»، والفضل في ضبطنا له في هذا المكان القصي عن وطنه يعود إلى سند حديث أورده في الغيبة^(٣٩) قال فيه : «حدثنا محمد بن عبدالله بن المعمّر الطبراني سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بطبرية». ولو لا هذا النص السخي ، لما كان لدينا أدنى فرصة لمعرفة هذا التفصيل الهام من سيرة النعماني ، وفي الوقت نفسه للإطلال من خلاله ، ولو من كوة صغيرة ، على جزء عزيز ضائع من تاريخنا . كما يورد في الغيبة^(٤٠) حديثاً عن طبراني آخر ، هو أبو الحارث ، عبدالله بن عبد الملك بن سهل الطبراني . وباليته ذكر تاريخ تلقيه هذا الحديث عن هذا الطبراني . إذن لربما ازدادت فائدة النص بالنسبة إلينا . وقد باءت كل جهودنا لمعرفة شيء عن هذين المحدثين الطبرانيين بالفشل . إذن ، فهما دون ريب من غير ذوى المكانة بين أهل الحديث .

ثم جاءت سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م وإذا به في «حلب»^(٤١) . وهذا كل ما نعرفه معرفة مباشرة عن ابن أبي زينب في «الشام» .

وقد عرفنا من نص النجاشي الذي سبق اقتباسه ، أنه «خرج إلى الشام ومات بها» . والإضافة التي حصلنا عليها الآن ، أن خروجه إلى «الشام» كان في تاريخ سابق على السنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م ولو بقليل ، وأنه بقي فيه إلى ما بعد السنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م ولو بقليل أيضاً ، أي زهاء العشر سنوات على الأقل . وهذه نتيجة طيبة بالقياس إلى ضآلة ما تقدمه لنا المصادر ، وعلينا أن نستثمرها خير استثمار .

وتحوّل ابن أبي زينب عن «العراق» إلى «الشام» يطرح سؤالاً كبيراً ، لا نطمح في أن نجد عليه جواباً ، وهو سؤال يتعلق بأصل شخصه ، فلماذا ، على كل حال ، ترك «العراق» بعد وفاة شيخه الكليني ، وهو الذي كان خصيصاً به . والقاعدة أن تكون هذه العلاقة ومثلها الباب المناسب لشيء من المكانة ، يستريح إليها صاحبها وهو في خريف العمر ؟

وغاية جهدنا إزاء هذا السؤال أن نطرحه طرحاً دقيقاً ، والجواب عليه يحتاج إلى معرفة أفضل بالظروف التي اضطرب فيها النعماني في «العراق» ، بحيث

(٣٩) الغيبة : ٢٥ .

(٤٠) الغيبة : ٥٩ .

(٤١) الغيبة : ٩ .

نستطيع أن نتصور حوافزه تصوراً ما . ومع ذلك يبقى طرح السؤال ، بما مَهَّدنا له وأحطنا به ، تقدماً نسبياً على طريق البحث .

لكننا ، استناداً إلى ما نعرفه من خصائص الفترة التاريخية التي كان يجتازها «الشام» آنذاك ، نستطيع أن نقول لماذا غدا «الشام» في زمان النعماني بقعة ذات جاذبية خاصة له ولأمثاله ، ففي ذلك الأوان كانت هذه البقعة ، التي لا تدانيها بقعة من حيث الأهمية ، قد بدأت تأخذ لنفسها وجهة جديدة ، بحيث يمكن القول أنها غدت أرض الوعد الكبير ، وذلك بعد أن وصلت الحضارة الرسمية ومؤسساتها إلى قمة ما تمنحها إياه بُنيته الثقافية ، وبدأت تنحدر انحدارها السريع ، الذي لم يتوقف بعد ذلك أبداً ، بعد أن استنفدت الطاقة التي منحها إياها النهضة الإسلامية الكبرى .

وفي الوقت نفسه بدأت تبرز في «الشام» معالم انتاج حضارة بديلة ، وكان من امارات ذلك ظهور مراكز مدنية كبرى على أرضه . هي عموماً تجمعات سكانية من قبائل كانت بدوية أو نصف بدوية ، فظهرت «حلب» من بني كلاب وتغلب ، و«طرابلس» من بني همدان ، و«الرملة» من بني طيئ ، و«طبرية» من الأشعريين المذحجين ، و«صور» من قبائل شتى . وكانت كل هاتيك المراكز شيعية امامية من درجة أو أخرى .

ولسنا ندعي ان ابن أبي زينب كان يقرأ هذا التحول بالتحديد والوضوح الذي نقرأه الآن ، ولكنه كان وأمثاله يدرك ذلك ادراكاً ما ، وبالدرجة التي يستطيع امرؤ حصيف أن يقرأ الحدث وهو في داخله أو في زمان حدوثه .

وجدير بالذكر هنا أنه في العام الذي رصدنا فيه النعماني في «طبرية» ، أي في السنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م . خرج فقيه كبير آخر من «بغداد» إلى «الشام» ، هو سلامة بن محمد الأرزني ، تلميذ علي بن الحسين بن بابويه . قال فيه النجاشي : «ثقة جليل» . لكنه رجع إلى «بغداد» ، وتوفي فيها سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م^(٤٢) ، الأمر الذي يمكن أن نفهم منه ، أن حركة الفقيه الشيعي باتجاه «الشام» في ذلك الأوان ، لم تكن مجرد استجابة لظروف شخصية ، بل هي ، بالاضافة إلى ذلك ، تلبية لنداء من شأن الفقيه المبلغ أن يلبيه .

واننا نميل إلى الاعتقاد بأن تحرّك فقيه ، بل فقيهين كبيرين ، من «بغداد» نحو «الشام» ، يتصل اتصالاً وثيقاً بما كان يجد فيه من تغيير كبير ، ظهرت معالمه وبُناه فيما بعد ، بما اكتسبت «حلب» من مكانة لا تُضاهى في «الشام» ، إذ أصبحت مناراته الفكرية الوحيدة ، قبل أن تبرز إلى جانبها «طرابلس» ، وما ادراك ما «طرابلس» ، تلك السابقة الحضارية الرائدة ، سياسياً وفكرياً وتنموياً ، التي لم يُنسج على منوالها من بعدها . وكلتاها قصمتها الهجمة الصليبية الهمجية ، فقد قصمت «طرابلس» ، مباشرة ، باحتلالها ونهبها وتدمير معالمها الحضارية وتشريد أهلها ، و«حلب» بتداعيات الهجمة نفسها . نعني بذلك ما أحدثته من فوضى وفراغ سياسي . استغلتها الجماعات العسكرية شبه البدوية ، الشرهة إلى السلطة والثروة والرفاه ، فاندفعت من أماكنها القصية نحو قلب «دار الاسلام» تحت شعار الدفاع عن بيضة الاسلام ، واستولت على كل شيء ، حاصرة وظيفه المجتمع الاسلامي وحضارته في ضمان الرفاه والثروة للطبقة العسكرية الحاكمة .

ونعتقد ان حركة ابن أبي زينب باتجاه «طبرية» و«حلب» ، كانت تلبية لما وصفناه من معالم تجديد ، ولكننا لا نجد على ذلك دليلاً مباشراً . وأنّى لنا أن نطمع بتفصيلات كهذه ونحن الذين لا نملك من سيرته الا تلك الكلمات القليلة ، التي اختصرت حياته الحافلة في أسطر معدودات . لكننا في المقابل نتساءل : لماذا يترك فقيه في مكانته «بغداد» ليُمضي بقية ايامه في «طبرية» و«حلب» ؟ وما هي البضاعة التي كان يحملها الى تينك الحاضرتين غير ما عنده من علم ؟ وما هو النداء الذي لبّاه حين أقلع من عاصمة الدنيا يوم ذاك ، سوى ان يضع علمه حيث يكون أنفع وأعود ؟ مثلما فعل مئات الفقهاء من قبله ومن بعده .

ومن جهة أخرى ، فانه لا مراء في انه اختار تينك الحاضرتين لأنه رأى فيهما مزدراعاً صالحاً لغرسه الطيب . وسنعود إلى معالجة معطيات هذه الاسئلة ، حين نبحث همومه وحوافزه ، كما يعكسها كتابه «الغيبة» في خواتيم هذا البحث ، ان شاء الله .

ولقد بيّنا في الفصل المخصّص لمدينة «طبرية» ، من كتابنا المومأ إليه

(٤٣) التأسيس: ١٦٨ - ٧٢.

أنفاً^(٤٣) أن المدينة كانت في ذلك الأوان شيعية خالصة ، وأنها ، مع القرى والمزارع المُطيفة ببحيرتها ، كَوّنت مجتمعاً متقدماً جداً ، في مقاييس ذلك الزمان ، من جهة التنمية والانتاج ، ولكنها عجزت عن السير في الطريق الذي كانت «حلب» قد سارت فيه ، وتبعتها «طرابلس» فيما بعد ، وقضينا هناك ان هذا العجز يعود لأكثر من سبب ، وفي رأس الأسباب انعدام الصلة بالمراكز العلمية الشيعية خارجها . وخصوصاً «بغداد» ، أسوة بتيتك الحاضرتين ، وأسوة بـ «جبل عامل» فيما بعد .

والإضافة التي نحصل عليها الآن ، من هذه القراءة لسيرة ابن أبي زينب ، أن تلك الحالة المجترأة كانت قد بدأت توضع على الطريق المؤدي إلى التصحيح والتكامل ، أو ، على الأقل ، انها موضع تفهّم من قبل القادرين على تأسيس التواصل المطلوب والضروري لتعزيز ذاتية المدينة .

الأهمية التاريخية لمبادرة النعماني ، حين شدّ رحاله إلى «طبرية» ، أنها أول تواصل نعرفه بين هذه المدينة ومنطقتها من جهة ، وبين احد ممثلي مركز علمي متقدم جداً ، بل لعله الأكثر تقدماً ، بعد «الري» و«قم» ، في ذلك الزمان ، من جهة أخرى . وتلك مبادرة رائدة كان يمكن ان تضع صاحبها في صف الرواد من الفقهاء ، كما كان يمكن ان تكون فاتحة لمبادرة او مبادرات أوسع وأوضح أثراً . الأمر الذي كان يؤهل المدينة ، ذات الموقع المتميز في جنوب «الشام» ، لان تحظى بمثل المكانة التي حظيت بها «حلب» في شماله ، و«طرابلس» في غربه . لولا ان الهجمة الصليبية الهمجية نفسها قصمتها وهي وعد ، وتفرق أهلها في الجبل المجاور «جبل عامل» ليعمروه . وبعد قرنين من الزمان بدأت نهضته التي ما تزال نتفيّاً ظلالتها الوافرة ، فكأن الوعد الذي كانت تُضمّره «طبرية» تحقّق في هذا الجبل المبارك . فالناس هم الناس هنا وهناك ، وان اختلفت الأرض .

فمن هنا نعرف أن تاريخنا ، كما تاريخ غيرنا ، قصة مترابطة الحلقات ، فيها مَنْ يزرع ، وفيها مَنْ يأكل ، وقد يأكل آكل من زرع مَنْ لا يعرفه . ورب حصاد غداً بذراً لزرع قادم .

﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ .

(٧)

لسنا ندري أين أتت نهاية ابن أبي زينب في «الشام» ولا متى، ولا أين، امضى سنواته العشر بالتحديد وماذا فعل بالضبط. واثني لنا ذلك، ونحن لا نملك حول هذه الأسئلة إلا نص النجاشي بكلماته الخمس «خرج إلى الشام، ومات بها» وإلا ما يعكسه كتابه «الغيبة» من هموم صاحبه، وهذه بدورها تومئ إلى بعض المشكلات التي تواجه أمثاله من المبلغين. وقد رمى من خلال مصنفه هذا إلى معالجتها، مما سنخوض فيه في القسم التالي.

(٨)

من تمام عملنا أن نعرّف بأشهر كتب ابن أبي زينب، المطبوع تحت اسم «الغيبة»، تعريفاً تُفرغ فيه نتيجة قراءتنا للكتاب، مع الإشارة إلى أن القراءة، وما استفدناه منها، كان يمكن أن يكون أثمر وأعود، لولا بؤس النشرة وافتقارها إلى تحقيق النص تحقيقاً علمياً، وهي النسخة الوحيدة المتاحة من الكتاب. المقصود باسم الكتاب غيبة الامام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه، وهذا من الموضوعات التقليدية في المكتبة الشيعية، الذي ساهم فيه مؤلفون كثيرون. ويندر أن تجد اسماً شهيراً من الفقهاء الشيعة القدماء لم يُدَلَّ فيه بدلوهُ. وقد عالَج فيه المؤلفون المشكلات غير العادية التي طرحتها غيبة الامام بين جمهور المؤمنين.

لكن الأمر الذي لا يعرفه إلا قلة من المختصين، هو أن التأليف في موضوع الغيبة قد بدأ في زمن مبكر جداً، بالنسبة لتاريخ غيبة الامام الثاني عشر، يرقى إلى عصر الامام الثامن علي بن موسى الرضا (١٤٨ - ٢٠٣ هـ / ٧٦٥ - ٨١٨ م)، وذلك على أثر حدوث أزمة الوقف على الامام السابق، وما نتج عنها من انشطار كبير لفرقة عُرفت باسم «الواقفة» التي ذهبت إلى أن الامام موسى الكاظم (عليه السلام) غاب ولم يمُت. والظاهر ان بعض رجال هذه الفرقة استفادوا من الأحاديث الكثيرة، التي كانت معروفة ومتداولة، والتي تقول ان آخر الأئمة سيغيب غياباً ولن يموت موتاً، ووجهوها إلى ما يناسب غرضهم، فوضعوا كتباً عدّة، حملت هي الأخرى

اسم الغيبة ، بشكل أو بآخر . منهم ، وأعرفهم ، الحسن بن علي البطائني وأبو الحسن الشاطري^(٤٤) . ولكن بعد الاندثار السريع لهذه الفرقة ، انحصر الاسم في مثل كتاب النعماني . ويجد القارئ أسماء عشرات الكتب التي تعالج الموضوع في المصدر المذكور أعلاه .

(٤٤) الذريعة: ١٦: ٧٤

ومابعدھا.

يرى آغا بزرك «من بعض المواضع» ان الاسم الأصلي للكتاب «ملء الغيبة في طول الغيبة»^(٤٥) . والاسم بهذه الصيغة يبدو أقرب إلى ما كان معمولاً به في عصر تأليفه وإلى ما بعده بكثير ، كما أنه يتناسب تماماً مع موضوع الكتاب .

(٤٥) نفسه: ٧٩.

وفي المصدر نفسه ، استناداً إلى «بعض النسخ الموجودة في الرضوية» ، يعني «المكتبة الرضوية» في «المشهد» ، أن المؤلف فرغ من الكتاب سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م ، وفي متن الكتاب ما يؤكد ذلك ، حيث ينص المؤلف على انه كان مشغولاً بتأليفه بعد غيبة الامام ، المعروفة بالغيبة الصغرى ، بـ «نصف وثمانين سنة»^(٤٦) ، والامام العسكري^{عليه السلام} توفي سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م ، إذن ، فالتاريخان متقاطعان عند نقطة واحدة . وهذه قرّة عين المؤرخ .

(٤٦) الغيبة: ١٠٣.

الطابع العام للكتاب يصنّفه في كتب الحديث ، فهو مجموع حديثي جمع فيه مؤلفه الاحاديث التي تعالج مسألة الغيبة ، والمسائل ذات العلاقة بها ، من كافة جوانبها ، ونسّقها في فصول ، كل فصل منها تحت عنوان خاص ، هو في الوقت نفسه مشكلة من المشكلات التفصيلية التي تطرحها مسألة الغيبة .

« جمعت في هذا الكتاب ما وفق الله لجمعه من الأحاديث التي رواها الشيوخ عن أمير المؤمنين والأئمة الصادقين^{عليهم السلام} أجمعين ، في مسألة الغيبة وغيرها ، مما سبيله أن يُضاف إلى ما روي فيها »^(٤٧) .

(٤٧) الغيبة: ١٧.

نادراً ما نرى المؤلف ، إلا بياء المتكلم في أسناد الحديث . فاذا ظهر فانما موضحاً أو مستنتجاً من الأحاديث التي سبق أن أوردها بسندها ومتنها ، وأغلبها عن شيوخه الرئيسيين : الكليني ، ابن عقدة ، المسعودي ، الاسكافي ، وابن هوزة الباهلي . والغريب انه أثبتّها جميعها ، بسندها ومتنها من حفظه ، لان تسجيلاته كانت بعيدة عن متناول يده ، حين ألّف الكتاب . ومن هنا رأيناه يعتذر سلفاً عما قد يكون شاب عمله من نقص « إذ لم يحضرني جميع ما رويته في ذلك لبُعد عني ،

(٤٨) الغيبة: ١٧.

وإن حظي لم يشتمل عليه»^(٤٨). وهذا يؤيد ما وصفه به النجاشي ، في الترجمة التي اقتبسناها عنه آنفاً ، حيث قال فيه : «كثير الحديث» .

من الواضح أن المؤلف متأثر في صياغة كتابه بالمنهج الفقهي الذي كان معمولاً به في زمانه ، كما نراه في أهم كتابين معاصرين ، هما «الكافي» للكليني وكتاب « من لا يحضره الفقيه » لابن بابويه (ت: ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) ، وذلك قبل أن تستقر حركة الاجتهاد ، ويتحول الفقه إلى بحث وفتوى ، بحث ، وإن شئت قلت اجتهاد ، على مستوى الفقيه ، وفتوى على مستوى المكلف . ويتراجع الحديث إلى ما وراء الفقه ، بوصفه مصدراً من مصادر الحكم الشرعي الأربعة .

من المؤكد أن ابن أبي زينب شرع في كتابة كتابه وأتمه في «الشام» ، والشواهد على ذلك متوفرة . أولها الحديث الذي تلقاه في «طبرية» سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م ، وقد أثبت في أوائل كتابه . مما يصلح اشارة على أنه بدأه هناك^(٤٩) . وثانيها النص الذي اقتبسناه قبل قليل ، وفيه يصرّح بأنه يروي أحاديث الكتاب من حفظه ، حيث هو بعيد عن تسجيلاته ، وغير ذلك من الأدلة والقرائن .

نختم هذا القسم بالبحث في السبب الذي دفع النعماني إلى التأليف في هذا الموضوع بالذات . ليس فقط لعلاقته بخطة الكتاب ، وهذا جزء من التعريف به ، ولكن أيضاً لأن معالجة هذا الموضوع تساهم في إلقاء الضوء على حوافز وأعمال مؤلفه في «الشام» ، وبالتالي على بعض الأوضاع الثقافية - العقيدية ، التي كانت تُلَمّ بالشيعة فيه آنذاك ، والتي سنتخذ من هذا الموضوع مؤشراً إليها ، ومناسبة للخوض فيما تعطيه . وبذلك نحقق الهدف الثاني للبحث ، وفقاً لما أعلنه في المقدمة ، أعني متابعة المنهج الذي بدأناه في كتابنا «التأسيس» .

يُفصّل المؤلف في المقدمة الدقيقة والمنهجية التي وضعها لكتابه ، عن همومه المقلقة ، بوصفه فقيهاً مبلغاً ، بكلام واضح يضعنا في جو أزمة كبرى كانت تُلَمّ بالشيعة آنذاك ، وكانت حافزه لوضع الكتاب . يقول :

« فَإِنَّا رَأَيْنَا طَوَائِفَ مِنَ الْعَصَابَةِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى التَّشْيِيعِ ، الْمُنْتَمِيَةِ إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، مِمَّنْ يَقُولُ بِالْإِمَامَةِ ، الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ دِينَ الْحَقِّ ، وَلِسَانِ الصِّدْقِ ، وَزِينَةً لِمَنْ دَخَلَ فِيهَا ، وَنَجَاةً لِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَفَازَ

(٤٩) راجع القسم الخامس

من البحث.

بذمتها ، وتمسك بعقدتها ، ووفى لها بشروطها ، من المواظبة على الصلوات ، وإيتاء الزكاة ، والمسابقة إلى الخيرات ، واجتناب الفواحش والمنكرات ، ومراقبة الله تقدس ذكره في المأى والخلوات . وشغل القلوب ، وإتباع الأنفس والأبدان في حيازة القربات ، قد تفرقت كلمها ، وتشعبت مذاهبها ، واستهانت بفرائض الله عزوجل ، وخفت إلى محارم الله تعالى ، فطال بعضها علواً ، وانخفض بعضها تقصيراً ، وشكوا جميعاً في امام زمانهم وولي أمرهم وحجة ربهم ، التي اختارها بعلمه» (٥٠).

(٥٠) الغيبة: ١١.

هذا النص النادر ، وأكاد أقول الفريد ، لولا بعض التحفظ الناشئ عن خشية نقص الاستقراء ، يصف لنا بكلمات لا لبس فيها ، أزمة ذات وجهين كانت تنال من كيان الشيعة في «الشام» آنذاك .

والظاهر انه ، وهو الذي أخذ على عاتقه مهمات تبليغية طموحة في مهجره ، قد واجه مشكلات عويصة لا عهد له بها . منها ما هو ناشئ عن بُعد المنطقة عن مصادر البحث والتفكير الاساسية . الأمر الذي اضعف اتصال أهلها بالتطور العالق آنذاك في المراكز العلمية في «العراق» و«إيران» وبما يصدر عنها من صنوف التوجيه والارشاد . وبعضها الآخر ناشئ عن أن «الشام» بذاته موطن لتيارات مختلفة ، التقت فيه ، وخصوصاً من بعض الفرق التي انفصلت عن خط التشيع الرئيسي في الماضي ، وتوطنت فيه . ومن هذه الفرق الشلمغانية في «الجزيرة» وخصوصاً في «ميفارقين» ، والاسماعيلية في «سلمية» والجبالي القائمة بين «حمص» و«اللاذقية» .

علينا أن نأخذ الآن بعين الاعتبار ، أن وجود ابن أبي زينب في «الشام» جاء خلال تلك الفترة الانتقالية المليئة بالمصاعب ، بين الوجود العلني للأئمة ، والوجود الخفي للإمام الثاني عشر . التي تمخضت في النهاية عن ولاية الفقيه ، بوصفه ممثلاً للشرعية ونائباً عاماً عن الامام في فترة الغيبة .

ومن المتوقع ، في مثل هذه الحال ، أن يحدث سوء فهم للمتغير وسوء فهم لمضمونه ، أعني بين جمهور المؤمنين . على الرغم من الحكمة الكبيرة التي نظم فيها الانتقال ، بتوسط الغيبة الصغرى ، التي كان عمادها حضور الامام بواسطة

نوابه الخاصين الذين كانوا بدورهم استمراراً لسياحة الوكلاء عن الامام في الأقطار من قبل . وهكذا حدث التطور بالشكل التالي : حضور الامام العلني والمباشر ، ثم حضوره بتوسط نوابه الخاصين ابان الغيبة الصغرى ، ثم الغيبة الكبرى .

من هنا رأينا يشكو من تفرّق كلمها وتشعب مذاهبها . يعني «العصاة المنسوبة إلى التشيع» على حد تعبيره ، وهي عبارة تشمل الشيعة بكافة مذاهبهم . واخرى من انهم «شكّوا جميعاً في امام زمانهم وولي أمرهم وحجة ربهم» وهذه الكلمات تعكس الأزمة الكبرى التي اصابته الامامية وبعض الفرق التي تمايزت عنها ، بسبب طول غيبة الامام الثاني عشر ، لدى مَنْ لم يدرك معناها ، وخال انها قضية سنوات معدودات . وقد نقل في متن الكتاب الأسئلة الحائرة التي كانت تدور في خلد هؤلاء نقلاً أميناً ، حيث قال في احدى تعليقاته القليلة :

« وهذه الاحاديث دالة على ما قدمت اليه أحوال الطائفة المنتسبة الى التشيع ممن خالف الشريعة المقيمة على إمامة الخلف ابن الحسن عليه السلام ، لأن الجمهور منهم يقول : اين هو ؟ وأتى يكون هذا ؟ وإلى متى يغيب ؟ وكم يعيش ؟ وله الآن نيف وثمانون سنة » (٥١) .

(٥١) الغيبة : ١٠٢ .

انطلاقاً من هذا التحليل نصل إلى معالجة مشكلة منهجية تواجه قارئ الكتاب ، ذلك أن الذي يتناوله ، ويشعر بقراءته ، ابتداءً بمقدمته المنهجية الدقيقة ، التي تعرض المشكلة ومنهج المؤلف في معالجتها ، عرضاً في الغاية من الوضوح ، ثم يتابع عبر فصوله ، وهي تقوده في ثنايا المشكلة وتفصيلاتها . هذا القارئ سيفاجأ في خواتيم الكتاب بفصل قصير ، يبدو غريباً تماماً عن الكتاب ، يحمل عنوان «ما ذكر لاسماعيل بن أبي عبد الله ، والدلالة على أخيه موسى بن جعفر عليه السلام» (٥٢) . أورد فيه ثمانية أحاديث . جميعها فيما يختلف فيه الاسماعيلية عن الامامية ، في خصوص نقطة الافتراق . وهو فصل يبدو أول وهلة غريباً عن الكتاب ، وليس يتلائم إطلاقاً مع المنهج الدقيق الذي عرضه المؤلف في المقدمة ، والتزم به حتى هذا الفصل .

(٥٢) الغيبة : ٢٢٤ - ٢٨ .

ولكن التدقيق ، والفهم العميق لعناصر أزمة الجمهور الذي خاطبه المؤلف

بكتابه ، يُظهر لنا خبيئاً هاماً . ما بدا أنه مفارقة لا معنى لها . فمن المعلوم أن الاسماعيلية ذهبت إلى استمرار الامامة باشخاص معلومين ، ظلوا يتوالون عليها ما بين مستور وظاهر ، حتى عصر المؤلف ، بل إلى ما بعده بكثير . وفي زمانه كانت قد نجحت في تأسيس دولة في شمال «افريقية» . الأمر الذي غدا عامل إغراء وتحجّ بالنسبة لبعض المستضعفين من الامامية . وفاقم من عنف الأزمة التي كانت تعصف بكيانهم اساساً ، وأشعرهم بالصغار تجاه أولئك الذين صارت لهم دولة ذات صولة .

فمن هنا تأتي مجادلة الاسماعيلية ، فيما ذهبوا إليه من أمر الامامة واستمرارها منذ اسماعيل ، منسجمة تماماً مع المشكلة الاساسية للكتاب .

ومما يدل على عنايته الخاصة بهذا الموضوع ، اعني مقارعة الاسماعيلية ، أنه صنف في ذلك كتاباً خاصاً ، يسميه النجاشي «في الرد على الاسماعيلية»^(٥٣) .

(٥٣) الرجال: ٢٩٧.

والجدير بالذكر ان تنويعات هذه الأزمة بين الامامية والاسماعيلية استمرت زمناً طويلاً ، واتخذت اشكالاً مختلفة ، وكانت «حلب» ميدانها جميعها . فبعد ابن أبي زينب بعدة عقود ، صنف الفقيه والنحوي ثابت بن أسلم بن عبد الوهاب الحلبي ، شيخ الامامية في «حلب» كتاباً في الرد عليهم . فحُمِلَ إلى «مصر» وُصِّلَب هناك سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م . وأُحرقت خزانة كتب المدينة الضخمة ، التي كان هو أميناً عليها^(٥٤) . ولكن مع تغير الجو السياسي ، حلّ الصفاء بينهم ، وتحالفوا ضد عدو مشترك . ولن نتبسط في الحديث عن العلاقات بينهما بأكثر من هذه الإشارة .

(٥٤) لسان الميزان ٢: ٧٥.

وسير أعلام النبلاء

١٨: ١٧٦.

(٩)

الظاهر ان كتاب النعماني ، المعروف اليوم باسم «الغيبة» ، أصبح بسرعة كتاباً مقروءاً في «حلب» . مثل كل كتاب يصيب محله . وجلس تلميذه محمد بن علي الشجاعى يقرأ عليه الكتاب ، في «مشهد العتيقة» . وهو من المشاهد المعروفة في المدينة . بعد أن قرأه هو على شيوخه . وقد رأى النجاشي مجلس القراءة بل وصلت إليه النسخة التي كان الشجاعى قد قرأها على المصنف بوصية من ابنه . وكانت في عداد مكتبته^(٥٥) . وهي نفسها ، أو هي أم لاحدى نسختين اشارة إليهما ناشر

(٥٥) الرجال: ٢٩٨.

(٥٦) الغيبة: ٩ هـ

الكتاب، إشارة يفهم منها انه اطلع عليهما^(٥٦). وإن لم يستفد منها في نشر الكتب
نشرة محققة تحقيقاً علمياً. وذلك مما يؤسف له حقاً.

من بعد ظلّ الكتاب محلاً للتقدير الكبير. من ذلك ان الشيخ المفيد (٢٣٦ - ٤١٣ هـ / ٩٤٧ - ١٠٢٢ م)، عندما صنّف كتابه الشهير «الارشاد في حجج الله على العباد»، استغنى بـ «الغيبة» عن الاقاضة في إثبات النصوص على الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام. فأثبت طرفاً يسيراً منها. وأحال المستزيد على «الغيبة». ولندكر القارئ هنا، بان النعماني أملى كتابه من حفظه، وهو بعيد عن تسجيلاته، فإحالة مثل الشيخ المفيد طالب الاستيفاء في الموضوع إلى كتابه، تدل على ضبطه وجودة حفظه وجلالة قدره. ثم إذا كان هذا مذكوره في باب واحد، فماذا يكون في بقية الابواب.

وبعد الشيخ المفيد بما ينوف على السبعة قرون، اتخذ الشيخ المجلسي (١٠٣٧ - ١١١١ هـ / ١٦٢٧ - ١٦٩٩ م) من الكتاب مصدراً من المصادر الرئيسية لكتابه الضخم «بحار الأنوار»^(٥٧).

(٥٧) بحار الأنوار: ١٤٤

فاذا كان هذا هو تقدير السلف الصالح للكتاب، فاننا نرى أن النشرة البائسة والوحيدة له لاتفيه حقه، ولا تسمح بالإفادة منه الافادة المرجوة، لذلك فاننا نرفع النداء عالياً بالمبادرة إلى نشره نشرة علمية محققة.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) :

إِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ
خَيْرُ الْعُلَمَاءِ

البخار: ٩ : ١١٠

كتاب في مقال : منهج الرشاد

مبني الرشاد

تعريف

* الشيخ

صادق الكاظمي

هوية الكتاب :

اسم الكتاب : منهج الرشاد لمن أراد السداد .

المؤلف : العلامة كاشف الغطاء رحمته الله .

الناشر : المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام .

القطع : وزيري .

عدد الصفحات : ١٩٩ صفحة .

الطبعة : الأولى (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) .

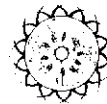
ترجمة المؤلف :

اسمه ونسبه : هو الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر بن يحيى بن مطر بن

سيف الدين المالكي القناقي - الجناحي - النجفي . وقيل : انه رحمته الله ينتهي

نسبه إلى مالك الأشتر (رضوان الله عليه) . والقناقي نسبة إلى قناقية ، ويقال لها

جناحية ، وهي قرية من أعمال الحلة .



الثناء عليه :

قال العلامة السيد محسن الأمين رحمه الله في أعيانه^(١) : قد انتهت إليه رئاسة الإمامية الدينية في عصره والزمنية في قطره ؛ فهو الفقيه الأكبر مفتي الإمامية رجع إليه الناس وأخذوا عنه ، ورأس بعد وفاة شيخه السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي سنة ١٢١٢ واشتهر باعتدال السليقة في الفقه وقوة الاستنباط من الأدلة ، فكان أعجوبة في الفقه .

مشايقه :

منهم :

- ١ - والده المقدّس الورع الشيخ خضر الجناحي رحمه الله .
- ٢ - الفقيه المجدّد الآقا محمد باقر البهبهاني رحمه الله .
- ٣ - العلامة الورع السيد مهدي الطباطبائي بحر العلوم رحمه الله .

تلامذته :

- ١ - أولاده الأربعة : المحقّق الشيخ موسى النجفي والعلامة الشيخ عليّ النجفي والشيخ حسن النجفي والشيخ محمّد النجفي .
- ٢ - الآقا جمال .
- ٣ - صهره العلامة التستري صاحب مقابس الأنوار .
- ٤ - السيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة .
- ٥ - الشيخ محمّد حسن النجفي صاحب جواهر الكلام .

تأليفاته :

وقد ذكروا له تسعة عشر مؤلفاً منها :

(١) أعيان الشيعة ٤ : ١٠٠ .

١ - كشف الغطاء عن خفيات مبهمات الشريعة الغراء .

٢ - القواعد الجعفرية .

٣ - شرح القواعد .

٤ - منهج الرشاد لمن أراد السداد ، وهو الكتاب الذي نريد أن

نتحدث عنه .

نبذة من أحواله وسيرته :

منها ما ذكره في المستدرک فقال عليه السلام :

أنه أبطأ الشيخ في بعض الأيام عن صلاة الظهر ، وكان الناس مجتمعين في المسجد ينتظرونه ، فلما استئسوا منه قاموا إلى صلاتهم فرادى ، وإذا بالشيخ قد دخل المسجد فرأهم يصلّون فرادى فجعل يوبّخهم وينكر عليهم ويقول : أما فيكم من تثقون به وتصلّون خلفه ؟! ووقع نظره من بينهم إلى رجل تاجر صالح معروف عنده بالوثاقة والديانة يصلّي في جنب سارية من سواري المسجد فقام الشيخ خلفه واقتدى به ، ولما رأوا الناس ذلك اصطفوا خلفه وانعقدت الصفوف وراءه ، فلما أحسّ التاجر بذلك اضطرب واستحيى ولا يقدر على قطع الصلاة ولا يتمكّن من اتمامها . كيف وقد قامت الصفوف خلفه تغتبط منها الفحول من العلماء فضلاً عن العوام ، ولم يكن له عهد بالإمامة سيّما التقدّم على مثل هؤلاء المأمومين . ولما سلّم قام فأخذ الشيخ بعضده وأجلسه . قال : يا شيخ قتلتنى بهذا الاقتداء ، مالي ولمقام الإمامة . فقال الشيخ : لا بدّ لك من أن تصلّي بنا العصر ، فجعل يتضرّع ويقول تريد أن تقتلني ، لا قوّة لي على ذلك . فقال الشيخ : إمّا أن تصلّي أو تعطيني مائتي شامي أو أزيد - والترديد منّي - فقال بل أعطيك ولا أصلي . فقال الشيخ لا بدّ من احضارها قبل الصلاة ، فبعث من أحضرها ففرّقها على الفقراء ، ثمّ قام إلى المحراب وصلّى بهم العصر .

وكان من دأبه أن يأمر بتهيئة الطعام ليجتمع أولاده في أكله ثمّ يباحثون بعده

ساعتين في علم الفقه . وكان ﷺ يوقظ كل ليلة أولاده صغيرهم وكبيرهم للتهجد وإتيان صلاة الليل .

مواقفه السامية أمام الوهابية :

قال في الأعيان : «وكان - المترجم له - شديد الغيرة على الطائفة عظيم العناية بأمورها كثير المناهضة لخصومها ، وقد انبرى للرد على الوهابية بيده ولسانه لما عظم خطرهما على العراق ؛ فرد غاراتهم عن مدينة النجف وجمع الأسلحة والذخائر في داره ورتب المقاتلة على السور وباشروا العلماء القتال بأنفسهم وشجعوا المقاتلين بتحريضهم حتى ارتد رئيسهم - سعود - وأصحابه عنها خاسرين ، وفتحوا كربلاء عنوة ونهبوها وقتلوا أهلها وهم أكثر من أهل النجف . وأوفد ﷺ رسالة خاصة إلى سعود بيّن له فيها فساد ما ينتحلونه من تكفير المسلمين ورميهم بالشرك .

ولادته ووفاته :

ولد المترجم له ﷺ في النجف الأشرف سنة ١١٥٦ حسب ما جاء في الحصون المنيعية لحفيده الشيخ علي بن محمد رضا بن موسى كاشف الغطاء ، وتوفي في النجف سنة ١٢٢٨ كما في المستدرک ودفن في مقبرته الخاصة التي أعدها لنفسه في حياته ، وهي مشهورة إلى جنب المدرسة والمسجد في محلة العمارة .

قراءة في الكتاب :

قال المحقق الطهراني في الكرام البررة من طبقاته : منهج الرشاد لمن أراد السداد في رد الوهابيين كتبه جواباً لكتاب ورده من سعود إمام الوهابية ، وهو أول كتاب كتب في الرد عليهم وهو آية في الابداع وسعة الاطلاع حوى حقائق علمية وحججاً دامغة .

وقال العلامة الأمين في أعيان الشيعة : رسالة منهج الرشاد لمن أراد السداد في ردّ الوهابيين ، وهي جواب كتاب ورد إليه من سعود إمامهم ، ولعلها أول رسالة كتبت في هذا الموضوع ، اللهم إلا أن يكون سبقها كتاب سليمان بن عبد الوهاب أخى محمد بن عبد الوهاب ، وقد دلت على سعة اطلاعه ووفور علمه وقوة حجته ، وحوت كثيراً مما لم يحوه ما تأخر عنها ، مع أن الأمر على المتأخر أسهل ، فهي من مفاخر ذلك العصر .

والكتاب يقع في مقدّمة ومقاصد وخاتمة .

أما المقدمة فتشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في أن الأفعال والكلمات تختلف باختلاف المقاصد والنيات ، وفي هذا الفصل تعرّض الله إلى أن من قال يد الله وعين الله وجنب الله وأراد الجوارح على نحو ما في الأجسام ، أو أسند الرزق إلى المخلوق أو دعاه أو استغاث به على نحو ما يسنده إلى الملك العلام كان خارجاً عن مقالة أهل الاسلام . أما من قصد بها معاني أخر فليس عليه من بأس ولا ضرر . ثم يستنتج أن إطلاق السيّد والمالك على غير الله وإضافة العبد والمملوك في الأحرار إلى غير الله ؛ إن اريد بها الملكية الحقيقية كان خروجاً عن الطريقة الشرعية ، وإلا لم يكن في ذلك بأس ، وذكر في هذا المضممار أخباراً من أبناء السنة .

منها : عن عائشة عن النبي ﷺ قال : « أنا سيّد ولد آدم وعليّ سيّد العرب » (٢) . وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال : « الحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنة » (٣) . وشواهد من القرآن الكريم من قبيل قوله تعالى : ﴿ يا أيها العزيز فسنّا وأهلنا الضّرّ ﴾ (٤) . وفي نهاية هذا الفصل يتعرّض إلى أن تبدل الأحكام بتبدل الموضوعات ليس من باب التشريع والإبداع ، فمثلاً يستحب للنساء التزيّن لرجالهنّ ، فمَنْ كان لبس السواد زينة استحَب فاذا انعكس وصار الميل إلى الأحمر والأصفر انعكس الخطاب ، أو التأهّب لجهاد الكفار بأحسن السلاح وكان أحسنه السيوف والرماح وصار الأحسن في هذه الأيام البندقية .

(٢) حلية الأولياء ١ : ٦٣ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل

٣ : ٦٢ و ٨٢ .

(٤) يوسف : ٨٨ .

الفصل الثاني : في بيان اختلاف ظواهر الآيات والروايات ، ويشير فيه إلى

آيات من القرآن المجيد نحو قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ * ومن

(٥) الزلزلة : ٧-٨ .

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ^(٥) فترى الوعيدية استندوا إلى ظاهر الآية الكريمة

وانكروا العفو عن المعاصي ، والمثبتون الرؤية في الآخرة يستندون إلى قوله

(٦) القيامة : ٢٢-٢٣ .

تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ^(٦) ، وهكذا نرى من نسب

المعصية إلى الأنبياء ﷺ ومن قال بالتجسيم ومن قال برفع المؤاخذه بالكلية

ومن أسند جميع الأفعال إلى الله سبحانه ومن أباح جميع الأشياء . وخلاصة

القول أن كل من أراد العناد والعصبية فله دليل بحسب الظاهر يتشبه به من آية

قرآنية أو سنة محمدية ، ويكون صاحب مذهب ورأي ويباحث الفضلاء وينظر

أساطين العلماء ما لم يكن له حاجب من تقوى الله .

الفصل الثالث : في بيان الميزان الذي يرجع إليه إذا تشابهت الأمور ، وهو ما

عليه الصحابة والتابعون وما أجمع عليه المسلمون ثم يستشهد بقوله تعالى :

(٧) النساء : ١١٥ .

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ﴾ ^(٧) وبقوله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ

(٨) الأحزاب : ٢٣ .

اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ^(٨) . وبعد ذلك يذكر أحاديث

كثيرة منها : عن جابر قال : رأيت النبي ﷺ في حجة يخطب فسمعتة يقول : « يا أيها

الناس إنني تركت فيكم ما إن اخذتم به لن تضلوا بعدي ، كتاب الله وعترتي أهل

بيتي » ^(٩) . وما ورد عن عمر عن النبي ﷺ : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم

(٩) سنن الترمذي ٦٢١٠٥

ح ٣٧٨٦

اهتديتم » ^(١٠) .

(١٠) الطوائف : ٥٢٣ .

ومقتضى ذلك أنه من اللازم الرجوع إلى سيرة الصحابة ، وسيوضح أن جميع

ما لم ينكر من الأفعال الصادرة في زمن الصحابة فهو موافق لرضاهم وإلا

لأنكروه . وفي نهاية الفصل يؤكد على نكتة أن الأدلة فيها عام وخاص وناسخ

ومنسوخ ومجمل ومبين ومطلق ومقيّد وقطعي الصدور وظني الدلالة إلى غير

ذلك ، فإذا تعارضت الأدلة فلا بدّ من النظر إلى المرجحات من جهة السند أو

الدلالة ، وإذا فقدت المرجحات فلا يبقى مدار إلا على خيرة الصحابة وطريقتهم

والنظر إلى ما هم عليه صاغراً عن كابر .

وأما المقاصد فثمانية :

المقصد الأول : في تحقيق أقسام الكفر

يتعرّض فيه إلى أنّ الكفر له أقسام كثيرة ويذكر عشرة منها ؛ من قبيل كفر النفاق وكفر النعم وكفر الإنكار للضروري وكفر الهتك وكفر العناد إلى غير ذلك ، ثمّ يتعرّض إلى أنه قد يطلق على كثير من المعاصي اسم الكفر تعظيماً للذنب وتحذيراً منه ، ويستشهد بأخبار كثيرة على هذا الأمر منها : إنّ تارك الصلاة كافر^(١١) وما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ «أنّ المرء في القرآن كفر»^(١٢) .

(١١) سنن ابن ماجه: ١: ٣٤٢.

(١٢) كنز العمال ١: ٦١٦.

ج ٢٨٣٨ .

المقصد الثاني : في تحقيق معنى العبادة

يتعرّض فيه ﷺ إلى أنّ لفظ العبد والعبادة قد يطلق على مطلق المطيع والطاعة ، مثل ما ورد من أنّ العاصي عبد الشيطان ، وأنّ الانسان عبد الشهوات ، وبعد ذلك يتعرّض إلى سجود الملائكة لآدم وسجود يعقوب ليوסף ، وتقبيل الناس الحجر الأسود ، وأنّ كلّ هذه الأمور ليست عبادة لغير الله ، بل أنّهم لم يعبدوا سوى من أمرهم بذلك . ثمّ يشير إلى أنّ السجود والخضوع لعروض بعض الأسباب لا ينافي الإخلاص لربّ الأرباب ؛ فلو سجد من رأى ميتاً أو رأى شيئاً عجباً ذاكراً لعظمة الله كما يصنعه بعض العارفين لم يكن به بأس . ثمّ يتطرّق إلى أنّ عبادة الأصنام وبعض الصالحين مع نهى الأنبياء والمرسلين محض عناد وخلاف على ربّ العباد ، وأنّ العبادة تختلف باختلاف النيات ، فمن قصد حقيقة العبادة اختراعاً وإبتداعاً ومخالفة لأمر الله كان كافراً سواء قصد القرب إلى الله زلفى أو لا . وبعد ذلك يستشهد بآيات منه قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب مخاطبين له : ﴿ يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ﴾^(١٣) . وبأخبار نحو ما نقله عن الاحتجاج في حديث طويل عن

(١٣) هود: ٨٧.

النبي ﷺ «أنه أقبل على مشركي العرب فقال لهم: وأنتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا: نتقرب بها إلى الله زلفى. فقال: أوهي سامعة مطيعة عابدة لربها حتى تتقربوا بها إلى الله زلفى؟ قالوا: لا. قال: أما أنتم نحتموها بأيديكم؟ قالوا: نعم. قال: فلئن تعبدكم هي أخرى من أن تعبدوها، إذ لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم وعواقبكم، والحكيم فيما يكلفكم» (١٤).

(١٤) الاحـتـاج ١ : ٢٢

ط . النجف .

وفي نهاية هذا المقصد يلفت النظر إلى أن ألفاظ العبادة والدعاء والصلاة والصوم وما شاكل ذلك لها معانٍ جديدة غير معانيها اللغوية الأولية وأنها نقلت عن تلك المعاني، ولذلك لا يراد بلفظ العبادة والدعاء معناهما الأولي، ومن ثم لا يراد في لحوق الشرك بهما المعنى القديم، والآل لم يكفر الناس من يوم آدم إلى يومنا هذا، لأن العبادة بمعنى الطاعة والدعاء بمعنى النداء والاستغاثة للمخلوق لا يخلو منها أحد، ومن أطوع من العبد لسيده والزوجة لزوجها والرعية لملوكلهم. فعلم أنه لا يراد بهذه المذكورات المعاني السابقة بل تعين إرادة المعاني الجديدة.

المقصد الثالث: في الذبح لغير الله

يتعرض ﷺ في هذا المقصد إلى أنه لا يشك أحد من المسلمين في أن من ذبح لغير الله ذبح العبادة كما يذبح أهل الأصنام لأصنامهم حتى يذكروا على الذبائح أسماءهم ويهللون بها لغير الله خارج عن ربقة المسلمين، سواء اعتقدوا بالهيتهم أو قصدوا أن يقرّبوهم زلفى، لأن ذلك من عبادة الله - بحسب اعتقادهم -، أما الذبح عن الأنبياء والأوصياء والمؤمنين ليصل الثواب إليهم ففي ذلك أجر عظيم. ثم يستشهد على ذلك بالأخبار التي تناسب المقام من قبيل ما روي عن عائشة أن النبي ﷺ قال عند الذبح: «اللهم تقبل من محمّد وآل محمّد وأقته» (١٥). وما ورد عن علي عليه السلام «أن النبي ﷺ أوصاني أن أضحي عنه» (١٦).

المقصد الرابع: في النذر لغير الله

يشير ﷺ في هذا المقصد إلى أن النذر لغير الله هو صدقة يهدى ثوابها إلى

(١٥) سنن أبي داود ٣ : ٩٤

برقم: ٢٧٩٢.

(١٦) مسند احمد بن

حنبل ١٥٠ : ١.

أولياء الله ، وإلى أن اختيار بعض الأمكنة للنذر طلباً لشرف المكان حتى يتضاعف ثواب العبادة هو الاستفادة من الأخبار التي منها :

ما رواه ثابت بن الضحّاك عن النبي ﷺ أن رجلاً سأله أنه نذر أن يذبح ببؤانة قال : « هل كان فيها وثن يعبد ؟ قال : لا ، قال : فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ فقال : لا ، فقال : في بنذرك » (١٧) .

(١٧) مسند احمد بن

حنبل ٣٧٦:٥ و٦٤:٤ .

ثم بعد ذلك يؤكد ﷺ على أنه لم نجد أحداً في بلاد الإسلام يقصد بنذره غير وجه الملك الديان .

المقصد الخامس : في القسم بغير الله

تعرض فيه إلى أنه لا يرتاب مسلم بأن القسم بغير الله على وجه إرادة صاحب العظمة والكبرياء والملكوت باعث إلى الخروج عن ربة المسلمين ، وأما إرادة مجرد التأكيد فلا يلزم منه كفر ولا شرك بالله ؛ إذ ليس مدار الكفر على مجرد العبارات . وبعد ذلك يسرد أحاديث متواترة دلت على جواز ذلك منها :
عنه ﷺ : « أفلح الرجل وأبيه والله » (١٨) .

(١٨) صحيح مسلم ٤٢:١ .

المقصد السادس : في الاستغاثة

ذكر فيه ﷺ أن المستغيث بالمخلوق إن أراد طلب الدعاء والشفاعة من المستغاث به فلا بأس به ، وإن أراد استناد الأمور بالاستقلال إليه فالمسلمون منه براء . وبعد ذلك ذكر أخباراً دالة على ذلك منها : حديث الأعرابي أن النبي ﷺ علمه قول : « يا محمد إني توجهت بك إلى الله » (١٩) .

(١٩) سنن الترمذي ٥٣١:٥

برقم : ٣٥٧٨ .

وما رواه البيهقي في خبر صحيح أنه في أيام عمر جاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال : « يا محمد استسقي لأمتك ، فسقوا » (٢٠) .

(٢٠) صحيح البخاري ٢٠٩:٤ .

المقصد السابع : في التوسل

أشار فيه إلى أنه لا ريب في أن التوسل من سنن المرسلين وسيرة السلف

الصالحين . وبعد ذلك سرد اخباراً دلت عليه ، منها : ما نقل أن آدم لما اقتترف الخطيئة قال : « يا ربّي أسألك بحقّ محمّد ﷺ لما غفرت لي ، فقال : يا آدم كيف عرفته ؟ قال : لأنك لما خلقتني نظرت إلى العرش فوجدت مكتوباً فيه : لا إله إلا الله محمّد رسول الله . فرأيت اسمه مقروناً مع اسمك ، فعرفته أحبّ الخلق إليك »^(٢١) . وما ورد عن ابن عباس أن عمر قال : « اللهم انا نستسقيك بعمّ نبينا ونستشفع بشيبتة »^(٢٢) .

(٢١) مستدرک الحاكم ٢: ٦١٥.

(٢٢) صحيح البخاري ٢: ١٦.

المقصد الثامن : في الشفاعة

تعرّض فيه إلى أنّ الشفاعة في الحقيقة قسم من الدعاء والرجاء وإنّها ليست من خواص الأنبياء والأوصياء ، وإنّه ليس على الله قبول الشفاعة ، وإنّما ذلك من ألطافه ومننه ولا شفاعة إلّا بإذنه ورضاه . ثمّ يستند إلى أحاديث متواترة دلت على مرامه ، منها :

روى محمّد بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنّه قال : « من سأل الله لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة »^(٢٣) وما ورد عن ابن عباس عن النبي ﷺ : « أنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر »^(٢٤) وما دلّ على أنّه ﷺ قال : « من زارني كنت شفيعاً له »^(٢٥) . وبعد ذلك يؤكّد ﷺ على أنّه لا فرق في الشفاعة بين الأحياء والأموات لأنّ الأموات يسمعون وينطقون ، لكن الناس لا يسمعون كلامهم .

(٢٣) صحيح مسلم ١: ٢٨٨.

٢٢٩ برقم ٢٨٤:١

(٢٤) صحيح مسلم ٤: ١٧٨٢.

٢٢٧٨:٣ برقم

(٢٥) كنز العمال ٥: ١٢٥.

خاتمة الكتاب :

وهي تشتمل على أبواب :

الباب الأول : في حياة الأموات بعد موتهم ، وفيه فصول :

الفصل الأول : في حياة النبي ﷺ بعد موته وإنّه يسمع الكلام ويردّ الجواب كما في حياته ، غير أنّ الله حبس سمع الناس إلّا قليلاً من الخواص ، ثم يذكر الأخبار التي تناسب المقام ، منها : عن النبي ﷺ أنّه قال : « علمي بعد مماتي كعلمي في حياتي »^(٢٦) . وما ورد عن أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) قالت : « رأيت النبي ﷺ

(٢٦) كنز العمال ١: ٥٠٧.

٢٢٤٢:٢ برقم

والتراب على شيبته فسأله فقال : شهدت قتل الحسين عليه السلام ^(٢٧) . وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى علي عند قبري وكَّلَ الله به ملكاً يبلغني » ^(٢٨) .

الفصل الثاني : في حياة سائر الشهداء والأنبياء : يذكر فيه أن الأرض لا تأكل لحومهم وأنهم أحياء شهداء ، ثم يستشهد بروايات من قبيل ما ورد عن أنس عن النبي ﷺ أنه « مرّ بقتلى بدر فكلمهم فقال له أصحابه : كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟ فقال : لستم أسمع منهم لكنهم لا يتكلمون » ^(٢٩) . وما ورد عن النبي ﷺ : « أن الأنبياء أحياء في قبورهم » ^(٣٠) . وبعد ذلك يختم كلامه ﷺ بقوله تعالى : ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ^(٣١) .

الفصل الثالث : في حياة سائر الموتى : سرد فيه أحاديث كثيرة دلّت على أن الموتى يسمعون ويتكلمون ، منها : « ما من أحدٍ يمرّ بقبر رجل يعرفه ^(٣٢) إلا عرفه وردّ عليه السلام » ^(٣٣) . ثم يتطرّق إلى ما ورد في السؤال عن الميت في القبر من قبيل ، ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من يوم يمضي إلا وملك يهتف : يا أهل القبور من تغبطون اليوم ؟ فيقولون : نغبط أهل المساجد يصّلون في مساجدهم ويصومون ويصدّقون ولا نقدر نصلي ونصوم ونتصدق » ^(٣٤) . وبعد ذلك يستنتج أنه يصحّ لنا أن نخاطبهم مخاطبة الأحياء ونلتمس دعاءهم ونقسم عليهم أن يكونوا شفعاء لنا في الدنيا والآخرة .

الباب الثاني : في زيارة القبور وفيه فصلان :

الفصل الأول : في زيارة النبي ﷺ : يذكر فيه أخباراً كثيرة دلّت على فضيلة زيارته ﷺ من قبيل : « من زار قبري وجبت له شفاعتي » ^(٣٥) . وما دلّ على استحباب التعظيم وأن حرمة الأموات كحرمة الأحياء .

الفصل الثاني : في زيارة سائر القبور : يسرد فيه أحاديث دلّت على رجحان زيارتها من قبيل ما ورد عن بريدة أن النبي ﷺ كان إذا خرج إلى المقابر قال : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين » ^(٣٦) . وما روي من أن المسلم ميتاً كحرّمته حياً ^(٣٧) .

(٢٩) بحار الأنوار ١٩ : ٣٤٢ .

(٣٠) كنز العمال ١١ :

٤٧٤ - ٤٧٥ .

(٣١) آل عمران : ١٦٩ .

(٣٢) وفي رواية أخرى :

« ... فيسلم عليه ... » .

(٣٣) كنز العمال ١٥ : ٦٥٧ .

(٣٤) كنز العمال ١٥ : ٦٣٥ .

(٣٥) سنن البيهقي ٥ : ٢٤٥ .

(٣٦) صحيح مسلم ٢ : ٦٧١ .

برقم ٩٧٥ : ١٠٤ .

(٣٧) مسند احمد بن حنبل

٤٤٦ : ١ .

الباب الثالث : في التبرك بالقبور ونحوها: ذكر فيه اختلاف علماء العامة في جواز التبرك بالقبور : فمنهم من أجازته على الكراهية ، ويظهر من بعضهم استحبابه . وقد استند^(١) إلى أحاديث دلت على ذلك ، منها ما نقله عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب العلل والسؤالات قال : « سألت أبي عن الرجل يمَس منبر رسول الله ﷺ يتبرك بمسّه وتقبيله ويفعل بالقبور ذلك رجاء ثواب الله ، فقال : لا بأس به » (٣٨) .

(٣٨) وفاء الوفاء ٤٤٤:٢.

ثم بعد ذلك يؤكد^(٢) أن التقبيل للمحبة من قبيل تقبيل الوالدة ولدها : فلو قبل بعضهم جدران بعض أو ثياب بعض أو مكان بعض حباً وإرادة لا تعظيماً ولا عبادة فليس فيه بأس . ثم يقول^(٣) : « وإني منذ ثلاثين حجة انظر في حال طوائف المسلمين محقيهم ومبطلهم فلم أجد أحداً يعظم كتاباً أو نبياً أو مكاناً أو عبداً صالحاً من غير قصد قرب من الله أو انتسابه إليه ، فقد ظهر أن هذا كله من باب طاعة الله وتعظيمه » .

الباب الرابع : في بناء قبور الأنبياء والأولياء وتعميرها

يشير المصنف^(٤) في هذا الباب إلى أن أصل وضع البناء لبقاء آثارهم ليس فيه بأس أبداً ، وإنه لو تركت العلامات ما أمكن التوصل إلى زيارة أكثر الأموات إلا نادراً ، ثم يضيف أن تعلية القبور تعظيم لشعائر الله وهي البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وبعد ذلك يستشهد بروايات دلت على مطلوبية الزينة وتعمير القبور وتعاهدها ، منها ما رواه البناني واعظ أهل الحجاز عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده الحسين عن أبيه علي^(٥) أن رسول الله ﷺ قال : « والله لتقتلن في أرض العراق وتدفن بها ، فقلت : يا رسول الله ! ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها ؟ فقال : يا أبا الحسن ! إن الله جعل قبرك وقبر ولديك بقاعاً من بقاع الجنة ، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن اليكم ، يعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرباً إلى الله تعالى ومودة منهم لرسوله . يا علي ! من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس ، ومن زار قبوركم عدل

(٣٩) بحار الأنوار ١٠٠: ١٢١.

ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه « (٣٩) .

وفي نهاية المطاف ذكر الله جواباً عما تضمنته الكتاب الذي أرسله إليه (سعود) وهو في الحقيقة ردّ كل الشبهات التي وردت في ذلك الكتاب مفصلةً وابطالها واحدة بعد واحدة.

هذه خلاصة ما تبنته الوهابية من العقائد التي خالفت الشريعة المقدسة بدلالة القرآن الكريم والسنة النبوية ، وقد رأينا كيف قام السلف من أعظم علمائنا الأبرار من أول يومهم بتفنيد تلك العقائد والاهواء ودفع جميع الشبه التي وجهتها هذه الفرقة ، بأدلة قاطعة وبراهين قاطعة . ومن أولئك الأكابر مصنف الكتاب وهو أحد الفحول من الفقهاء ومشاهير الإمامية ، حيث ردّ تلك الشبهات ببيان وافٍ يشفي العليل ويتروى منه كل ظمآن ، فشكر الله تلك الجهود العظيمة وجزاها الله خير جزاء المقرّبين ورزقهم مقاماً محموداً وأدخلهم جنات عدن .

وختاماً فاننا نشمن تصدي المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام) لتحقيق وطباعة هذا السفر القيم لأول مرة بأسلوب أنيق مزداناً بتعليقات وتخريرجات قام بها فضيلة المحقق السيد مهدي الرجائي - حفظه الله - بعد مقابلته للكتاب على النسخة الفريدة المخطوطة والمطبوعة ، أما المخطوطة فهي نسخة كاملة مصحّحة بخط النسخ ، كاتبها الشيخ محمد قاسم بن محمد بن حمزة الوليبي ، فرغ من كتابتها سنة (١٢١٠ هـ . ق) في حياة المؤلف ، وأصل النسخة محفوظ في خزانة مكتبة المرحوم آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي (رحمه الله) . وأما النسخة المطبوعة في سنة ١٣٤٣ هـ . ق فهي وإن كانت محرّفة ومغلوط فيها ، ولكن المحقق - حفظه الله - بذل وسعه وجهده في تصحيح الكتاب وتحقيقه بأحسن وجه ، فله دَرّه وعليه أجره .

فان رزقناهم عني ١٤ :

احذروا الشبهة
فانها وضعت للفقحة

فنون وآداب

قصيدة



* اخور فرج الله

[العراق]

قد أطلت على الدنى بسناها
 واستفاقت مع الرسالة طلاً
 وأريج الميلاذ يعبق في الدنيا
 والكمال انحنى يصلي إليها
 والرسول العظيم يأوي إليها
 تهب الحب للجديب فيذ حي
 فهي فوق الخلود فوق قوافي
 ألهم الله حبها كل طهر
 وجهها الصبح والضياء رداها
 يغسل الورد قلبه بنداهها
 عبيراً يفوح من بيت طه
 بخشوع مستلهماً من هداها
 أصبحت أمه وكان أباهها
 أخضر الروح مورقاً من شذاها
 الشعر تسمو على الرؤى بعلاها
 واصطفاه وكوثرأ سماها

* * *

وأتيناها نحمل النبض فجراً
 وبه وجه صدرنا وبه لون
 دموياً ممزقاً يتباهى
 عيون تورمت بقذاها

رسم الليل في محاجرها الرعب وألقى أدراكه بنقاها
 سلبت قلبنا نزيه رؤاه ضيعتنا تشتتاً في مداها
 ومشينا فما توانت ركاب عن منال المنى وعن مبتغاها

* * *

أنت يا فاطم البتول حذاء لقوافي السرى ورجع صداها
 تلهمين الركبان فورة عشق لقلوب من كربلا مبتداها
 شاطئ الدفء ضيعتنا بحار يتنأى مع المدى ميناها
 شاطئ الدفء قد أتينا وفيها يلهب الشوق في العيون بكاهها
 أوقدي للعيون منك ابتساماً كفكفي دمعها وشدي خطاها
 فستبقى القلوب تهتز جداً لمعين عذب يطفى لظاها
 وستبقى الزهراء فيض عطاء للبرايا ونرتجي قرباها

* * *

قال الرسول الكريم (ص) :

يَا فَاطِمَةَ
 إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
 يَفْضِلُ لِفَضْلِكَ فَيَرْضَى لِرِضَاكِ

دخائر المعقبين للطبري : ٣٩

الدور السياسي للإمام الصادق عليه السلام

٢

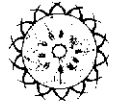
* الدكتور

أحمد عبدالمجيد حمود

(أستراليا)

موقف الإمام عليه السلام من ثورة محمد ذي النفس الزكية :

كانت ثورة محمد بن عبدالله بن الحسن إحدى الأحداث الخطيرة التي عاصرها الإمام الصادق عليه السلام ، والتي قامت في وجه المنصور بعد أخيه أبي العباس السفاح . ولقد جهد المنصور في القبض على محمد بن عبدالله وعلى أخيه إبراهيم ، فلما أعيته الحيلة أخذ ينكل بالعلويين ، وحملهم إلى الكوفة وحبسهم في سراديب تحت الأرض حتى مات أكثرهم^(١) .



وأعلن محمد ثورته في المدينة سنة ١٤٥هـ فاستقطبت أكبر عدد من رجالات العلويين ، وحظيت بتأييد واسع من فقهاء المسلمين ، حتى أن الإمام مالك بن أنس أفتى لأهل المدينة بالخروج معه وخلع بيعة المنصور لأنها بيعة إكراه ، وليس على مكره يمين^(٢) .

أما الإمام الصادق عليه السلام فقد رفض أن يعطي البيعة لمحمد بن عبدالله ، لأنه قام بثورته على أساس أنه صاحب الحق ، ودعا الناس إلى نفسه^(٣) . مع أن بني الحسن كانوا يعرفون أن الإمام الصادق عليه السلام كان هو صاحب الحق . فمبايعة الإمام له تصطدم مع أحقيته في الخلافة دون غيره من سائر الناس . ولقد حاول عبدالله أن يستميل الإمام الصادق عليه السلام إلى ولده ، لما للإمام من مركز علمي

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٥١٧ - ٥٤٩ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥ : ١٤٢ - ١٤٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٦٠ . والاصفهاني ، مقاتل الطالبين : ٣٤٩ . والدينوري ، الأخبار الطوال : ٣٨١ . والمقدسي ، البدء والتاريخ ٦ : ٨٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٥٥٨ . والكليني ، أصول الكافي ١ : ٣٦٢ . والذهبي ، دول الإسلام : ٨٧ . والمجلسي ، بحار الأنوار ١١ : ٢٨٣ .

واجتماعي ، ولتقدّمه بالفضل على غيره فقال له : « لقد علمت - جعلت فداك - أن السنّ لي عليك ، وأن في قومك من هو أسنّ منك ، ولكن الله قد قدّم لك فضلاً ليس هو لأحد من قومك ، وقد جئتكم معتمداً لما أعلم من برك ، وأعلم أنّك إن أحببتي لم يتخلف عني أحد من أصحابك ، ولم يختلف عليّ اثنان من قريش ولا غيرهم . فقال له الإمام : إنّك تجد غيري أطوع لك مني ، ولا حاجة لك فيّ ، فوالله أنّك لتعلم أنّي أريد البداية أو أهمّ بها فأثقل عنها ، وأريد الحجّ فما أدركه إلّا بعد كدّ وتعبٍ ومشقة على نفسي ، فاطلب غيري وسله ذلك ، ولا تعلمهم أنّك جئتني . فقال عبد الله : إنّ الناس مادون أعناقهم إليك ، وإن أحببتي لم يتخلف عني أحد ، ولك أن لا تكلف قتالاً ولا مكروهاً » (٤) .

(٤) الكليني، أصول الكافي ١ :

٣٥٩ . والمجلسي، بحار الأنوار ١١ : ٢٨٠ .

وتذهب جهود عبدالله بن الحسن سديّ في محاولة إقناع الإمام الصادق عليه السلام بأخذ البيعة لولده محمد . فلقد نصحه الإمام بعدم التعرّض لهذا الأمر ، وحذّره مغبّته ، بل وأكثر من ذلك أظهر له حبه وعطفه وصدق نيّته تجاهه : « يا ابن عمّ! إنّني أعيدك بالله من التعرّض لهذا الأمر الذي أمسيت فيه ، وإنّي خائف عليك أن يُكسبك شراً . فقال له عبدالله : بل يُغني الله عنك ، ولتعودنّ أو ليفيء الله بك وبغيرك ، وما أردت بهذا إلّا امتناع غيرك ، وأن تكون ذريعتهم إلى ذلك . فقال الإمام : الله يعلم ، ما أريد إلّا نصحك ورشدك وما عليّ إلّا الجهد » (٥) .

(٥) الكليني، أصول الكافي ١ :

٣٥٩ و ٣٦٠ . والمجلسي، بحار الأنوار ١١ : ٢٨٠ - ٢٨٢ .

وهناك من يذهب إلى القول بأنّ الإمام الصادق امتنع عن تأييد محمد لأنّ ثورته فتنة ، والإمام لا يؤيّد الفتن ، مستنداً إلى قول الإمام الصادق عليه السلام : « إنّها فتنة يُقتل فيها محمّد عند بيت رومي ، ويقتل أخوه بالعراق وحوافر فرسه في الماء » (٦) .

(٦) تاريخ الطبري ٧ : ٦٠٠ و ٦٠١ . ومحمد أبو زهرة ، الإمام الصادق : ٢٥ .

ولما لم يُفلح محمّد بن عبدالله في إحراز تأييد الإمام وبيعته ، تعرّض الإمام الصادق عليه السلام لأقسى مواجهة من بني عمّه حتّى جيء به وأوقف بين يدي محمد ، فقال له عيسى بن زيد : أسلم تسلم . فقال الإمام : أحدث نبوة بعد محمد عليه السلام ؟ فقال له محمّد : لا ، ولكن بايع تأمن على نفسك ومالك وولدك ، ولا تُكلفنّ حرباً . فكان جواب الإمام له الرفض وعدم التأييد . فقال له : « والله لتبايعني طائعاً أو مكرهاً ولا تُحمد في بيعتك » . فلما أبى عليه ورفض مبايعته أمر به إلى السجن (٧) . مع أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يشفق عليه ويرقّ له لأنّه يدعى أمراً ليس له (٨) .

(٧) الكليني، أصول الكافي ١ :

٣٦٣ .

(٨) الكليني، روضة الكافي :

٣٢٣ . والمجلسي، بحار الأنوار ١١ : ٢٧٢ .

إنَّ موقف الإمام الصادق عليه السلام إزاء الثورات العلوية كان يختلف باختلاف المضمون الذي تتحرَّك على أساسه ، وموقفها من مبدأ انحصار الإمامة والخلافة بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، والذي يمثِّل وجهة نظر الإمام باعتباره أحدهم . فعندما يصطدم مضمون الثورة مع المبدأ المذكور ، فلا مناص من تناقض المواقف واصطدامها ، كما هو الحال بالنسبة لثورة محمَّد وأخيه إبراهيم عليهما السلام .^(٩)

وعلى رغم تناقض الموقف تجاه الثورة ما بين الإمام الصادق وبني الحسن ، إلَّا أنَّ الكارثة التي ألَّمت ببني الحسن أخذت من الإمام مأخذاً عظيماً ، فامتلاً قلبه بالحزن والأسى وفاضت عيناه وجرت دموعه على لحيته ، وهو ينظر إلى بني الحسن بعد أن قبض عليهم المنصور وسيَّره من المدينة ، فقال : « ... والله لا تحفظ لله حرمة بعد هذا »^(١٠) ، والله ما وقت الانتصار ولا أبناء الانتصار لرسول الله بما أعطوه من البيعة على العقبة »^(١١) .

ومما يدلُّ على أن الجماعة المحمولين كانوا معذورين ومظلومين عند الإمام الصادق عليه السلام هو بكاءؤه عليهم حتَّى علا صوته عندما اتَّصل به خبر مصارعهم^(١٢) .

وبالرغم من عدم رضا الإمام الصادق عليه السلام عن ثورة محمد وأخيه ، إلَّا أنَّه سمح لابنيه موسى وعبدالله بالانضمام للثورة ، وأرجعهما بعد أن أعفاهما محمد بن عبدالله وقال لهما : « أرجعا فما كنت أبخل بنفسي وبكما عنه »^(١٣) .

إنَّ هذه المواقف تدلُّ على أنَّ الإمام الصادق عليه السلام لم يمتنع عن نصرته محمد لرفضه الثورة ، بل لأنَّه يراه غير كفء ، أو على الأقلَّ يوجد من هو أكفأ منه .

موقف العباسيين من الإمام عليه السلام :

ولئن استطاع العباسيون تفويض ملك بني مروان والوصول إلى السلطة باستغلالهم للحركات الشيعية والركوب على موجات مذهب الثوري ، والحيلولة دون نجاح الحسينيين ، فإنَّهم لم يفلحوا في سياسة الإرهاب والإرهاب مع الإمام الصادق ، ولم يثنه حملهم إيَّاه إلى العراق عدَّة مرَّات^(١٤) . بل خدموا بذلك إمامته ، وأظهروا أمر أهل البيت أكثر مما لو تركوه في مكانه^(١٥) . وما كان حتَّى الشيعة

(٩) محمد جواد فضل الله ،

الإمام الصادق : ٢٣١ .

(١٠) تاريخ الطبري ٥٤٠ : ٧ .

والسعودي ، مروج الذهب ٣ : ٢٩٩ .

(١١) الاصفهاني ، مقاتل

الطالبين : ١٩٦ . والصدوق ،

عيون أخبار الرضا ١ : ١١١ .

والمجلسي ، بحار الأنوار ١١ : ٣٠٥ .

(١٢) المجلسي ، بحار الأنوار

١١ : ٢٩٩ - ٣٠٢ .

(١٣) الاصفهاني ، مقاتل

الطالبين : ٢٢٣ .

(١٤) يرى محمد أبو زهرة أنَّ

أول زيارة للإمام

الصادق عليه السلام في عهد أبي

العباس السفاح كانت تكريماً

وإجلالاً للإمام ، وذلك لأنَّ

الخلافاً بين العلويين

والعباسيين لم يكن قد ثار

واستفحل (محمد أبو زهرة ،

الإمام الصادق : ٦١) .

(١٥) محمد الحسين المظفر ،

الإمام الصادق ١ : ١٢٦ .

يعرفون شأن الإمام الصادق وقدره وعلمه وكرامته مثلما عرفوها عنه بعد مجيئه. لأن التقية وعداء السلطة كانت حواجز دون نشر فضائله. وكان أكثرهم لا يعلمون موضعه على اليقين^(١٦). وقد وردت عبارات عن الذين التقوا به تدل على مقدار تأثرهم ببلقائه. فقد قال عمرو بن أبي المقدام: «كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين»^(١٧). وقال آخر: «رؤيته تذكّر بالآخرة، واستماع حديثه يزهد في الدنيا، والاقتداء بهديه يورث الجنة، ونور قسماته شاهد على أنه من سلالة النبوة»^(١٨).

ولم يخف أبو جعفر المنصور من شيء خوفه من الإمام الصادق عليه السلام لذويوع اسمه في أرجاء الدولة الإسلامية، وعلو مكانته العلمية، وموقعه في نفوس الأمة، لا سيما بين فقهاء وأهل العلم منهم. الأمر الذي دعا المنصور إلى استدعاء الإمام الصادق عليه السلام إلى العراق عدة مرات ليتأكد من عدم قيادته للحركات السرية المناهضة للحكم.

ولما كان الإمام الصادق عليه السلام يفرض سياسة المقاطعة على الحكم العباسي، أدرك المنصور أن ذلك سيؤدي إلى إضعاف مركزه، وسلب الصفة الشرعية التي كان يضيفها على نفسه، مما قد يؤدي إلى التخلص منه، ولذلك عمد إلى استمالة الإمام الصادق عليه السلام فكتب إليه: «لم لا تغشانا كما يغشانا الناس؟

فكتب الإمام الصادق إليه: ليس لنا من أمر الدنيا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنك، ولا تراها نعمة فنعزيك.

فكتب إليه المنصور: تصحبنا لتنصحننا.

فأجاب الإمام عليه السلام: من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك.

فقال المنصور: والله لقد مئز عندي منازل الناس من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة، وإنه ممن يريد الآخرة لا الدنيا»^(١٩).

وقد بين له الإمام أنه لا يمكن أن يكون له ناصراً ومعيناً إلا إذا أطاع الله، وأمر بالعدل والمعروف والإحسان، وأمضى أحكام القرآن^(٢٠). ولم يخف على الإمام قصد المنصور عندما أراد أن يصطفيه ويجعله من أتباعه ليعلم الناس أنه الخليفة غير مدافع، فتقطع بذلك الشيعة عن مراجعة الإمام، ويظهر لهم أنه تبع

(١٦) محمد الحسين المظفر.

الإمام الصادق ١: ٢٦٦.

(١٧) ابن انجوزي، صفوة

الصفوة ١: ٩٤.

(١٨) محمد أبو زهرة، الإمام

الصادق: ٦٦.

(١٩) الاربلي، كشف الغمّة في

معرفة الأئمة ٢: ٤٢٧.

والمجلسي، بحار الأنوار ١١:

١٨٥.

(٢٠) الصدوق، أمالي

الصدوق: ٤٩٠.

للمنصور (٢١).

وكذلك عجز المنصور عن اصطفاء خواص الإمام الصادق عليه السلام، كما جرى له مع سفيان الثوري عندما لقيه في الطواف وسفيان لا يعرفه، فضرب بيده على عاتقه وقال: أتعرفني؟ قال سفيان: لا، ولكنك قبضت عليّ قبضة جبار، قال: عظمي يا أبا عبد الله. قال: وما علمتُ فيما عملتُ فأعظك فيما جهلتُ؟ قال: فما يمنعك أن تأتينا؟ قال: إن الله نهى عنكم فقال تعالى: ﴿لَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾. فمسح أبو جعفر يده به، ثم التفت إلى أصحابه فقال: ألقينا الحب إلى العلماء فلقطوا، إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا فراراً (٢٢).

ومع أن الإمام الصادق عليه السلام كان حريصاً على أن لا يكون منه ما يثير حفيظة المنصور، إلا أن المنصور كان يصفه بالشجا المعترض في حلق الخلفاء (٢٣). وحاول قتله على رغم اعترافه بأنه لا يجوز نفيه ولا يحل قتله (٢٤).

ولما عمد إلى التخلص منه حاول محمد بن عبيد الله الاسكندري صرفه عن رأيه بقوله: «إنه رجل أنحلته العبادة، واشتغل بالله عن طلب الملك والخلافة». فأجابه المنصور: «يا محمد! وقد علمت أنك تقول به وبإمامته، ولكن الملك عقيم» (٢٥).

ولقد كان أمر الإمام الصادق عليه السلام على المنصور أعظم من أمر عبد الله بن الحسن. يظهر ذلك من خلال الحوار الذي جرى بين الإمام والمنصور حين استقدمه الأخير وهو غضبان، فعرض عليه ما يقوله أهل الحجاز والناس فيه من أنه «خير الدهر وناموسه، وحجة المعبود وترجمانه، وعيبة علمه، وميزان قسطه، ومصابحه الذي يقطع به الطالب عرض الظلمة إلى النور، وأن الله لا يقبل من عامل جهل حذاه في الدنيا عملاً، ولا يرفع له يوم القيامة وزناً».

ثم قال له: فنسبوك إلى غير حدك، وقالوا فيك ما ليس فيك.

فقال الإمام الصادق عليه السلام: «أنا فرع من فروع الزينونة، وقنديل من قناديل بيت النبوة، وأديب السفرة، وربيب الكرام البزرة، ومصباح من مصابيح المشكاة التي فيها نور النور، وصفو الكلمة الباقية في عقب المصطفين إلى يوم الحشر».

فالتفت المنصور إلى جلسائه فقال: «هذا قد أحالني على بحر موج لا يدرك

(٢١) محمد الحسين المظفر،

الإمام الصادق ١: ١١٨.

(٢٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد

١٠٩: ٣.

(٢٣) أمالي الصدوق: ٤٩٠.

والمجلسي، بحار الأنوار: ١١.

١٦٧.

(٢٤) المجلسي، بحار الأنوار

١١: ١٠٢.

(٢٥) ابن طاووس، مهج

الدعوات: ٣٠١. والمجلسي،

بحار الأنوار ١١: ٢٠٢.

طرفه ولا يُبلّغ عمقه ، يحار فيه العلماء ، ويفرق فيه السبحاء ، ويضيق بالسباح عرض الفضاء ، هذا الشجا المعترض في حلق الخلفاء ، الذي لا يجوز نفيه ، ولا يحلّ قتله ، ولولا ما يجمعني وإيّاه شجرة طاب أصلها ، ويسق فرعها ، وعذب ثمرها ، وبوركت في الذرّ وقُدّست في الزبرّ ، لكان منّي إليه ما لا يحمد في العواقب ، لما يبلغني من شدّة عيبه لنا وسوء القول فينا ... » (٢٦).

ويستنبط من هذا الموقف عدّة أمور منها :

١ - أنّ المنصور يريد أن لا يظهر الإمام الصادق عليه السلام بمظهر الإمامة . لأنّ العباسيين وصلوا إلى الحكم باسم الإمامة والخلافة ، وإظهار دعوة أهل البيت (٢٧) . وهو يعلم أنّ الإمام الصادق لن يجبهه بالردّ حذر سطوته .

٢ - وقع الإمام الصادق عليه السلام بين موقفين حرجين ، فإنّ جارئ المنصور في قوله فقد أبطل إمامته - وهو الإمام بالنصّ - وإنّ عارضه لا يأمن بطشه ، ولذلك أجابه الإمام بكلمات مجملة لا تصرّح بإمامته ، ولا تبطل قول الناس فيه .

٣ - إن سكوت الإمام الصادق عليه السلام وعدم إبطاله قول الناس فيه برهان على إمامته على عهد المنصور ، ولو كان قول الناس باطلاً لأنكره الإمام عليه السلام .

إنّ القول بإمامة الإمام الصادق عليه السلام وخشية المنصور من اتّساع نفوذه دفعه لاستدعاء الإمام عليه السلام عدّة مرّات . وقد استدعاه مرّة إلى العراق ليمثل بين يديه ، فرفض الإمام دعوته ، فأمر المنصور والي المدينة أن يحرق دار الإمام عليه السلام ، ولكن الإمام استطاع أن ينجو من النّار ويتخطّأها وهو يقول : « أنا ابن أعراق الثرى * ، أنا ابن إبراهيم الخليل » (٢٨) .

وبعد مقتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بباخرى * . أمر المنصور بإحضار العلويين إلى الكوفة ، فمكثوا فيها أشهراً يتوقّعون القتل ثم أُدخلوا على المنصور ، وقد أُدخل عليه الإمام الصادق عليه السلام والحسين بن زيد ، فتوجّه المنصور للإمام يسأله عن معلومات قدّمها له عيونه من أنّ الإمام يعلم الغيب ويجبى إليه الخراج ، متهدّداً العلويين بتلك التقارير .

فقال له الامام عليه السلام : « أنّ سليمان أعطي فشكر ، وأنّ أيوب ابتلي فصبر ، وأنّ يوسف

(٢٦) أمالي الصدوق : ٤٩٠

و ٤٩١ . والمجلسي ، بحار

الأنوار : ١١ و ١٦٧ و ١٦٨ .

(٢٧) تاريخ الطبري : ٧ : ٤٢٥ -

٤٣١ . والدينوري ، الأخبار

الطوال : ٣٧٨ . والمقدسي ،

البدء والتاريخ : ٦ : ٥٩ .

والشهرستاني ، الملل والنحل

٥١ : ١ .

(٢٨) ابن شهر آشوب ، مناقب

آل أبي طالب : ٤ : ٢٣٦ .

والمجلسي ، بحار الأنوار : ١١ :

١٣٦ .

(*) أعراق الثرى : كناية عن

اسماعيل عليه السلام ، ولعله كني

بذلك لأنّ أولاده انتشروا في

البراري . (راجع : المجلسي ،

بحار الأنوار : ١١ : ١٣٦) .

(*) باخرى : موضع بين

الكوفة وواسط ، وهو إلى

الكوفة أقرب .

ظُلِمَ فَعَفِرَ».

فتبسّم المنصور وقال له : مثلك فليكن زعيم قومه ، وقد عفوت عنكم ، ووهبت لكم جرم أهل البصرة (٢٩).

وقد وضع المنصور العيون والجواسيس على شيعة الإمام ، وعندما دخل عليه سفيان الثوري قال له الإمام : « أنت رجل مطلوب ، وللسلطان علينا عيون ، فأخرج عنا غير مطرود » (٣٠). وكان الإمام يشكو من شدة الرقابة التي منعت أتباعه من زيارته فيقول : « أشكو إلى الله وحدتي وتقلقي من أهل المدينة حتّى تقدموا وأراكم وأسّر بكم » (٣١).

إن شدة المراقبة على الإمام الصادق (عليه السلام) إنما هي محاولة لضرب القاعدة التي بناها في أوساط الأمة ، وضرب الجماعة التي كانت ترتبط به والتي أشرف على تعليمها ، وخطّط لسلوكها وحماية وجودها وتنمية وعيها وإمدادها بكلّ الأساليب التي تساعد على الصمود والارتفاع بها إلى مستوى الحاجة الإسلامية (٣٢). وإشعار الآخرين بالضرورة الأمنية في الابتعاد عن مثل أجواء الإمام التي تخضع للرقابة الصارمة من أجهزة السلطة الحاكمة : فلذلك كان يوصي أصحابه وقواعده بالحدز والمحافظة التامة على طابع العمل السري . « التقيّة » في كلّ عمل ينفذونه حذراً من تريبص القوى المناهضة (٣٣). وكان يؤكّد على العمل بخفاء ، حتّى أنّ الأمر كاد أن يستتبّ له لولا إخلال بعض أصحابه بالسريّة وإفشاءهم عنه ما لا يريد إفشاءه . فقال لابن النعمان : « فلا تعجلوا ، فوالله لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرّات فأذعنتموه ، فأخّره الله ، والله ما لكم سرّاً إلا وعدوكم أعلم به منكم » (٣٤).

ولقد عاب الإمام (عليه السلام) بعض أصحابه دفاعاً عنهم وحفظاً لدمائهم : فقد عبّر في رسالته إلى زرارة بن أعين التي بعثها إليه عن تلك الدوافع بقوله : « إنّي إنّما أعيبك دفاعاً منّي عنك ، فإنّ الناس والعدوّ يسارعون إلى كلّ من قرّبناه وحمدناه مكانه لإدخال الأذى في من نحبه ونقرّبه ، ويرموننا لمحبّتنا له وقرّبه ودنوّه منّا ، ويرون إدخال الأذى عليه وقتله ، ويحمدون كلّ من عبناه نحن وإن كنّا نحمد أمره... فأحسبت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ، ويكون بذلك منّا دافع شرّهم عنك . يقول الله جلّ

(٢٩) الاصفهاني، مقاتل

الطالبيين: ٣٠١.

(٣٠) ابن شهر آشوب، مناقب

آل أبي طالب ٤: ٢٤٨.

(٣١) رجال الكشي ٢: ٦٥٣.

(٣٢) السيد محمد باقر الصدر،

مسقال : دور الأئمة ، دائرة

المعارف الإسلامية ٢: ٩٤ .

(٣٣) عابد الأديب، الأئمة

الاثنا عشر: ١٧٧. ومحمد

جواد فضل الله، الإمام

الصادق: ٢٨٢.

(٣٤) الحرّاني، تحف العقول

٢٢٩.

وعز: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا﴾ (٣٥).

(٣٥) رجال الكشي ١: ٢٤٨

و٢: ٥٦٦-٦٠٠

وزاد من غضب المنصور إيواء الإمام الصادق عليه السلام الحسين بن زيد بن علي إليه لأنه شهد الثورة مع محمد وإبراهيم. ولقد كان الإمام عليه السلام على غاية من الحكمة والدراية في معاملته مع المنصور، وكان يعرف كيف يؤثر عليه وعلى سياسته التي كان ينتهجها، وقد أُنذره يوماً بزوال ملكه إن هو قتل أو أهرق دم أحد من أهل البيت. فقال له: «لم ينل أحد من أهل البيت دماً إلا سلبه الله ملكه» فغضب لذلك واستشاط، فقال له الإمام: «على رسلك، إن هذا الملك كان في آل أبي سفيان، فلما قتل يزيد حسيناً عليه السلام سلبه الله ملكه، فورثه آل مروان، فلما قتل هشام زيداً سلبه الله ملكه، فورثه مروان بن محمّد، فلما قتل مروان إبراهيم سلبه الله ملكه فأعطاكموه» فقال المنصور: صدقت (٣٦).

(٣٦) الكليني، أصول الكافي ٢

٥٦٣:

وقال المنصور يوماً للإمام الصادق عليه السلام وقد وقع على المنصور ذباب فذبه عنه، ثم وقع عليه فذبه عنه، ثم وقع عليه فذبه عنه، فقال: يا أبا عبد الله، لأي شيء خلق الله الذباب؟ فقال: «ليذلل به الجبارين» (٣٧).

(٣٧) الصدوق، علل الشرائع:

٤٩٦، وابن شهر آشوب،

مناقب آل أبي طالب ٤: ٢٥١.

كما أن مواقف الإمام الصادق عليه السلام مع ولاية المنصور لم تكن أقل شدة من مواقفه مع المنصور نفسه.

موقف الإمام عليه السلام من الحكم الجائر:

لقد حدّد الإمام الصادق موقفه من الحكمين الأموي والعباسي، فاعتبر أن الحكّام الأمويين والعباسيين ظلمة لا يجوز التعامل معهم، ولذلك ابتعد عن كل عمل يتصل بشؤون الدولة، وأمر أصحابه بتجنّب هؤلاء الحكّام وعدم الاتصال بهم، يقول: «ما أحبّ أني عقدت لهم عقدة، أو وكيت لهم وكاء... إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار، حتّى يحكم الله بين العباد» (٣٨). وكان نهيه لأصحابه لكي لا يتأثروا وينحرفوا عن جادة الحق فيمقتهم الله وينزع البركة منهم، فقد قال: «اتّقوا الله وصونوا دينكم بالورع وقووه بالتقوى والاستغناء بالله عزّ وجلّ. إنّه من خضع لصاحب سلطان ولم يخالفه على دينه طلباً لما في يده من دنياه أخمله الله عزّ

(٣٨) الكليني، الفروع من

الكافي: ٥: ٨٠٧.

وجَلَّ ومقته ووكله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه فصار إليه منه شيء نزع الله عزَّ وجلَّ البركة منه ولم يأجره على شيء يُنفقه في حجٍّ ولا عتقٍ ولا بَرٍّ»^(٣٩)، فالرعية التي تتولَّى الإمام الجائر تخرج بولايتها من نور الإسلام.

وكان الإمام الصادق عليه السلام يرى أنَّ من سلامة الدين عدم التقرب إلى الحكام الظلمة والابتعاد عنهم. وكان يشترط في بعض الحالات الاستثنائية على من يريد العمل مع السلطان أن لا يدع للسلطان مجالاً للتأثير عليه في حكمه أو قضائه أو عمله، لأنَّ الغاية من العمل هي رضا الله سبحانه، والعدل في الرعية، والرفق بهم وقضاء حوائجهم^(٤٠).

وقد ورد عنه عليه السلام في تفسير الآية: ﴿وَلَا تَزْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسْكُمُ النَّارُ﴾ قال: هو الرجل الذي يأتي السلطان فيحب بقاءه إلى أن يدخل يده إلى كيسه فيعطيه... ومن أحب بقاء الظالمين فقد أحب أن يعصى الله، وقد حمد الله نفسه على هلاك الظالمين فقال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحُكْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤١).

كما حذر أصحابه من الترافع إلى حكام الجور، ولو فعلوا ذلك لكانوا ممن تحاكموا إلى الطاغوت: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾. وذلك لأنهم يحكمون بخلاف الحق، وإذا قدم مؤمن مؤمناً في خصومة إلى قاض أو سلطان جائر فقضى عليه بغير حكم الله عزَّ وجلَّ فقد شركه في الإثم^(٤٢).

ولكي لا يرجع أصحابه في خصوماتهم إلى الطواغيت، نصب لهم قضاة من بينهم، وأمرهم بالرجوع إليهم، وتقبل ما يأمرون ويقضون به. قال: «انظروا إلى رجلٍ منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم قاضياً، فبأنِّي قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه»^(٤٣). وكان يؤكد لهم على حقِّه في الحكم بقوله: «اتقوا الحكومة، فإنَّ الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء، العادل في المسلمين كنبِّي أو وصي نبي»^(٤٤).

إنَّ الخطَّ السياسي للإمام الصادق عليه السلام كان يقوم على أساس مقاطعة الحكم الجائر، المقاطعة الهادفة إلى التغيير الجذري للحكومة القائمة. ولم يكن يرى أنَّ الظهور بالسيف، والانتصار المسلَّح الآنِي يكفي لإقامة حكم الإسلام. لأنَّ ذلك يتوقَّف على إعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام وعصمته إيماناً قاطعاً، ويعي أهدافه، ويدعم نهجه في هذا المجال، ويحرس ما يحقُّه للأمة من مكاسب. ولهذا

(٣٩) الكليني، الفروع من الكافي ٥: ١٠٥، و١٠٦.

(٤٠) الكليني، الفروع من الكافي ٥: ١٠٩.

(٤١) المصدر نفسه: ١٠٨.

(٤٢) المصدر نفسه.

والصدوق، من لا يحضره الفقيه ٣: ٣. والطوسي، التهذيب ٦: ٣١٩.

(٤٣) الكليني، فروع الكافي ٧: ٤١٣.

والصدوق، من لا يحضره الفقيه ٣: ٣. والطوسي، التهذيب ٦: ٣١٩.

(٤٤) الكليني، فروع الكافي ٧: ٤١٦.

والصدوق، من لا يحضره الفقيه ٣: ٤. والطوسي، التهذيب ٦: ٣١٧.

عندما دخل سدير الصيرفي على الإمام الصادق عليه السلام وقال له : والله ما يسعك القعود ، قال الإمام : « ولما يا سدير؟ » فقال : لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك . فسكت الإمام عنه ، وذهب سدير معه إلى ينبع ، فقال له الإمام وهو ينظر إلى قطع من الجداء : « والله يا سدير لو كان لي شيعة بعد هذه الجداء ما وسعني القعود » (٤٥) . إن منهج الإمام الصادق عليه السلام في التغيير لم يكن منهجاً تحكمه المغامرات العفوية والارتجال ، بل كان منهجاً تحكمه خطط محكمة قائمة على أسس فكرية وعقائدية موضوعية وواضحة (٤٦) .

ومن خلال الاستقصاء العام للحياة السياسية للإمام الصادق عليه السلام يُستخلص أنه مارس ضد الحكم الجائر أنماطاً فريدة في المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية والسلوكية والتربوية . فهو ثورة صامتة في سياسته ومركزه الاجتماعي ودوره الواسع الخطير في ترسيخ الفكر الرسالي والأسلوب التربوي ، وفي فرضه المقارنة على المجتمع الإسلامي بين عطاء الرسالة وعطاء الحاكمين وبين سلوكه الرسالي وسلوك الحكّام .

وإن امتناعه عن القيام المسلّح ضد الحكم إنما كان بسبب نفاذ بصيرته ومعرفته الدقيقة بالأمور ونتائجها . ولو كان يعلم أن الإقدام هو المجدي لأقدم لا يهّمه ما يعتوره من السيوف ، وما يحيط به من أسباب الموت .

قال الإمام الصادق (ع) :

مَنْ أَحَبَّ بَقَاءَ الظَّالِمِينَ
فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصِيَ اللَّهَ .

وسائل شيعية ١٦ : ١٣٤

(٤٥) الكليني، أصول الكافي ٢ : ٢٤٢ . والمجلسي، بحار الأنوار ١١ : ٣٧٢ .

(٤٦) عادل الأديب، الأئمة الاثنا عشر : ١٨١ .

من غرر حكم
أهل البيت (ع)

النصيحة

فروع حياة

* أعداد

عبدالقادر فرج الله

(العراق)

في هذا الباب نحاول أن نوجه أنظار القراء الكرام إلى مفهوم أو فكرة معينة عن طريق التركيز عليها والتجميع الموضوعي لما أثر من نصوص كلمات المعصومين (عليهم السلام) فيها ، لما تمتاز به تلك النصوص من رؤية واقعية صادقة وبيان شمولي بليغ يرتبط بمعين القرآن الكريم الذي لا ينضب ، تصديقاً لقولهم (عليهم السلام) : « شزقا أو غزبا فلن تجدا علماً صحيحاً إلا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت » .

التحرير

النصيحة نظام الدين والحكم

١ - عن تميم الداري أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : « الدين نصيحة » . قلنا : لمن ؟

قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (١) .

٢ - وعنه (عليه السلام) قال : « من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يصبح ويُمس

ناصرحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم » (٢) .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال :

٣ - « من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم ، والتعاون على

إقامة الحق بينهم » (٣) .

٤ - « من أحسن الدين النصح » (٤) .

(١) ميزان الحكمة : ١٠ : ٥٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٥٦ .

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم .

٥ - « ست من قواعد الدين : إخلاص اليقين ، ونصح المسلمين ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، والزهد في الدنيا »^(٥) .

(٥) الفرر .

النصيحة من حقوق الإيمان

١ - عن الصادق عليه السلام : « يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب »^(٦) .

(٦) ميزان الحكمة ١٠ : ٥٥ .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

٢ - « المؤمن غريزته النصح »^(٧) .

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم .

٣ - « كسب الإيمان لزوم الحق ، ونصح الخلق »^(٨) .

(٨) الفرر .

٤ - وعن الصادق عليه السلام قال : « لا يستغني المؤمن عن خصلة وبه الحاجة الى ثلاث خصال : توفيق من الله عز وجل ، وواعظ من نفسه ، وقبول ممن ينصحه »^(٩) .

(٩) وسائل الشيعة ٨ : ٤١٣ .

النصيحة أفضل قرينة

عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

١ - « قال الله عز وجل : أحب ما تعبد لي به عبدي النصح لي »^(١٠) .

(١٠) ميزان الحكمة ١٠ : ٥٤ .

٢ - « إن أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه »^(١١) .

(١١) المصدر نفسه : ٥٥ .

٣ - « من يضمن لي خمساً أضمن له الجنة : النصيحة لله عز وجل ، والنصيحة لرسوله ، والنصيحة لكتاب الله ، والنصيحة لدين الله ، والنصيحة لجماعة المسلمين »^(١٢) .

(١٢) المصدر نفسه .

٤ - « أنسك الناس نسكاً أنصحهم جيئاً ، وأسلمهم قلباً لجميع المسلمين »^(١٣) .

(١٣) المصدر نفسه .

٥ - عن سفيان بن عيينة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « عليكم بالنصح لله في خلقه ، فلن تلقاه بعمل أفضل منه »^(١٤) .

(١٤) المصدر نفسه .

النصيحة من صدق الأخوة

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه »^(١٥) .

(١٥) المصدر نفسه : ٥٦ .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام :

٢ - « ما أخلص المودة من لم ينصح » ^(١٦) .

٣ - « امحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة » ^(١٧) .

٤ - « ابذل لصديقك نصحك ، ولمعارفك معونتك ، ولكافة الناس بشرك » ^(١٨) .

٥ - « النصيح ثمرة المحبة » ^(١٩) .

٦ - « النصيحة تثمر الود » ^(٢٠) .

٧ - « الصديق الصدوق من نصحك في عيبك ، وحفظك في غيبك ، وأترك على

نفسه » ^(٢١) .

٨ - « من لم ينصحك في صداقته فلا تعذره » ^(٢٢) .

٩ - « لا إخلاص كالنصح » ^(٢٣) .

١٠ - « لا عداوة مع نصيح » ^(٢٤) .

١١ - « خير الإخوان أقلهم مصانعة في النصيحة » ^(٢٥) .

١٢ - « خير الإخوان أنصحهم ، وشرهم أغشهم » ^(٢٦) .

١٣ - « تبتنى الأخوة في الله على التناصح في الله ، والتبازل في الله ، والتعاون

على طاعة الله ، والتناهي عن معاصي الله ، والتناصر في الله ، وإخلاص المحبة » ^(٢٧) .

الاستنصاح من التوفيق

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

١ - « من أكبر التوفيق الأخذ بالنصيحة » ^(٢٨) .

٢ - « لم يوفق من استحسن القبيح ، وأعرض عن قول النصيح » ^(٢٩) .

٣ - « من استنصح الله حاز التوفيق » ^(٣٠) .

إخلاص النصيحة

١ - قال أمير المؤمنين عليه السلام « من استنصحك فلا تغشه » ^(٣١) .

وعن الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

٢ - « من سعى في حاجة لأخيه فلم ينصحه فقد خان الله ورسوله » ^(٣٢) .

(٢١) غرر الحكم ودرر الكلم

(٢٢) الغرر

(٢٣) الغرر

(٢٤) الغرر

(٢٥) الغرر

(٢٦) الغرر

(٢٧) الغرر

(٢٨) الغرر

(٢٩) الغرر

(٣٠) الغرر

(٣١) الغرر

(٣٢) الكافي ٢ : ٣٦٢

وعنه عليه السلام :

٣ - « من مشى في حاجة أخيه ثم لم يناصحه فيها ، كان كمن خان الله ورسوله ، وكان الله خصمه » (٣٣) .

(٣٣) المصدر نفسه : ٣٦٣ .

٤ - « من استشار أخاه فلم يحضه محض الرأي سلبه الله عز وجل رأيه » (٣٤) .

(٣٤) المصدر نفسه .

النفس أولى بالنصيحة

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

١ - « إن أنصح الناس أنصحهم لنفسه ، وأطوعهم لربه » (٣٥) .

(٣٥) ميزان الحكمة : ١٠ : ٥٨ .

٢ - « إن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه ، وإن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه » (٣٦) .

(٣٦) بحار الأنوار : ٦٩ : ٣٩٨ .

٣ - « من نصح نفسه كان جديراً بنصح غيره ، من غش نفسه كان أغش لغيره » (٣٧) .

(٣٧) ميزان الحكمة : ١٠ : ٥٨ .

٤ - « كيف ينصح غيره من يغش نفسه ؟ » (٣٨) .

(٣٨) غرر الحكم ودرر الكلم .

٥ - وقال الصادق عليه السلام : « ما ناصح عبد مسلم في نفسه فأعطى الحق منها ، وأخذ الحق لها إلا أعطي خصلتين : رزقاً من الله عز وجل يقنع به ، ورضاً عن الله ينجيه » (٣٩) .

(٣٩) الخصال : ٤٦ .

قبول النصيحة

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

١ - « من ملكه الهوى لم يقبل من نصوح ناصحاً » (٤٠) .

(٤٠) غرر الحكم ودرر الكلم .

٢ - « استصحبوا من شعلة واعظ متعظ ، واقبلوا نصيحة ناصح متيقظ ، وقفوا عند ما أفادكم من التعليم » (٤١) .

(٤١) الغرر .

٣ - « طوبى لمن أطاع ناصحاً يهديه ، وتجنب غاوباً يرديه » (٤٢) .

(٤٢) الغرر .

٤ - « ليكن أحب الناس إليك المشفق الناصح » (٤٣) .

(٤٣) الغرر .

٥ - « من خالف النصيحة هلك » (٤٤) .

(٤٤) الغرر .

٦ - « من قبل النصيحة أمن من القضية » (٤٥) .

(٤٥) الغرر .

٧ - « مرارة النصيحة أنفع من حلاوة الغش » (٤٦) .

(٤٦) الغرر .

٨ - « لا تردن على النصيحة ، ولا تستغثن المشير » (٤٧) .

(٤٧) الغرر .

٩ - ومن حديث له عليه السلام : « يا أيها الناس ، اقبلوا النصيحة ممن نصحكم ، وتلقوها بالطاعة ممن حملها إليكم » (٤٨) .

(٤٨) الغرر .

١٠ - ومن خطبة له عليه السلام : « أما بعد ، فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة » (٤٩) .

(٤٩) نهج البلاغة : ج ٣٥ .

١١ - عن أبي العديس قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « يا صالح ! اتبع من يبكيك وهو لك ناصح ، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش . وستردون علي جميعاً فتعلمون » (٥٠) .

(٥٠) وسائل الشيعة ٨ : ٤١٣ .

بين الناصح والمستنصح

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أما علامة الناصح فأربعة : يقضي بالحق ، ويعطي الحق من نفسه ، ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه ، ولا يعتدي على أحد » (٥١) .

(٥١) تحف العقول : ٢٢ .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

٢ - « صلاح الرأي بنصح المستشير » (٥٢) .

(٥٢) غرر الحكم ودرر الكلم .

٣ - « لربما خان النصيح المؤتمن ، ونصح المستخان » (٥٣) .

(٥٣) الغرر .

٤ - « ربما نصح غير الناصح ، وغش المستنصح » (٥٤) .

(٥٤) نهج البلاغة : ٣١ .

٥ - وعن السجاد عليه السلام : « حق المتنصّح أن تؤدي إليه النصيحة ، وليكن مذهبه

الرحمة له ، والرفق به ؛ وحق الناصح أن تلين له جانبك ، وتصغي إليه بسمعك ؛ فإن أتى بالصواب حمدت الله عز وجل ، وإن لم يوفق رحمته ، ولم تنتهمه ، وعلمت أنه أخطأ ، ولم تؤاخذ به ذلك إلا أن يكون مستحقاً للتهمة ، فلا تعباً بشيء من أمره على حال » (٥٥) .

(٥٥) بحار الأنوار ٧٤ : ٨ .

الناصح شفيق

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

١ - « مناصحك مشفق عليك ، محسن إليك ، ناظر في عواقبك ، مستدرك فوارطك ،

(٥٦) غرر الحكم ودرر الكلم .

ففي طاعته رشادك ، وفي مخالفته فسادك » (٥٦) .

(٥٧) الغرر .

٢ - « لا شفيق كالودود الناصح » (٥٧) .

(٥٨) الغرر .

٣ - « من نصحك أشفق عليك » (٥٨) .

٤ - « أشفق الناس عليك أعونهم لك على صلاح نفسك ، وأنصحهم لك في

دينك» (٥٩) .

(٥٩) ميزان الحكمة ١٠ : ٦٠ .

النصح خير وريح

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

- ١ - « من تاجر بك بالنصح فقد أجزل لك الربح » (٦٠) .
- ٢ - « لا خير في قوم ليسوا بناصحين ، ولا يحبون الناصحين » (٦١) .
- ٣ - « جماع الخير في المشاورة ، والأخذ بقول النصيح » (٦٢) .

(٦٠) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٦١) الغرر .

(٦٢) الغرر .

نَصَحَكَ مِنْ أَبَدَى لَكَ عَيْبِكَ

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

- ١ - « ما ألاك جهداً في النصيحة من ذلك على عيبك ، وحفظ غيبك » (٦٣) .
- ٢ - « من أحسن النصيحة الإبانة عن القبيحة » (٦٤) .
- ٣ - « من بصَّرَكَ عيبك فقد نصحك » (٦٥) .
- ٤ - « وعن الصادق عليه السلام : « أحب إخواني إلي من أهدى إلي عيوبي » (٦٦) .

(٦٣) الغرر .

(٦٤) الغرر .

(٦٥) الغرر .

(٦٦) وسائل الشيعة ٨ : ٤١٣ .

ميزان قبول النصح

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

- ١ - « لا تعجلنَّ إلى تصديق واثٍ وإن تشبهه بالناصحين ، فإن الساعي ظالم لمن سعى به ، غاشَّ لمن سعى إليه » (٦٧) .
- ٢ - « لا تنتصح بمن فاته العقل ، ولا تثق بمن خانه الأصل ، فإن من فاته العقل يغش من حيث ينصح ، ومن خانه الأصل يفسد من حيث يصلح » (٦٨) .
- ٣ - « قد جهل من استنصح أعداءه » (٦٩) .
- ٤ - « من غش نفسه لم ينصح غيره » (٧٠) .
- ٥ - « لا ينصح اللئيم أحداً إلا عن رغبة أو رهبة ، فإذا زالت الرغبة والرهبة عاد إلى جوهره » (٧١) .
- ٦ - « النصيحة من الحاسد محال » (٧٢) .

(٦٧) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٦٨) الغرر .

(٦٩) الغرر .

(٧٠) الغرر .

(٧١) الغرر .

(٧٢) ميزان الحكمة ١٠ : ٥٨ .

الجاهل والنصيحة

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

١ - « الجاهل لا يعرف تقصيره ، ولا يقبل من النصيحة له » (٧٣) .

٢ - « أجهل الناس المغتر بقول ماذح متملق ، يحسن له القبيح ، ويبغض إليه

النصيحة » (٧٤) .

(٧٣) غرر الحكم ودرر الكلم .

(٧٤) الغرر .



قال
الأمير
عليه السلام

فَقُولْ لِمَنْ كَيْفَ فَتَنَكَ

المُشْتَرِك ٢ : ٦٦

حضور الوفد الإسلامي الإيراني في مؤتمر بكين حول المرأة

تقرير

* الأمين العام للمجمع
العالمي لأهل البيت (عليه السلام)

والأنا سماحة الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام) العلامة
الشيخ محمد علي التسخيري بتقرير مختصر عن حضور الوفد الإسلامي
الإيراني في مؤتمر بكين حول المرأة باعتباره المستشار الأعلى للوفد
المذكور .
التحرير

بعد مؤتمر القاهرة حول السكان والتنمية جاءت قمة كوبنهاغن حول
التنمية الاجتماعية ، ثم جاء الدور لمؤتمر بكين حول المرأة .
والملاحظ في كل هذه المؤتمرات بشكل واضح أن الغرب المادي يحاول أن
يصدر مفاهيمه الانحلالية إلى العالم كله ، ولكنه هذه المرة يحاول استغلال
مالديه من قدرة تحميلية ، وماله من نفوذ في الأمم المتحدة لفرض تصورات
يسميتها دولية ، وي طرح مفاهيم لها بريقها المعهود من قبيل (حقوق الانسان ،
والحريات ، وحقوق المرأة ، والمساواة) ليتدخل مباشرة في عملية التقنين في كل
منطقة من انحاء العالم ، وذلك تحقيقاً لما يطرحه من نظام عالمي جديد يسيطر فيه
لا على الموارد الاقتصادية والعسكرية فحسب ، بل حتى على الحياة الثقافية
والاجتماعية للشعوب .



وأخطر ما في الأمر أنه يستهدف من هذا التآمر الخطير محو القيم العقائدية ، والمعنوية ، والاجتماعية .

فهو يعمل في المجال العقائدي لتعميم التصور الوضعي والمادي للحياة ، وإبعاد أي دور للدين في صياغتها ، ودفع البشرية للإيمان بوثنائق يسميها عالمية تجد فيها كل شيء إلا الدين ، والاعتراف بدوره في الحياة .

وهو يعمل كذلك في مجال القيم الانسانية والاخلاقية على نشر الروح المادية في التعامل ، والمصلحية الطبقية بشكل جديد تحت شعار حقوق الانسان ، ونسيان كل المفاهيم الاخلاقية التي جاءت بها الاديان وأدركتها الفطرة الانسانية .

وهو بالتالي يعمل من أجل حذف القيم الاجتماعية ، وأول هدف يستهدفه فيها هو التكوين العائلي ، فالعائلة في رأيه يجب أن تتهدم لتحل في محلها حقوق عامة مطلقة للفرد . والمتتبع للوثائق التي اقترحت على هذه الاجتماعات الدولية يجد هذه الحقيقة واضحة فيها .

فكل هذه الوثائق تسعى جاهدة لاستبعاد الدين عن تنظيم وتربية الانسان ، والتركيز على عملية التقنين الوضعي بعيداً عنه ، بل تحاول أن تعتبر أي تدخل له اسلوباً من أساليب التمييز العقائدي ، وبالتالي خروجاً على شريعة حقوق الانسان .

كما أنها تسعى - وبضغوط فعلية غربية - للترويج للنمط الغربي المادي للحياة بعيداً عن أية إشارة للقيم الاخلاقية .

أما مصبها الرئيسي بكل بوضوح فهو تحطيم العائلة باعتبارها وحدة بشرية عامة ، ولبنة يتكون منها التشكيل الاجتماعي ، وبتحطيمها تفنى كل العلاقات العائلية ، ويفقد المجتمع - إن بقي مجتمعاً - اقوى دافع للانشداد الاجتماعي الانساني. والاساليب التي تتبعها هذه الوثائق لتحطيم القيم الاجتماعية متنوعة من قبيل :

١ - طرح مفهوم خطير للعائلة يبعدها عن المفهوم المعروف ، الذي يتلخص في تركيبة تعاقدية شرعية من زوج وزوجة وابناء ، لكل منهم حقوق وواجبات ضمن

التركيبية الاجتماعية الكبرى . وهذا المفهوم كما يزعمون هو أي (تجمع صغير يتعايش تحت سقف واحد وله نظام معيشي مشترك) ، وهذا يعني اعتبار كل مجموعة تسكن في بيت واحد - مهما كانت - عائلة مما يشمل الشواذ جنسياً ، وحتى المجتمعين في مكان واحد لتناول المواد المخدرة أو حتى بيت المومسات ومواخير الدعارة .

هذه هي هدية الغرب للعالم بعد هذه الرحلة الطويلة . والنتيجة هي التحلل والضياع وفقدان اعظم المقدسات الاجتماعية واقرؤ للبنات في البناء الاجتماعي العام .

٢ - العمل على تقنين العلاقات الاباحية في كل الاعمار وعلى شتى المستويات ، ومنع المجتمع مطلقاً من التدخل في تنظيم العلاقات الجنسية ، بحجة أن ذلك مبدأ الحرية أو يخالف ما يسمونه بـ (الحقوق الجنسية) ، ويقصدون منها (حق الفرد في امتلاكه الحرية الجنسية في اقامة اية علاقة في أي سن مع أي شخص) . والذين حضروا هذه المؤتمرات يعلمون جيداً بالاساليب الخداعة ، والضغط المتتابة والسعي الجاد للدول الغربية وخصوصاً مجموعة الاتحاد الاوربي لفرض هذا المصطلح بأدنى مناسبة فيها .

٣ - العمل من أجل طرح مفاهيم قائمة على المستوى العالمي ، ولكنها واضحة في ثقافتهم من قبيل مفهوم (الاتجاه الجنسي) ، ويعني لديهم (الشذوذ الجنسي) بكل وضوح ليعبروا بذلك عن تأييد عالمي لهذا المنحى غير الأخلاقي الخطير .

٤ - العمل من أجل تعميم ما تسميه بالتعليم الجنسي ، ونشر الثقافة الجنسية حتى بين الاطفال والمراهقين ليستفيدوا من ذلك دونما رادع أو مانع ، بل توفير الاجواء المناسبة لذلك مع التوصية بعدم فعل ما يؤدي للحمل المبكر ، وبانتخاب طريق (العفة الطوعية) واستعمال الواقيات الذكرية لئلا ينتشر (الايدز) . هذه هي كل القيود المطلوبة ، وما على المجتمع إلا أن يسعى لتعميم هذه الثقافة الانحلالية . حتى الابوان ليس لهما أي حق في التدخل أو مسؤولية المراقبة .

فإذا ما حدث (الحمل المبكر) فإن للبنات أن تعمل لإسقاط جنينها بشكل قانوني ودون أي رادع ، بل يجب توفير الاساليب الصحية لذلك . وهكذا تمتهن الحياة

الانسانية ضحية لنزوات الافراد وأهوائهم .

والشيء الذي تميزت به وثيقة بكين وطرحته بشكل أوسع ، هو مفهوم المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في مختلف الحقوق والشؤون ، واعتبرته قيمة مطلقة لا يمكن الاستثناء منها . وهي بذلك تستغل عواطف المرأة التي تطمح للحصول على حقوقها المغتصبة .

والحقيقة هي أن المساواة في نفسها أمر مرغوب فيه ، ومطلوب اجمالاً خصوصاً في مجال الحقوق ، إلا أن الخطورة تكمن في اعتباره مفهوماً مطلقاً ، في حين أننا نجد الوجدان يشهد أنه في بعض المجالات يتحول إلى ظلم واعتداء . ومن هنا لم تعمم البشرية جمعاء هذا المفهوم على ميادين الرياضة والعمل الشاق والاعمال العسكرية المهمة ، إذ إن هذا التعميم يتنافى مع وجود الفروق الطبيعية والجسمية بين الرجل والمرأة ، والصحيح هو أن مفهوم العدالة هو المفهوم الذي يبقى مطلقاً دونما أي استثناء ، فإذا ما تنافت المساواة وأي مفهوم مطلوب آخر كالصدق والرحمة مع العدالة ، كان المقدم هو مفهوم العدالة بلاريب ودون العكس .

وهذا ما سعيينا لشرحه امام المؤتمرين في بكين ، مؤكدين لزوم وضع عبارة equity بدلاً من equality (*) ليتحقق المقصود .

(*) equity تعني تساو

الحقوق ، و equality

تعني المساواة .

وعلى هذا الاساس تعمد واضعو السند التعرض لبعض المصايد ، وركزوا في ذلك على الحقوق المتساوية في الارث مشيرين بذلك إلى اعتراضهم على قوانين الارث الاسلامية ، وقد وضحت بعض الوفود الاسلامية أن قوانين الارث قوانين موضوعه ضمن نظام اقتصادي حقوقي جامع للعائلة ، تم فيها تقسيم الوظائف وفق الفروق الطبيعية والاجتماعية ، وتم فيها بالتالي تحقيق التوازن والانصاف ومقتضيات العدالة الاجتماعية ، فهناك قضايا النفقة ، وهناك قضايا الحرية الاقتصادية ، وهناك قضايا الارث ، وكلها مقسمة وفق نظام واقعي دقيق ، فليس لاحد الحق في تعميم مفهوم المساواة دونما ملاحظة للواقع والتخطيط العادل .

هذا وينبغي أن لا نجانب الانصاف في القول : إن هناك بعض الجوانب

الاجيائية في كل الوثائق ، التي يمكنها لو طبقت أن تساهم في رفع المستوى الاجتماعي ، وتحقيق عملية تنموية صاعدة ، لكنها تكاد تختفي إلى جانب الجوانب السلبية التي اشرنا اليها .

بين القاهرة وبكين

قد لانستطيع أن نذكر فروقاً كبيرة بين الوثيقة التي اقترحت في القاهرة وهذه التي اقترحت في بكين ، فكلتاها تحملان كل النقاىص التي أشرنا اليها تقريباً . إلا أننا نلاحظ وجود بعض الفوارق في الظروف التي اكتنفت المؤتمرين ، فقد صاحب مؤتمر القاهرة جو عالمي صاحب ضد المؤتمر وخصوصاً في العالم الاسلامي ، حيث اعترضت المؤسسات والمراكز في شتى أنحاء العالم ، بل خرجت الاعتراضات من الدوائر التخصصية إلى المجال الجماهيري العام ، الأمر الذي اربع منظمي مؤتمر القاهرة وكل أولئك الذين وقفوا خلفهم ، فجاؤوا خائري القوى مترددين ومعتذرين ومما أعطى الجو حالة ايجابية اكبر حساسية الشعب المصري المسلم التي تفوق الوصف تجاه وثيقة القاهرة ، حيث وقفنا عليها عن كتب وشاهدنا ذلك الحماس التاريخي الكبير ضد الوثيقة ، ولا ننسى دور الازهر في تقوية الجانب الديني ، كما لا ننسى أيضاً أن الفاتيكان دخل المؤتمر بكل قوة وصلابة . كل ذلك أدنى لتطهير الوثيقة من اكثر انحرافاتا وإن بقيت فيها بعض الجوانب السلبية ، مما دعانا وكثيراً من الدول الاسلامية وغيرها للتحفظ عليها في الجلسة النهائية .

إلا أن الأمر في بكين لم يكن كذلك ، فقد قل ذلك الاعتراض الجماهيري العالمي بفعل عوامل التغطية المشبوهة ، ولم نجد لدى الشعب الصيني أو الحكومة الصينية بطبيعة الحال تلك الحساسية الايجابية ، إلا أن الانكى من كل ذلك أننا لاحظنا اتحاداً أقوى ، وتكاتفاً وصموداً اكبر من الجبهة الالحادية وعلى رأسها الاتحاد الاوربي ، الذي كان مصمماً - كما عبر بعض اعضائه - على أن يحقق في بكين ما لم يستطع تحقيقه في القاهرة ، كما لاحظنا تراجعاً واضحاً في مواقف الفاتيكان وخلوها من ذلك الموقف الذي أكدت عليه في مؤتمر القاهرة ، ولكن كل

ذلك يهون لو كانت الدول الاسلامية قد دخلت المعركة بقلب ولسان واحد ، بل حتى لو كانت دخلتها بروحية القاهرة ، وهكذا كنا نتوقع أن تقوم منظمة المؤتمر الاسلامي ، التي عقدت ندوة تنسيقية قبل ذلك بطهران وتعهدت بتنسيق المواقف ، إلا أننا لاحظنا العكس من ذلك ، الأمر الذي حز في نفوسنا وتركنا وحدا في الساحة مع عدد قليل جداً من مندوبي الاقطار الاسلامية كالسودان مثلاً ، في حين قبعفت وفود اخرى في محالها ولم تنبس ببنت شفة وكأن الأمر لا يعنينا ، وهنا ضاعف وفدنا الاسلامي نشاطه وجهاده واتصالاته ، سواء كان ذلك في بكنين نفسها أو في كراتشي أو جدة ، حيث عقد احتفال بمناسبة مرور ربع قرن على تأسيس منظمة المؤتمر الاسلامي ، وهنا قمت بالاتصال بكثير من مندوبي الدول ، وكذلك بالامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي وبعض مساعديه وطرحت الموقف بكل قوة واصرار ، فوجدت منهم آذاناً صاغية ، وتم العمل من أجل تنسيق المواقف من جديد ودخلت قوى جديدة ساحة المعركة بين الدين والنظام الوضعي المعادي ، وانقلب الميزان لصالح القضية الانسانية وشهدنا تراجعاً كبيراً من الاتحاد الاوربي عن بعض مواقفه ، وتحقق نصر كبير للجانب المتدين ارى أنه لا يقل عن انتصاره في القاهرة ، بل يزيد عليه بملاحظة اختلاف الظروف .

التغييرات التي تمت في الوثيقة المقترحة

ويمكننا أن نلخص أهم التغييرات الحادثة في الوثيقة في ما يلي :

أولاً: تم حذف عبارة (الحقوق الجنسية) من كل مجالات الوثيقة على رغم كل الضغوط الاوربية (حتى إن اوريا دفعت بأربعة من وزرائها لحضور الجلسات الفرعية والدفاع عن مقترحاتها) ، وعلى رغم كل عوامل الترغيب والترهيب التي استخدمت في البين ، إلا أنها اضطرت للتراجع عن دعم هذا المفهوم المشبوه ، وإن بقيت بعض التعبيرات الغربية علينا . وقد قمنا بالتحفظ النهائي عليها .

ثانياً: في مجال اشراف الوالدين على سلوك الابناء كانت هناك معارضة غربية واسعة ، إلا أن صمودنا أثبت إرادتنا في الوثيقة في تسعة موارد ، منها ضرورة الاعتراف بهذه المسؤولية بشكل كامل .

ثالثاً: تم حذف عبارة (الاتجاه الجنسي) ، لما فيها من مدلول منحرف رغم مقاومة الاقطار الاوربية .

رابعاً: لم تستطع اوروبا أن تتقدم في مسألة تعريف العائلة على مستوى القاهرة شيئاً ، على رغم وجود بعض العبارات المبهمة .

خامساً: تم التوافق في مسألة المساواة في الارث ، على نص يعطي الرجل والمرأة الحق في امتلاك ظروف متساوية للحصول على حقوقهم في الارث ، ويبقى حق الارث نفسه مسكوتاً عنه .

سادساً: ادانت الوثيقة الفحشاء عموماً باعتبارها عملاً غير شريف ، وكذلك ادانت نشر الصور القبيحة والمستهجنة في وسائل الاعلام .

سابعاً: في البند (٤١) أصر الوفد الاسلامي على اعطاء عملية التنمية ابعادها المعنوية ، فتمت الموافقة على ذلك ، وقد اضافت اوروبا عليها الابعاد العقلانية أيضاً .

هذا وقد اقترح الوفد الايراني بندا يؤكد هذا الجانب المعنوي في بيان مجموعة الـ (٧٧) التي تضم اكثر من مئة وعشرين دولة ، فتمت الموافقة عليه بعد شيء من التغيير وانتقل بعد ذلك إلى بيان بكين وجاء فيه «إن مسألة اقتدار المرأة وتنميتها في كل المجالات ومنها مجال الحرية الفكرية ، والتنمية الوجدانية والدينية والعقائدية إنما هي لاشباع المتطلبات الاخلاقية والمعنوية للرجال والنساء ، والتجسيد الكامل لقدراتها الاجتماعية وتحقيق الانسجام بين الحياة والآمال المطلوبة» .

ثامناً: على رغم مخالفة الاقطار الغربية تضمن البند التاسع من برنامج العمل ، والبند الثاني عشر من البيان الختامي التأكيد على ضرورة احترام العقائد الدينية والقيم المعنوية والاخلاقية ، وحق الدول في اعمال حاكميتها عند تنفيذ هذه الوثيقة .

ملاحظة أخيرة

قليل إن قرابة خمسة وأربعين ألف انسان حضروا هذا المؤتمر ، إما بشكل

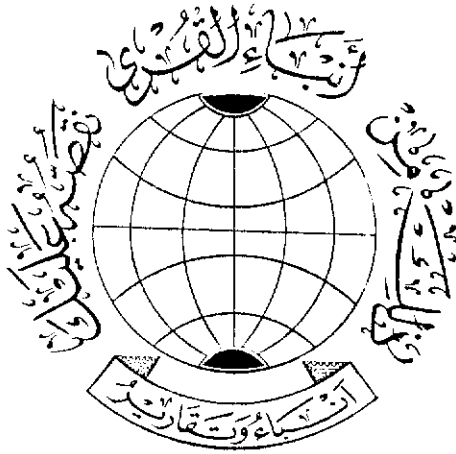
رسمي أو ضمن المؤسسات غير الحكومية ، وقد عملت الحكومة الصينية لفصل محل الجمعيات الأهلية عن محل المؤتمر بشكل لا يترك أي منهما اثره على الآخر ، وقد كانت قرية (بوايرو) تعج بالجمعيات الأهلية والأنشطة والشعارات والتظاهرات والجلسات ، مما وفر جواً خراً للجميع ليعبروا عن آرائهم المتناقضة ، وكان لوفد الجمعيات الاسلامية الايرانية نشاط مشكور في هذا الجانب ، وقد كانت هناك خطوات تنسيقية بين الجمعيات الاسلامية ، وكذلك فيما بينها وبعض الجمعيات المسيحية أيضاً .

أما الوفد الرسمي فكان برئاسة سيدة إيرانية هي السيدة حبيبي ، وضم الكثير من النساء المتخصصات في الحقول الاجتماعية ، كما ضم بعض الاخوة المتخصصين في الشؤون الحقوقية والدولية . وكان وفداً نشطاً والحمد لله .

قال رسول الله (ص) :

خير مستاع الدنيا
المرأة الصالحة

كنز العمال : ح ٤٤٤٥١



من أخابا، القرى

نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت عليهم السلام في أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير.

فلسطين

الوعد الإلهي

يوماً بعد آخر تتسع الهوة الكبيرة بين سلطة عرفات والشارع الفلسطيني، في الوقت الذي يزداد فيه الالتفاف حول التنظيمات الإسلامية، لأنها اقدر من السلطة على ترجمة الرغبات الحقيقية للجماهير الفلسطينية المسلمة، حيث لم تجد هذه الجماهير في عرفات وسلطته غير ادوات اضافية للقمع وتكريس الاحتلال في



قبالة سلطة كارتونية تتحرك وفق المقاسات الصهيونية، حيث تحولت غزة منذ وصول عرفات إليها إلى سجن كبير يتحكم فيه الاسرائيليون. فإذا كانت اتفاقية اوسلو هي الخيار الوحيد امام ضعف الموقف العرفاتي والموقف العربي العام والتي نستطيع تسميتها بالفشل العربي في هذا القرن، فان حركة الشعب الفلسطيني المسلم التي تقود الصراع بواسطة الحجارة منذ عقد من الزمان هي التي تتحكم بمسار المستقبل

هذا الخوف جلياً في تصريحات «بيريز» في الولايات المتحدة عند لقائه كيسنجر صاحب مشروع «الخطوة خطوة» في الشرق الأوسط ، حيث تساءل هذا الصهيوني : ما الذي يشكل خطراً على اسرائيل اكبر من غيره ؛ الدبابات السورية ، أو محاولة ايران الحصول على سلاح نووي ، أو مخاطر نشوب نزاع مع جيراننا ، أم الحركة الشديدة داخل فلسطين التي تتحرك بدوافع دينية ؟! واجاب عن تساؤله : ان «الاسلاميين» يشكلون الخطر الأكبر وهم أقوى من كل الجيوش العربية المحيطة بنا .

وقد خطت اسرائيل خطوات كسيحة في مجال محاربة الاسلاميين وتصفية رموزهم ظناً منها أن مسلسل الاغتيالات يوقف عجلة المد الاسلامي الجارف ، إذ جاء اغتيال الدكتور فتحي الشقاقي بعكس النتائج المرجوة من مكائد هذا الكيان الغاصب .

وقد عبر سماحة ولي امر المسلمين السيد الخامنئي «حفظه الله» عن حادثة الاغتيال بالصورة الواقعية وحدد النتائج المستقبلية لمثل هذه الدماء الزكية في البيان الذي أصدره سماحته والذي جاء فيه :

الفلسطيني ومصير القدس ، ولا يشعر الفلسطينيون ببأس حين خانهم وتركهم الحكام يخوضون الجهاد وحدهم ضد الصهاينة واميركا ، حيث تصاعدت عملياتهم الجهادية ونفذت إلى داخل العمق الامني الصهيوني واصبحت تؤرق الكنيست والبيت الابيض على حد سواء ، وقد اخطأ الاميركان ومن ورائهم الصهيونية حين أوكلوا مهمة القضاء على الصخرة الاسلامية في فلسطين المحتلة إلى شخص مثل عرفات وبعض الرموز الخيانية الدائرة في فلكهم ، فهم أصغر من أن يواجهوا شعباً عرف كيف يختار طريقه في تحرير ترابه ورسم مستقبله الاسلامي .

وما وصول عرفات إلى غزة على متن العجلات المصفحة والمحمية من قبل الصهاينة إلا لتكريس واقع الاحتلال وازدادة المزيد من الاضطهاد على الشعب الفلسطيني المستضعف ، حيث تطارد شرطته المجاهدين وتعتقلهم وتمارس بحقهم شتى صنوف التعذيب من أجل تركيعهم وقبولهم بالأمر الواقع الذي فرضوه عليهم وتحجيم تحركهم الاسلامي الذي يعتبر اليوم «الخطر الأكبر» على هذا الكيان الغاصب ، إذ بدا

مرة اخرى تفجرت ساحة الجهاد الاسلامي الفلسطيني دماً بعد أن أريق دم أحد أبنائها البررة والمظلومين بغير حق ، واستشهد ذلك الذي جاهد بقلبه المفعم بالايمان والإخلاص دفاعاً عن أرضه ووطنه على يد الفاصبين ومصاصي الدماء والقتلة ، وبذلك فقد اثبت الصهاينة العديمو الشرف والفضيلة ثانياً أنهم يستبيحون القتل والاجرام في سبيل الوصول إلى مآربهم غير المشروعة .

المجاهد المؤمن والشجاع المفكر الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي كان من الرموز المتألقة التي ابانت فجر النضال الاسلامي للشعب الفلسطيني في العقد الأخير وبذلت كامل قواها ووسعها من أجل هذا الجهاد المقدس الذي قدمت اليوم في سبيله مهجتها العزيزة .

لقد سطعت شمس الاسلام من آفاق الكفاح الفلسطيني وأضفت على الشعب الفلسطيني المضطهد طراوة الحياة ، في وقت امتنع فيه مدعو الدفاع عن القضية الفلسطينية المزيفون عن ذكر اسم الاسلام في تلك الساحة الاسلامية المحضة ، وراحوا يبددون القضية الفلسطينية من خلال تجريدها وفصلها

عن الاسلام عن وعي أو لا وعي . في مثل هذه البرهة رفع لفيق من الشباب الصادق والمؤمن والواعي وعلى رأسهم الشهيد العزيز الدكتور فتحي الشقاقي ، راية الكفاح الاسلامي مستلهماً الحماس من نهج الثورة الاسلامية في ايران ، وقلوب تزرخ بالحب والشوق للامام الراحل ، ليضخ الدم في عروق الجهاد الفلسطيني الذابلة على رغم أنف الذين اعمى الله قلوبهم وكل المتخاذلين والعلماء وعلى رغم أنف الكيان الغاصب واميركا وعملائها في المنطقة العربية ، وذلك للنيل من العدو الذي ظن بسذاجة أن عهد الجهاد من أجل نيل الحقوق قد ولى إلى غير رجعة .

واليوم ها قد فاز ذلك المجاهد المؤمن والصادق بالشهادة التي هي مطمح المجاهدين المخلصين والصادقين كافة ، وانني لأعلن جازماً أن هذه الشهادة الباعثة على الفخر والاعتزاز ستضاعف النهضة الاسلامية العظيمة في فلسطين وستعزز مظلومية الشهيد عزيمة المظلومين الفلسطينيين على صعيد الجهاد في سبيل الله .

إن الشعب الفلسطيني المناضل على حق إذا اعتبر الذين خانوا القضية

الايمان بقضاء الله وقدره نهني ونعزي
سماحتكم باستشهاد ابنكم البار وفلذة
من كبد الاسلام العظيم القائد الرسالي
الفذ الدكتور فتحي الشقاقي «رضوان الله
تعالى عليه» الأمين العام لحركة الجهاد
الاسلامي في فلسطين .

لقد كان شهيدنا الدكتور فتحي «رض»
امة في رجل . كان يجسد في فكره
وسلوكه مشروعاً رسالياً نهضوياً يحلم
بمستقبل أفضل لأمة الاسلام ويحمل
همومها ويعيش آلامها وآمالها بالنصر
لما يمثل من تفتان واخلاص وانتماء
عميق للفكرة والأمة وحملة مشاعلها
الاطهار .

لقد ظن القتل المجرمون أن اغتيال
رمز الطهارة والفداء الدكتور فتحي
الشقاقي يمكن أن يطفئ جذوة الحق
الساطع بالاسلام والجهاد في فلسطين ،
ولكن نور الله لا تطفئه أفواه الجبناء .

ان دم الشهيد المعلم هو بوابة جديدة
لنا للعبور الى القدس نحو تحقيق وعد
الآخرة وعد الله لأمة الاسلام بالتمكين
والانتصار .

سماحة القائد !

باسمي وباسم اخواني في حركة
الجهاد الاسلامي في فلسطين ، وباسم

الفلسطينية - سواء اولئك الذين يسمون
أنفسهم بوقاحة فلسطينيين ، أو اولئك
المساومين من العرب من غير
الفلسطينيين - شركاء مع قادة الكيان
الصهيوني في ارتكابهم هذه الجريمة أو
الجرائم الماضية ، ولا ريب في أن هذه
العملية ليست آخر ما يقتتره الارهابيون
الغاصبون ، ولا شك في أن النصر الأكيد
والساحق في نهاية المطاف سيكون
لجبهة الحق المتمثلة في الشعب
الفلسطيني المسلم والمناضل
والمضطهد .

وباستشهاد هذا المجاهد الفلسطيني
الفذ أبارك وأعزي الشعب الفلسطيني
فرداً فرداً ولا سيما حركة الجهاد
الاسلامي الفلسطيني المباركة وخاصة
زوجة الشهيد وابناءه ووالديه وذويه
وانصاره .

هذا وكان الأمين العام الجديد لحركة
الجهاد الاسلامي في فلسطين الدكتور
رمضان عبدالله قد بعث اثر استشهاد
الشقاقي برقية تهنئة وتعزية لسماحة
ولي أمر المسلمين «حفظه الله» جاء فيها :

سماحة قائد الثورة والجمهورية
الاسلامية السيد علي خامنئي ولي أمر
المسلمين «حفظه الله» ، بقلوب يغمرها

شعبنا المظلوم ، ونحن نعزيكم ونهنتكم
والأمة كلها بهذا الاصطفاء المقدس
والعروج النوراني لابنكم البار ، فاننا
نعاهد الله ونعاهدكم على أن نواصل
المسيرة من بعده أوفياء لدمه الطاهر
ولنهج الثورة الاسلامية والجهاد
المقدس ، لا نلین ولا نستكين حتى
تحرير فلسطين وبيت المقدس .

حماكم الله ورعاكم وسدد خطاكم
وأدامكم ذخراً للإسلام وفلسطين .

من جانب آخر جاء استشهاد
الدكتور فتحي الشقاقي شحنة في الوقت
المناسب ، بدليل النهاية التي انتهت إليها
الارهابي رابين بعد أقل من سبعة أيام
من استشهاد الشقاقي ، إذ ذكر قاتل
رابين أنه غير نادم وإذا أفرج عنه فسيقول
بيريز وغيره ، الأمر الذي يؤكد أن الله
تبارك وتعالى انتقم لهذا الشهيد المظلوم
من أكبر رأس صهيوني ارهابي يحفه
ويحميه سبعة آلاف مجند ، فجاءت
رصاصات الوعد الالهي وعلى يد أحدهم
لتمزق جسده وتقبيره في حفرة من حفر
جهنم .

■ الجزائر

سيل الدماء سيصرف الطواغيت

ما تزال مشاهد العنف منذ تولي

العسكر للسلطة منذ قرابة أربع سنين
تأخذ منحى أكثر دموية ، وتتصاعد
الأحداث في بلد المليون شهيد بنحو
خطير للغاية ، فعلى رغم البؤس
الاقتصادي والتخلف في مجالات كثيرة ،
نجد أن مسلسلاً ارهابياً يتم تنفيذه بكل
وقاحة وخسة من قبل حكومة العسكر ،
كمسلسل السيارات المفخخة التي
تستهدف الابرياء والمؤسسات المدنية
لتشويه صورة الاسلاميين بالقاء تبعة
هذه الأعمال الجبانة على عاتقهم ، وهم
الابرياء منها كبراءة الذئب من دم
يوسف عليه السلام ، وكالهجمات الليبية
ومداومة العوائل وقتل افرادها
واختطاف الفتيات والتمثيل بأجسادهن
قبل أن يتم ذبحهن ورميهن في طريق
المارة ، فضلاً عن المواجهات الدامية
المتواصلة وبشكل يكاد يكون يومياً بين
أنصار الحركة الاسلامية واجهزة الأمن
الحكومية التي تستخدم نفس الطائرات
الفرنسية التي استخدمت ضد الشعب
الجزائري أبان حرب التحرير في
الخمسينات .

والذي يبدو للمتابع أن السلطة
العسكرية الحاكمة تتبنى مشروعاً
فرنسياً - اميركياً يركز على أربع

نقاط هي :

١ - تشديد الحملات القمعية ضد الاسلاميين ؛ فقد كثفت السلطات من نشاط الجيش إلى جانب قوات الأمن والشرطة ضد كل ما يمت للإسلام بصلة ، مستخدمة سياسة الأرض المحروقة ، وهذه السياسة في المجال العسكري تعني قتل واهلاك وهدم كل شيء دون استثناء ، وعلى رغم فداحة الخسائر التي تتحملها السلطات ، إلا أن الذي يبدو انها ماضية في هذه السياسة ، الأمر الذي ينذر بوقوع المزيد من المواجهات بشكل خطير ، حيث تستنزف الكثير من طاقات هذا البلد المسلم الجريح .

٢ - أما على الصعيد الاعلامي ، فإن العسكر كثفوا من حملاتهم التشويهية وحر بهم النفسية ضد الإسلاميين ؛ فبين الحين والآخر تقوم السلطات بقتل العشرات من بين عشرات الألوف من المعتقلين الاسلاميين وتعرضهم ليلأفي الشوارع ، أو تنثر أجسادهم حول بنايات محطمة ، وتثير ضجة في الصحف بأن هذه الأجساد انما هي ضحايا الاسلاميين ، مستهدفة من هذه الأفعال ادخال اليأس في نفوس الشعب

الجزائري الذي يتوسم في طلائعه الاسلامية الخلاص من محنة العسكر العصبية ، كما تحاول السلطة أيضاً رفع معنويات قواتها المنهارة وتعزيز ثقتها بالحكومة وبقبضتها «الحديدية» ! ، بالاضافة الى محاولات تشويه المسار الاسلامي واهدافه ، واثارة الغضب والتضليل ، من أجل الوصول الى حصر الحركة الاسلامية في دائرة ضيقة معزولة عن الشارع الجماهيري ، لكي يسهل ضربها وتحطيمها داخل هذه الدائرة .

٣ - ارعاب وتخويف الجماهير الجزائرية المسلمة ، وهذا الاسلوب مألوف لدى الانظمة الدكتاتورية في العالم الثالث ، فحينما تبرز حركة سياسية تتمتع بتأييد جماهيري واسع ، وتعجز السلطة عن تطويق أو استيعاب هذا التأييد ، فإنها توجه حربها توجيهاً مباشراً إلى تلك الجماهير انتقاماً منها ، مع اضافة عناصر جديدة للأزمة ، مثل انعدام أو سلب الأمن من المواطن على الصعيد الفردي والاجتماعي يجعله يفكر بالخلاص من المأزق ويتنازل عن طموحاته ، وهذا المعنى يعبر عنه بالابتزاز السياسي وحمل الجماهير

للمرضوخ إلى أوامر وتوجهات السلطة وسلب المبادرة من الشارع الجزائري . ويلاحظ أن السلطات الجزائرية تتحرك على صعيد ترويع وتخويف المواطنين الجزائريين في اتجاهين : الأول في محاربة كل من يُشك في ولائه للسلطة في قوته اليومي ، وإخراجه من مركز عمله . ويتمثل الاتجاه الثاني في شن حملات ليلية مروّعة وبشعة ضد المواطنين والقاء تبعاتها كما أسلفنا على عاتق الاسلاميين لايجاد مراكز ضغط عليهم من داخل دوائرهم الجماهيرية .

٤ - محاولة حل أزمة الشرعية ؛ فالسلطات العسكرية تواجه مشكلة كبيرة تعيق تحركاتها وتصرفاتها ، وهي مشكلة الشرعية امام المواطن الجزائري ، ذلك لأنها استولت على السلطة خلافاً للدستور الجزائري ، وتحدياً لارادة الشعب الذي صوّت لصالح الحركة الاسلامية . وظلت هذه الاشكالية القانونية والدستورية للسلطة عامل ضعف وسلاحاً ماضياً بيد الشعب الجزائري المسلم وطلّاعه ، ولذلك تحاول السلطات العسكرية حل هذه الاشكالية باجراء الانتخابات ، ولكن هذه الانتخابات تبقى دون معنى ، إذا لم

تتجاوب معها قطاعات سياسية مهمة ، فقد حاول «زروال» التحرك على بعض الاحزاب الصغيرة المهمة لتكون غطاءً لتمرير اجراء الانتخابات ، وذلك بعدما فشل في استمالة القوى الكبيرة وعلى رأسها جبهة الانقاذ الاسلامية ، وكذلك جبهة التحرير الوطني وجبهة القوى الاشتراكية ، إذ تخدعت هذه القوى خلف وثيقة روما ورفضت الانتخابات ، لأنهم لا يريدون أن يُدغوا من جحر مرتين ويخدعوا ؛ لأن الانتخابات وفق قناعة الشعب الجزائري سوف لا تكون حرّة ونزيهة حتى لو اشرف عليها الامميون أو الاوربيون ، فهؤلاء كانوا ولا يزالون طرفاً في مؤامرة الالتفاف على ارادة الشعب الجزائري المسلم وعلى حريته وصوته الذي عبر عنه في انتخابات ٢١ كانون الأول عام ١٩٩١م .

ولكن مهما يكن من أمر فان كل الأحداث تشير إلى أن الاسلاميين - وعلى رغم كل ما يتعرضون له من قتل وقمع واعتقال وتعذيب - ومن خلفهم الشعب سائرون في طريق قيام الدولة الاسلامية التي ستكون بداية الانعتاق لدول شمال أفريقيا المسلمة ، التي لا بد أن تعيد المغرب العربي والاندلس إلى أحضان

وتطلعات الشعب الذي اختار الاسلام طوعاً و رغبةً بعد أن ادركت كل طبقاته أن الأزمة الحقيقية التي تعصف بالبلاد الغنية بمواردها وطاقتها ، هي أزمة اخلاقية أولاً ، وتنطوي تحتها جميع العقد الاقتصادية والسياسية ، فإذا ما خرج المجتمع من أزمتة هذه فستحل جميع العقد الأخرى ، لذلك كان اختياره للاسلام طريقاً وحيداً للخروج من الأزمة ، باعتباره مبدأ يضع كل الحلول السليمة لأية معضلة مهما كبرت ، دون الرجوع إلى مفكرين وخبراء غربيين يطرحون الحلول وفق النظرة المادية والاستعمارية ، ويسعون دائماً إلى فرض قيم تختلف تماماً عن قيم مجتمعاتنا الاسلامية . ومن الطبيعي جداً - وبحكم المواجهة مع معسكر الكفر الذي تنفذ الحكومات المتسلطة على المسلمين خطته ومشاريعه - أن تعطي الشعوب المسلمة أغلى الدماء وأجسم التضحيات من أجل مستقبلها المشرق غير الخاضع للأجنبي ، كما أن الصراع بمفاصله الاساسية طويل المدى ، لانه صراع يؤسس لحالة عامة وأمر جامع لا لحالات فردية أو اصلاحية محدودة ، لذا فانه عميق ومستمر بين شعب يقاتل

الحضارة الاسلامية وإبراز غرناطة جديدة تشع منها الأنوار باتجاه الليل الاوربي المدلهم.

السكبر والصراع الاسلامي الحضاري

منذ الغاء نتائج الانتخابات البرلمانية الجزائرية عام ١٩٩٢م ، التي كان الفوز فيها - بما لا يقبل الشك - للاسلاميين ، يعيش هذا البلد الاسلامي العريق دوامة الصراع الدموي حيث لقي نحو «٥٠» ألف شخص حتفهم في هذا الصراع ، ويتحمل العسكريون العاملون على خط فرنسا والغرب هذه الدماء الغزيرة ، التي سيستمر سفكها كما يبدو من خلال قراءة الخريطة السياسية للجزائر ؛ فبالرغم من اجراء انتخابات الرئاسة لا يزال الآلاف من أعضاء وأنصار التيار الاسلامي خلف القضبان ، واعمال القمع مستمرة وكذلك حملات المداومة الليلية على البيوت والمناطق الآمنة ، إذ إن الصراع الذي استمر منذ أكثر من أربعة أعوام والذي يتمثل بنشاط حركة التحرير الاسلامية الجزائرية واستقطابها لأغلب قطاعات الشعب ، هو صراع حضاري من أجل اعادة بناء الهيكل العام للجزائر سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفق ارادة

بإيمانه وبين دبابات ومروحيات فرنسا والغرب ، واسلحتهم المتطورة وعملاتهم الديبلوماسية الماسكين بزمام الأمور بالحديد والنار من أجل احتواء الثورة الجزائرية والالتفاف عليها.

وإذا أردنا أن نعطي ارقاماً تقريبية لانتخابات الرئاسة الجزائرية التي فاز فيها الأمين زروال ، فسنجد أن ٣٦٪ فقط من مجموع الذين يحق لهم الانتخاب قد شاركوا ، وأما الـ ٤٦٪ فقد قاطعوا الانتخابات التي لم يُسمح فيها لمرشحين من أحزاب العقد الوطني لخوض الانتخابات ، مما يدل على أن هذه الانتخابات مطعون فيها ، ولا تمتلك الأساس الدستوري الذي يؤهل السلطة الحالية للحكم المدني ، كما أن الانتخابات الرئاسية ناقصة إذ لم تستند في حكمها البلاد إلى مؤسسة برلمانية منتخبة بطريقة صحيحة ، وهذا الأمر يجعل من العسكر الموالين لفرنسا والغرب يحكمون البلاد وفق الأحكام العرفية والمحاكم العسكرية السريعة ، مما يشير إلى وجود حالة طوارئ وإن كانت غير معلنة ؛ إذ يستطيع العسكر أن يخلق جوّاً رهيباً يصفّي من خلاله

الفصائل الاسلامية الفاعلة بقيادتها قتلاً واعتقالاً وتشريداً ، مكتفياً بالغطاء الرسمي داخلياً - لأن الاعلام بيده - والغربي خارجياً ، من أجل اظهار أحقيته بالانتخابات ، وأنها كانت دستورية ، كما هو الحال في مصر . كل هذا يجري في غياب القانون دون مساءلة شرعية أو دستورية ، والضرية يدفعها الشعب . ولكن مهما حاول معسكر الكفر فإن تبشير المد الاسلامي العارم سوف تجرف اصنام الحكم الجزائري من خلال إرادة المسلمين المطالبين بالدولة الاسلامية ، مهما حاول الآخرون تشويه الصورة الجهادية لأبناء الجزائر والمغرب العربي العريق بإسلامه وحضارته ؛ إذ ستكون هذه المنطقة الجغرافية من شمال افريقيا بوابة الاسلام القديمة الجديدة على أوروبا التي سستشرب من أنوارها واشعاعاتها الحضارية التي يفجرها الاسلام ماءً عذباً لا ينضب ، مهما حاولت فرنسا وغيرها وضع الصخور الصم على منابع هذه الأنوار ، لأنها أنوار أصلها ثابت وفرعها في السماء .

■ اميركا

القرآن يهدد مصالح اميركا

دخلت السياسة الارهابية لأميركا مرحلة خطيرة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وتفتت المعسكر الشرقي، وتتميز هذه المرحلة باستخدام الجيش الاميركي في تحقيق الأهداف الارهابية الاميركية، وقد وجدت في انهيار المعسكر الشرقي فرصة في اضعاف الصفة الشرعية تحت مظلة الامم المتحدة على تلك الممارسات البشعة، بحيث تحولت هذه المنظمة الدولية إلى ذراع من أذرع السياسة الارهابية تلك.

وإذا أردنا ذكر بعض المصاديق على هذه السياسة لا يسعنا إلا الإشارة إلى التدخل في بنما واسقاط نظام الجنرال نوربيغا وذلك بارسال أكثر من «٢٥» ألفاً من القوات الاميركية الضاربة واجتياح جزيرة غرينادا واسقاط نظامها، وتدمير العراق اقتصادياً وعسكرياً بعد ما وفر النظام العراقي بغزوه الكويت مبررات وحججاً لواشنطن، وغزو الصومال، وهاييتي واسقاط النظام فيها، بالاضافة إلى الحرب التي تشنها واشنطن ضد الحركة الاسلامية العالمية وعمقها الاستراتيجي الجمهورية

الاسلامية في ايران، وكل هذه السياسة تعتمد منطق الارهاب التلمودي.

وقد اعلنت اميركا عن موقفها الأخير هذا صريحاً حين ظهر المراسل «امرسون» في التلفزيون الاميركي وهو يحمل نسخة من القرآن الكريم، مخاطباً المشاهدين الاميركيين بالقول: هذا هو الكتاب الذي يدعو إلى ضرورة مهاجمة المصالح الاميركية. وذلك لاثارة مشاعر الشعب الاميركي ضد الاسلام.

وتأتي هذه الاجراءات الصريحة نتيجة لتنامي مشاعر الصحوة الاسلامية المباركة في كل أرجاء المعمورة، بما فيها اميركا نفسها، إذ ينمو الاسلام في كل المدن الاميركية متحدياً بطشهم، حيث ذكرت الـ «نيويورك تايمز» في تقرير مفصل لها أنه في الوقت الذي تم فيه احراق «٥» مساجد وتعرضها للنهب في اميركا عقب انفجار مبنى الفيدرالية في اوكلاهاما وكذلك تسجيل «٢٢٢» اعتداء على المسلمين الاميركيين، يقف المسلمون الذين يبلغ عددهم «٦» ملايين نسمة في المرتبة الثانية من حيث الاقليات الدينية في اميركا، وإن عددهم يشهد تزايداً مطرداً وبصورة يتوقع

معها أن يحتلوا حتى نهاية العقد الجاري المرتبة الأولى .

كل هذا وغيره من الأعمال الشيطانية تقوم بها أميركا في الوقت الذي يشهد فيه المجتمع الاميركي أسوأ حالات التردّي والانفلات الحضاري ؛ حيث صرح وزير الإسكان في حكومة كلينتون أن ظاهرة التشرد في أميركا أصبحت مشكلة اساسية معقدة ، وأن سبعة ملايين اميركي واجهوا التشرد أواخر عقد الثمانينات . كما جاءت دراسة موسعة حول ازدياد الجرائم في اميركا قامت بها الصحف النمساوية الحكومية لتؤكد أن الأمن أخذ يزول تدريجياً من المدن الاميركية ، وأن سكان المناطق التي كانت آمنة سابقاً لم يروا بدءاً من بيع بيوتهم بأسعار زهيدة واللجوء إلى المناطق النائية . كما أن حالات القتل العشوائي ازدادت في اميركا بشكل خطير ، وارتفعت نسبة الجريمة هناك وتفاقت الاوضاع الاجتماعية . ويقوم تجار السلاح والدوائر السياسية وخاصة الحزب الجمهوري بتصعيد الوضع عن عمد ، وبلغ سعر السلاح الناري في السوق السوداء «١٩» دولاراً ، بسبب حالة عدم الأمن السائدة في

اميركا .

وأكدت الدراسة أن ٢٥٪ من الشعب الاميركي يعانون الحرمان من أية امكانيات رفاهية ، وهذه النسبة تشكل طبقة من المجتمع لديها الاستعداد الكافي لارتكاب الجريمة . وفي هذا السياق أيضاً قالت دراسة قامت بها مراكز الأبحاث والنشاطات في مجال التغذية أن أربعة ملايين طفل اميركي دون سن «١٢» عاماً لا يأكلون ما يكفي بسبب الفقر ، وتشكل هذه النسبة ١٠٪ من مجموع الاطفال الاميركيين البالغ عددهم «٤٠» مليون طفل ، وأكدت الدراسة أن هناك «٩/٦» مليون طفل مهدد بالجوع بسبب الاوضاع المادية غير المستقرة لعائلاتهم .

أما المستشار المقرب من كلينتون «ويفكنت فوستر» ، الذي انتحر قبل عامين تقريباً ، فقد شبّه في مذكراته المجتمع الاميركي بأنه مجتمع يعتبر اغتيال الشخصية والشرف نوعاً من أنواع الرياضة .

ويقول المفكر الاميركي «وليام بنت» في كتابه الذي صدر مؤخراً : إن ٧٦٪ من الشعب الاميركي ليس لهم أمل في النظام الاسري ، ويعتبر هذا الأمر نتيجة للتيار

والجرائم المختلفة المتزايدة وانهايار القيم الاخلاقية والادمان على المخدرات من جملة الأزمات التي تعصف بأسس العوائل الاميركية وتهدد مجتمعنا من داخله : فمن جهة نقول إننا نعيش في قرن الاكتشافات الفضائية ، لكننا عدنا في حقيقة الأمر إلى ظلام القرون الوسطى ومنتظرنا مستقبل مظلم .

■ لبنان

سقوط رهانات الصمائية

امام المقاومة الاسلامية

ما زال لبنان البلد الذي مزقته المؤامرة الاستكبارية يعاني من آثار هذه المؤامرة التي تدير عملياتها أميركا والصهيونية العالمية وتنفذها دويلة اسرائيل اللقيطة وعملاؤها في المنطقة ، ولم تجد رقماً صعباً وعنيداً يكيل لها الضربات الواحدة تلو الأخرى سوى فصائل المقاومة الاسلامية البطلة بالرغم من الفارق الكبير بين امكانيات الطرفين ، ولم تنفع كل الحملات العسكرية والضربات الجوية التي توجهها قوات الاحتلال الاسرائيلي للجنوب اللبناني الصامد ، بل زادت من صلابة المقاومة الاسلامية وعمقت من

غير الأخلاقي وغير الديني والاباحية التي اجتاحت مجتمعنا ، الأمر الذي أدّى بنا إلى الانحطاط الاخلاقي . وأضاف : إننا مشغولون ومنهمكون في بناء ناطحات السحاب والحياة المترفة وتحسين الامكانيات المادية دون أن نعلم اننا نربي قتلة يقتلون طفلاً في الخامسة من عمره لأجل مئة دولار ، ويمزقون احشاء امرأة حامل من أجل سرقة زينتها ، كما صنعنا معلماً ينتحر بعد مشاهدته فيلماً تلفزيونياً ، ونقدّم إلى المجتمع شباناً يضعون حداً لحياتهم في غرف الفنادق بزرق المخدرات في أجسادهم . وينتهي «وليام بنت» إلى حقيقة مفادها : «ان المجتمعات غير الدينية غرقت في الازمة».

ويصور المفكر الاميركي «جان وايت» في كتابه الجديد «السياسيون الجدد والقيم القديمة» مستقبل المجتمع الاميركي بأنه مظلم جداً ، ويقول : هناك حالة طلاق واحدة بين كل أربع حالات زواج ، ويوجد في المجتمع الاميركي حالياً «٢٨» مليون طفل دون وال ، وهم محرومون من محبة وحنان الأبوين ، الأمر الذي يشكل فاجعة عظيمة لمستقبل هذه البلاد ، وتعتبر الانحرافات الجنسية

درجة التلاحم المصيري والعقائدي بينها وبين الجماهير اللبنانية الواعية .

فالمقاومة الاسلامية باتت حالة تحررية متجذرة في وعي الناس ، وخياراً شعبياً نهائياً ، وحالة عسكرية قتالية على أعلى درجات الخبرة القتالية والوعي السياسي لمتطلبات المرحلة وظروفها ، الأمر الذي يعني أن أي مغامرة عسكرية صهيونية ضد لبنان ستكون مكلفة للغاية على كل الصعد العسكرية والسياسية ، وهو ما يدركه الصهاينة جيداً ويسعون لتفاديه بخيارات أخرى مثل خيارات الحصار والضغط المعيشي ، والضغط الأمنية عبر عمليات مشبوهة لإحداث الفتن الداخلية وتوتير الأوضاع بأكثر من أزمة اجتماعية وسياسية وعسكرية ، ليشير العدو بذلك أنه قادر مجدداً على رسم خريطة الأوضاع الداخلية والتسبب بالكثير من الأزمات ، الأمر الذي يدعوا اللبنانيين جميعاً إلى أخذ الحيطة والحذر إلى جانب الاستعداد الكامل لكل الاحتمالات والامساك بزمام المبادرة السياسية والعسكرية ضد العدو ، اضافة إلى تعميق روح التعاضد والتوحد الداخلي على كل المستويات

تحت راية المقاومة الاسلامية ، الذراع الشعبي القوي في التصدي لكل المؤامرات والسبيل الوحيد للغة التخاطب مع الصهاينة الغاصبين . هذه المقاومة الباسلة التي تتصدى من جانب لقطعات المحتلين وتنزل بهم أوجع الضربات ، وتصر من جانب آخر على اصلاح ما أفسده الاحتلال .

ولا شك أن ما تحتزنه هذه المقاومة من عناصر قوة وثقة عالية بالله وما تستند اليه من تحالف ودعم وثيق من جانب الجمهورية الاسلامية في ايران والاحتضان الشعبي الواسع لها وتضامن القوى الاسلامية والتحررية كلها ، كفيلة باسقاط جميع مخططات الصهيونية وكيانها الغاصب .

حيث إن تصاعد واستمرار عمليات المقاومة الاسلامية كمأ ونوعاً بات باعتراف العدو حرب استنزاف يومية مكلفة لجيش الاحتلال وعملائه ، كما أدت هذه العمليات البطولية وبشكل دراماتيكي إلى تراجع حاد في البريق الاسرائيلي واحتمال سقوط كل مشاريع التسوية خصوصاً بعد وصول اتفاق غزة - اريحا إلى طرق مسدودة يصعب فتحها ، إن أكدت الاحداث في المنطقة أن

الاسلامية بموته ﷺ .

يذكر أن البروفسورة شيميل كانت قد نددت مرات عديدة بالمرتد سلمان رشدي لتأليفه كتاب «الآيات الشيطانية» الأمر الذي أثار ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية والثقافية الألمانية ، نظراً لشهرتها ومكانتها في الأدب الألماني وحيازتها على جائزة السلام للناشرين الألمان لعام ١٩٩٥م .

وكان لمواقف «شيميل» دور في قيام بعض الكتاب والناشرين المناصرين للحركة الصهيونية في أوروبا بتقديم طلب سحب الجائزة منها ، لكنهم لم يفلحوا بذلك حيث استلمتها من الرئيس الألماني في «١٥» تشرين الأول ١٩٩٥م في معرض فرانكفورت للكتاب ، وقد أثار هذا الموضوع رأياً لدى المراقبين المطلعين يعبر عن وجود التناقض الكبير في الغرب ، حيث أن حرية التعبير عندهم مقتصرة فقط على الذين تتفق أفكارهم مع أفكار الغرب ، وإلا فماذا يمكن أن يعني عدم تحمل كلام «شيميل» وطلب سحب الجائزة الممنوحة لها وفق المعايير المعتمدة لديهم سوى الانتهاك الصريح لحرية التعبير ؟!

* * *

المفاتيح في خزانة المد الإسلامي المبارك الذي حوّل المعادلة نتيجة للمبادرات الجهادية للمقاومة المسلحة في فلسطين ولبنان لصالحه .

■ الهاميا

توصيات إلى المسيحيين

بالتعرف على الاسلام

«إن أية اهانة وتجديف على الأنبياء يعد جريمة » . بهذه العبارة ابتدأت البروفسورة المعروفة السيدة «آن ماري شيميل» حديثها الذي كان تحت عنوان :«المسيح في العرفان الفارسي» ، وذلك في المركز التربوي والتعليمي في مدينة سالزبورغ النمساوية . وقدمت البروفسورة «شيميل» توصيات إلى المسيحيين في أوروبا بالتعرف على الاسلام أكثر من خلال دراسة صفة القداسة التي يعطيها المسلمون للسيد المسيح ﷺ ، حيث أوردت أن العرفان الاسلامي يعتبر المسيح ﷺ مظهراً جسمانياً للكلام الالهي ، مضيفة أن الاختلاف بين الاسلام والمسيحية يدور أكثر ما يدور حول وفاة السيد المسيح ﷺ ، فبينما يعتقد المسيحيون بصلب المسيح ﷺ ، لا تقول الديانة

■ روسيا

المسلمون والانتخابات

بعد سبعين عاماً من الشيوعية ، لم يستطع مركز الاتحاد العالمي «الكرملن» أن ينهي أو يقتلع الجذور الايمانية لدى المسلمين الروس ، فبعد أن استطاع المسلمون إعادة الأذان والمراسم الدينية إلى مساجد موسكو وبقية المدن الروسية ، يعملون الآن بكل قوة واقتدار لإثبات هويتهم وتأكيد ما داخل المجتمع الروسي ، وضمن هذه التوجهات أعلن المسلمون في روسيا عن تشكيل حزب سياسي يدعى «اتحاد انتخابات المسلمين» لترتيب العمل الاسلامي ومنهجه وفق طرق علمية وخطوات مدروسة ، والحزب مستعد الآن للمشاركة في الانتخابات المقبلة منافساً للأحزاب العلمانية في روسيا ، حيث يشكل المسلمون ١٥٪ من الناخبين في روسيا ، وضمن خطة «اتحاد انتخابات المسلمين» أنه سيكون حلقة الوصل بين روسيا والدول الاسلامية ، لنشر الثقافة الايمانية لدى الأوساط الروسية المختلفة ، والعودة من الاتحاد والمادية إلى القيم الدينية والانسانية الرفيعة .

■ أذربيجان

مسيرة إحياء الاسلام

بعد سقوط الشيوعية الملحدة استطاع المسلمون في روسيا أن يحصلوا على بعض الامتيازات التي منها تخصيص بعض برامج التلفزيون لهم ، ففي عرض للقناة الرابعة في التلفزيون الروسي ، وصفت جمهورية أذربيجان بأنها الدولة الوحيدة من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق التي يشكل المسلمون من أتباع أهل البيت (عليه السلام) معظم سكانها ، وأن مسيرة إحياء الاسلام متسارعة في هذه الجمهورية ، وقد عرض التلفزيون صوراً من مجالس عزاء شهر محرم الحرام في الجمهورية الاسلامية الايرانية ، وقال المعلق : إن هذه المجالس تقام في ايران دائماً ، وقد صارت تقام كثيراً في أذربيجان في الأعوام الأخيرة ، وإن الدين الاسلامي يتم إحياءه في هذا البلد . وأكد التلفزيون على أهمية دور الشهيد والشهادة في مدرسة أهل البيت (عليه السلام) ، وأن عدداً كبيراً من الأذريين يسعون لكي يكونوا اتباعاً حقيقيين لأهل بيت النبوة والعصمة (عليه السلام) ، حيث يلتزم أهل هذا البلد التزاماً خاصاً بالسير على نهج الشهادة

حياته هو الفراغ الروحي ، حيث تضغط الفطرة على الضمير الإنساني لاكتشاف الحقيقة والسير بنورها ، وهذا الأمر ينطبق على الإنسان أين ما حل ونزل ، خصوصاً إذا أحس بأن غيوماً ملبدة في فضاءاته تحجب الشمس عنه . ومن مصاديق هذه الحقيقة ظاهرة النزوع الى الدين الحق ؛ ففي خلال العام ١٩٩٤م توجهت إلى قنصلية الجمهورية الاسلامية في طوكيو ١٦٠ امرأة من اليابان والبرازيل وبيرو وكوريا الجنوبية وتايوان وانجلترا واميركا واستراليا وكولومبيا ليعلنن اسلامهن ويعتقن دين الحق والهداية .

ومن جهته قال رئيس مركز أهل البيت (عليه السلام) في اليابان الحاج القام ساوادا ان أكثر من « ٣٠ » يابانياً اعتنقوا الاسلام في هذا المركز بينهم بعض المفكرين والكتاب .

من جانب آخر اعتنقت السيدة جميلة روبرت «وهي تحمل الجنسية الايطالية وتعمل محامية ومستشارة قانونية» الدين الاسلامي . وقالت : إن الاسلام آمن الحاجات البشرية في بعديها المادي والمعنوي ، وإن من الخصائص المهمة للإسلام اسلوبه الجذاب في التعامل مع

التي تعد أبرز سمات مدرسة أهل البيت (عليه السلام) . والملاحظ الآن في آذربيجان أن الحياة العامة للشعب أخذت نمطاً مخالفاً لعهد الاتحاد السوفيتي ، حيث كانت تروج الالحادية التي شكلت السياسة الرئيسية المتبعة لدى الحكومة آنذاك ؛ فالمكتبات اليوم التي تضم الكتب الاسلامية تفتتح ، وتحول النشاطات الاسلامية والآداب والتقاليد الاسلامية كزيارة الأماكن المقدسة واقامة الاحتفالات في المناسبات الدينية إلى أمر عادي ومألوف ، وقد اعترف التلفزيون الروسي من خلال تعليقاته بأن المسافة غير بعيدة بين عاشوراء الامام الحسين (عليه السلام) والحقة الراهنة ، مشيراً كذلك إلى أن واقعة الطف وشهادة أبي الأحرار (عليه السلام) وكلمة الشهادة توافقت في التاريخ الاسلامي مع كل اجيال المسلمين ، وأن هذه الأجيال تتعلم من واقعة الطف الصبر والاستقامة من امامهم سيد الشهداء الحسين بن علي (عليه السلام) .

■ اليابان

الاسلام يعلو

إن أخطر ما يعانيه الإنسان في

الأفكار البشرية والاحاسيس الإنسانية والاجواء الروحية والإيمانية العميقة التي يوجدها في الإنسان .

من جهة أخرى نجد أن الحس الواعي بالقيم والمقدسات الدينية أصبح ظاهرة تحكيها المواقف المسؤولة ازاء كل خرق وامتهان تتعرض له بقصد أو بدون قصد ؛ فقد دعا الاتحاد الاسلامي في اليابان ومقره مدينة «ناكويا» إلى جمع كل قطع السجاد الذي انتجته شركة تجارية في منطقة مينامي ونقشت عليه آيات قرآنية ، لأن المسلمين لن يسمحوا بالمشي على الآيات المقدسة للقرآن الكريم ، ولبت الشركة طلب الاتحاد وقامت بجمع قطع السجاد معترفة بخطئها .

الحقيقة الكبرى في الحقيقة الصغرى

لأسباب مختلفة تدخل العوامل المادية لحياة الانسان لتجعله يعيش الغربة الروحية وتزلزله بانھیار معنوي وروحي قبالة قيم استهلاكية يستهلكها الانسان وتستهلكه . وقد سمعنا عن جماعة «الحقيقة الكبرى» في اليابان وحادث تسرب الغاز السام في مترو الانفاق بمدينة طوكيو الذي ادى إلى مقتل عشرة أشخاص واصابة أكثر من

خمس آلاف بالتسمم ، وبالرغم من خطأ أفكار هذه الجماعة ودوافعها الفكرية وممارساتها الشاذة نجدها صرخة على الطريقة المادية بوجه المادة نفسها .

وبيان مختصر لنظام هذه الطائفة ندرك أنها واحدة من افرازات الضياع والاختناق في عالم المادة ؛ فنظام هذه الطائفة يطلب من العضو الذي يرغب في الانضمام إليها أن يتنازل لها عن كل ثروته عند قبول عضويته ! والمدهش في الأمر أن غالبية أعضاء الجماعة من الشباب الذين ينتمون إلى الطبقات الغنية في المجتمع ومن خريجي الجامعات .

وفي جلسة قبول الأعضاء الجدد يقومون بطقس غريب ، إذ يضعون قبعات فوق رؤوسهم تتصل بأسلاك يتلقون عن طريقها صدمات كهربائية تصل قوتها إلى ١٠ فولت ، ويفسر زعيم الطائفة هذا السلوك الغريب بأنه تهدئة للمخ وتهيئة للنفس ذات السبعة مراكز للانبعاث الروحي من الاتصال بـ «السموات العلى» .

وتعتبر الطائفة المعبود «شيفا» - الذي يعتبر رمزاً للدمار - إلهها الذي تقدم له صلواتها ، كما تعتبر زعيمها من القديسين ، ويتناول أعضاؤها شرباً

■ هاليزيا

تعاظم المشاعر الاسلامية

يتحدث المحللون السياسيون عن الاحتمالات الكبيرة امام استلام الحزب الاسلامي الماليزي السلطة في ولاية ترنجانو ، كما فعل في ولاية كلانتان في العام ١٩٩٠م ، وذلك بعد تعاظم المشاعر الاسلامية في هذا البلد المسلم الذي يشكل المسلمون فيه الأغلبية من سكانه البالغ عددهم قرابة «١٨» مليون نسمة .

وينادي الحزب الاسلامي بإقامة دولة اسلامية في ماليزيا السريعة النمو ، حيث يعمل الآن لتطبيق الشريعة الاسلامية في كلانتان بعد تسلمه السلطة ، وتعتبر ترنجانو أرضاً بكرّاً للصناعة ، لكن سكانها ما زالوا يعيشون في أكواخ ولم يستفيدوا من أموال النفط ، حيث تحصل هذه الولاية على ما قيمته «٢٠٢» مليون دولار سنوياً ، وهي أقل ولايات ماليزيا تطوراً . ويتعاطف الحزب الاسلامي كثيراً مع سكان الولاية الذين يتعاطفون بدورهم معه ويؤيدون مشاريعه في رفع شأن الاسلام واقامة حكومة على اساس الشريعة الاسلامية . من جهة أخرى سيشيد بجهود المسلمين المخلصين أول مستشفى

مخلوطاً بدمه دلالة على ولائهم له !

وقد وصل بهم الأمر تطرفاً وإيغالاً في رفضهم للقيم والممارسة المادية أنهم يعتبرون الديانات السائدة تهتم فقط باشباع شهوات الجسد ، ولهذا فهي «مدنسة» ، وأنه من أجل أن تظهر لابد أن «تقتل» لا أن تُصلح وتنظم وفق مجاريها الصحيحة ! وأنهم يقومون بمحاولة الانقلاع عن الأرض وليس البشر وما يحيط بهم فقط ، فمن بين طقوسهم محاولة البقاء تحت الماء من دون تنفس أطول مدة ممكنة ، ويعتقدون نتيجة للمفاسد المادية في الأرض أن نهاية العالم ستحل عام ١٩٩٧م .

إن ردة الفعل من المادية قد تسبب أحياناً انحرافاً في القيم الروحية وتطرفاً يبرز في المواقف والممارسات الشاذة أو الارهابية ، وهذا ما يجب أن نحذّر العالم منه باعتبارنا مسلمين ، وندعوهم إلى معرفة الحقيقة بمنطق العقل والدليل الذي نجده بشكله النموذجي في منهج ونظرية المعرفة في الاسلام . وما نلاحظه من انفتاح عالمي من قبل مختلف الشعوب والمجتمعات الانسانية على الاسلام ليس إلا كاشفاً قطعياً عن هذه الحقيقة .

اسلامي يلتزم الشريعة الاسلامية قرب العاصمة كوالامبور وذلك بكلفة « ٤٠ » مليون دولار ، وسيقدم هذا المستشفى الخدمات الصحية في معالجة المرضى ، ومنها معالجة النساء على أيدي طبيبات . وتبرر السلطات الماليزية عدم التزامها بالقواعد الاسلامية في الخدمات الطبية إلى نقص الطبيبات في المستشفيات وعيادات الأمومة . وسيعطي المستشفى المذكور بعض اهتماماته وأولوياته للتعليم والرعاية الصحية .

وضمن هذا السياق يلتقي في «بالي» وزراء الشؤون الدينية في سلطنة بروناي واندونيسيا وماليزيا لاقرار الخطوط الارشادية فيما يتصل بالقواعد الاسلامية لمكونات الأدوية ومستحضرات التجميل .

أصابع الشيطان تبذ القمقة

تعمل بعض الأوساط الاعلامية في هذا البلد بدعم خارجي يوجّه خطّها المنحرف الذي يهدف إلى زرع بذور الفرقة والخلاف في مجتمع مسالم تعيش كل فئاته وطوائفه بأمن وسلام ، حيث يشكل المسلمون ٥٣٪ من مجموع

السكان إلى جانب الطوائف الأخرى كالبيودية والهندو ، وقد حرص المسلمون على عدم اثاره أي مشكلة بينهم وبين الآخرين لأنهم يشعرون أن مثل هذه الأعمال ستجر بلادهم إلى الدمار والخراب ، ونتيجة لهذه الروحية العالية لم يشهد التاريخ الماليزي أي صراعات عرقية ، لكن أصابع الشيطان المتمثلة بالمنظمات الأجنبية تحاول تحريك الأوضاع باتجاه الصراع خدمة للاستكبار وأهدافه ، مستخدمة بعض العناصر المشبوهة في هذا البلد ؛ فقد خصصت بعض المجلات الصادرة في ماليزيا صفحاتها لهجمات جاهلية وجاءت موادها متسمة بطابع الهجوم ضد أتباع أهل البيت (عليه السلام) مكيلة لمدرستهم المحمدية الأصلية عشرات التهم والافتراءات ، مشبهة الخلاف معهم في أصول العقائد كالخلاف مع الأحمدية والبهائية والنهدوكية والبودية ، ومما يلاحظ من خلال طرح هذه الصحف والمجلات أنها لم ترتق في موادها إلى طرح الفكر النير والواعي ، واعتمدت أسلوب كيل الشتائم والسباب فقط ، مما يذكرنا بأسلوب أبي لهب في مواجهة الدعوة الاسلامية الأولى . ومما لا شك

حاربت السلطات الشيوعية المسلمين الألبان حرباً اقتصادية جعلتهم في وضع لا يحسدون عليه على رغم ثراء بلدهم بمصادر الثروة الطبيعية المعدنية والمنتجات الزراعية ، فقد كانت السلطات تستأجر الناس برواتب قليلة لا تكفي للعيش بكرامة ، ووصل الأمر إلى أن تسكن كل ثلاث عوائل شقة واحدة .

ولكن بالرغم من أن الشيوعيين استطاعوا مصادرة كل ممتلكات المسلمين ، إلا أننا نلاحظ أن الاسلام لا يزال يعيش حياً في عمق الوجدان الشعبي الألباني ، وهذا الأمر يمكن لمسه بسهولة لدى كبار السن الذين تلقوا العلوم الاسلامية في المدارس الألبانية ، قبل أن يجثم كابوس الشيوعية على هذا البلد المسلم ، ويتحمل هؤلاء المسلمون الآن مسؤولية خدمة الاسلام والتبليغ لإعادة البناء الروحي لدى الشباب المسلم من كلا الجنسين ، وهي مهمة شاقة حقاً ، حيث لا يستطيع بعض الشباب الألبان الذين ترعرعوا في أحضان الشيوعية أن يميزوا حتى بين الأديان ، وعلى رغم ذلك نراهم يدافع الفطرة يسعون للتعرف على الاسلام ودراسته ، وقد أسست الآن مراكز

فيه أن مثل هذه الدعوات التي تصب في مصب اميركا والصهيونية والمُنقّذه بأيدي محسوبة على الاسلام ستُخنق بارادة ووعي المسلمين الماليزيين الذين تعتمل الصحوة الاسلامية المباركة في جسد مجتمعهم الناهض .

■ البانيا

السودة إلى الجذور الاسلامية

قبل حكم الشيوعيين ضمت ألبانيا ٢٥٠٠ مسجد وعدداً كبيراً من المدارس الاسلامية التي انتشرت في مدن هذا البلد وقراه ، وبعد أن سيطر الشيوعيون على ألبانيا دمروا المساجد ، أو حوّلوا إلى معامل ومراكز اعلامية ومستودعات ، وخرّبوا منارها ، ولم يبق من بين ذلك العدد الكبير من المساجد سوى خمسين مسجداً ، بينها الآن عشرة مساجد فعالة فقط ، وقد افتتحت بعد ضغوط شعبية تمثلت بتنظيم تظاهرات في كانون الثاني من العام ١٩٩١م طالبوا فيها باعادة فتح المساجد والسماح بالصلاة فيها .

وكان الشيوعيون قد قضوا قضاء تاماً على جميع المؤسسات الاسلامية ، ومنعوا تدريس العلوم الدينية والعربية حقداً منهم على الاسلام والمسلمين ، كما

كل الصعوبات والآلام ، وضمن هذا التوجه انضم أكثر من خمسة آلاف من المتطوعين إلى القوى المدافعة عن الاسلام ، والداعية إلى تطبيق الشريعة الاسلامية في الصومال ، كما أعلن ألفان من المتطوعين - وغالبيتهم من مراتب الجيش سابقاً - بقاءهم قوة احتياطية فيما لو حصلت الحاجة اليهم في حال تطبيق الشريعة الاسلامية في الصومال، وكانت مجموعة من «١٧» ضابطاً قد أعلنت عن اقامة «نادي تطبيق الشريعة» بعد انسحاب القوات الاميركية وقوات الأمم المتحدة من الصومال . ويشرف مجلس إقرار الشريعة في الصومال على نشاط النادي المذكور .

■ اخذون حسيباً

نكفة قديمة

لم يستطع الاستعمار الهولندي طيلة ثلاثة قرون ونصف من الاحتلال لهذا الأرخبيل الاستوائي - الواقع بين المحيط الهندي والمحيط الأطلسي والقارتين الكبيرتين آسيا من الشمال وأستراليا من الجنوب - أن يمسح الهوية الاسلامية لهذا الشعب الكبير الذي يشكل المسلمون فيه نسبة ٩٥٪ من ١٩٥ مليون

خاصة بالشباب المسلم في الكثير من المدن الألبانية .

■ الصومال

الدفاع عن الهوية الاسلامية

منذ انهيار نظام سياد بري الدكتاتوري وهذا البلد الأفريقي تعصف به التقلبات السياسية والمجاعة التي جرّها الدكتاتور بري على الشعب المستضعف ، وحين طرد المسلمون الصوماليون القوات الاميركية الغازية ولقنوها درساً قاسياً ومرّاً ، حاولت أميركا ، ولا زالت تحاول ، استغلال التناقضات والصعوبات الاقتصادية التي تلف الصومال ، وعملت من أجل تأجيج الحرب الأهلية انتقاماً من شعبها المسلم ، وبين الحين والآخر نسمع بنشوب معارك بين الأجنحة الصومالية المتناحرة على السلطة ، والتي غالباً ما يذهب الأبرياء ضحيتها وتنتهك فيها الحرمات ويزداد الشعب بؤساً وفقراً من جرّائها ، وامام هذه الحالة المأساوية لم يقف المسلمون الصوماليون مكتوفي الأيدي ، إذ عملوا ويعملون لإعادة الأوضاع إلى نصابها الحقيقي ويدافعون عن الهوية الاسلامية للصومال على رغم

الأحرار الامام الحسين عليه السلام ، كما تقام المسآتم والولائم ومجالس العزاء . ويطلق على شهر محرم في بعض المقاطعات اسم «شهر حسن وحسين عليه السلام» ، كما يعتبر هذان الشهران فرصة للتبليغ الاسلامي حيث تلقى فيهما الخطب والمراسي . وفي عيد الغدير وذكرى استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام تقام حفلات كبرى ، تتوافد إليها اعداد كبيرة من المسلمين من مدن كثيرة ، ويقطعون مسافات بعيدة ، فتقرأ سيرة أمير المؤمنين عليه السلام وتلقى الخطب والقصائد ، ثم تعد مآدبات الطعام . كما أن «شهر رمضان» هو الآخر له نكهة قدسية في المدن الاندونيسية ، وتكثر فيه مجالس الحديث والذكر وقراءة القرآن في المساجد والبيوت .

ولأجل ايلاف مسار الصحوة الاسلامية المباركة في جزر الأرخبيل الاندونيسي تعمل الصهيونية ومن ورائها الاستكبار لتقويض أركان هذه الظواهر والنشاطات الاسلامية ، وتمارس بأموالها وألعيها الشيطانية عملية التخريب الثقافي والعقائدي

نسمة ، إذ دخل الاسلام إلى اندونيسيا منذ أوائل القرن الرابع الهجري ، وإن كان بعض الباحثين يؤيد دخول الدعاة المسلمين في العام الثلاثين من القرن الأول الهجري ، وعلى الرأي الأول بدأ تاريخ الهجرة إلى هذا البلد من بغداد من عام ٢١٣ هـ حتى عام ٣١٧ هـ . وكان أول الدعاة هم أتباع أهل البيت عليهم السلام الذين واصلوا نشر الدين الحنيف وهذا أمر مسلم ومعترف به ، وانتشروا في جزر «مالايا» و«جاوا» و«سومطرا» وأكثرهم من أحفاد علي بن الامام جعفر الصادق عليه السلام وعلى رأسهم أحمد بن عيسى بن محمد بن علي ابن الامام الصادق عليه السلام الملقب بالمهاجر . وقد سعى أحمد بن عيسى وجماعته في حملات قوية إلى تعليم الاسلام على رغم مقاومة الخوارج له ، ولكنه انتصر عليهم بعد جهاد طويل ، وما زال الاسلام هو الهوية الأولى لهذا الشعب ؛ حيث يجد الزائر الآثار الاسلامية تضيء على حياة الشعب الاندونيسي نكهة خاصة لها طعم القداسة والجلال خصوصاً في شهري محرم وصفر ، فلا يقيمون فيهما افراحاً ولا يجرون عقود النكاح ولا يتزوجون احتراماً لذكرى شهادة أبي

طاجيكستان

لا تخلي عن الجهاد

طاجيكستان البلد الأصغر مساحة والأشد فقراً من بين الدول الآسيوية التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي السابق ، كما أنها الدولة المتميزة عن سائر دول آسيا الوسطى بانبعثات صحوة اسلامية هي الأقوى في تلك الأرجاء ، إذ كان نصب «لنين» الضخم البالغ وزنه «٢٥» طناً في العاصمة «دوشنبه» أول نصب شيوعي يهوي في آسيا الوسطى كلها ، وذلك في ٢٢ أيلول عام ١٩٩١م ، كما أنها أول من اتخذ قراراً فريداً بالعودة من الحرف السلافي إلى الحرف العربي ، وقد حاول النظام الشيوعي «ترويس» هذه البلاد والقضاء على ثقافتها طيلة الحقبة الشيوعية المنصرمة ، لكن ظروف طاجيكستان المختلفة عن غيرها من دول آسيا الوسطى جعلتها تحتفظ بجذور دينية ربما هي الأقوى في دول هذه المنطقة ، حيث إن ٩٣٪ من أراضيها جبلية ، ومن هنا بعدت عن التأثيرات اللاحادية الشيوعية ، فالروس سكنوا المدن فقط ، وهذا ما جعل طاجيكستان ملجأً للعلماء الهاربين من قبضة الشيوعية في مختلف دول الاتحاد

للشعب الاندونيسي ، وتعتبر وسائل الاعلام الوسيلة الفعالة لتحقيق هذا الهدف الخبيث ، خصوصاً برامج التلفزيون التي طغت عليها الأفلام الاميركية المنتجة من قبل الشركات اليهودية في هوليد ، حيث ان نصيب اندونيسيا منها ٧٠٪ ، إضافة إلى الترويج لاستخدام الأطباق اللاقطة بواسطة الأقمار الصناعية للبرامج الاميركية والغربية المبتذلة .

ويحذر العلماء المسلمون في اندونيسيا من هذه البرامج المسمومة التي ستجر إلى الضياع التدريجي للقيم الاسلامية الأصيلة في هذا البلد الاسلامي العريق ، ويؤكدون على الشعب الاندونيسي المسلم ضرورة الالتزام بالدين الاسلامي وعدم السماح للثقافة الغربية الفاسدة بالتغلغل والنفوذ في أوساطه من خلال التلفزيون ووسائل الاعلام الأخرى . ومما يذكر أن الحكومة الاندونيسية لم تتخذ لحد الآن أي خطوة باتجاه منع الأطباق اللاقطة والثقافات الهابطة المختلفة التي تشق طريقها إلى الأسر الاندونيسية المسلمة من دون حاجز أو رادع .

١٩٩٢م في سبيل مبادئه الاسلامية وحرية وانعتاقه من الاحتلال الروسي ، حيث قدم لحد الآن « ٢٠٠ » ألف شهيد ، وهُجّر « ٩٠٠ » ألف مواطن إلى خارج بلدهم ، وأحرقت السلطات الشيوعية « ٣٨ » ألف منزل ، ولولا هذا الاحتلال الروسي لأمكن حل الأزمة خلال وقت قصير ، أما في مثل هذا الاحتلال فلا يمكن التفاوض بل حل سريع للأزمة . ومع هذا فإن حركة النهضة الاسلامية في طاجيكستان تقبل بمبدأ التفاوض والحل السلمي للأزمة الداخلية ، ولكنها في نفس الوقت تجاهد حتى يتم تحقيق العدالة الاجتماعية على كافة الأراضي الطاجيكية المسلمة ، وقد عقدت لحد الآن أربع جولات من مفاوضات السلام بين الحركة والحكومة وبإشراف الأمم المتحدة وبوساطة ودور أساسي من قبل الجمهورية الاسلامية الايرانية في طهران والمآآتا وموسكو وافغانستان ، وقد لعبت الجمهورية الاسلامية دوراً بارزاً في حل الأزمة واستطاعت من خلال دبلوماسيتها الايجابية الحصول على الاعتراف الاقليمي والدولي بحركة النهضة الاسلامية ، ولا تزال هذه الحركة الاسلامية تعتقد أن الحكومة الفعلية في

السوفيتي السابق ، ثم إن قربها من أفغانستان والجمهورية الاسلامية الايرانية والتشاطر اللغوي معهما أديا إلى تأثر الطاجيك بالأحداث الجارية ، وهذه الأمور وغيرها أيقظت الدب الروسي ونفذ عملاؤهم بالتعاون مع حكومة اوزبكستان والأقلية الروسية والأقليات الأخرى انقلاباً دموياً ضد الحكومة الائتلافية التي تضم الاسلاميين والوطنيين الطاجيك وذلك عام ١٩٩٢م وقد اعتمدوا بذلك على الفرقة « ٢٠١ » الروسية الموجودة في طاجيكستان أصلاً ، وشنت ضد الشعب الطاجيكي حملة قمع وارهاب دموية وتم حرق قرى بأكملها ، واعداد علماء دين على منائر المساجد ، وفُتِح المجال امام الشـيوعيين والروس للسرقة والاعتصاب ، مما اضطر الأهالي إلى النزوح باتجاه الدول المجاورة ولا سيما افغانستان ، ويدفع الشعب الطاجيكي اليوم ثمن تمسكه بالاسلام ، وتقود جهاده ضد الاتحاد حركة النهضة الاسلامية . وإذا ما علمنا أن تعداد نفوس طاجيكستان لا يتجاوز الأربعة ملايين نسمة فسندرك حجم التضحيات التي قدمها أبناء الشعب الطاجيكي منذ العام

اقترح حركة النهضة الاسلامية القاضي
بسدعوة «٢٠٠» شخصية من ممثلي
الحكومة والحركة من كافة مدن ومناطق
طاجيكستان لعقد اجتماع في احدى
مناطق البلاد لتمهيد الأجواء للصالح
والسلام ، يمكن اعتبار ذلك أهم نقطة ، إذ
حظيت بقبول الرئيس الطاجيكي ، على
أن يتم تحديد موعد هذا الاجتماع خلال
جولة المفاوضات الخاصة المقبلة .

والخلاصة أنه يمكن القول بكل
اطمئنان : إن الشعب الطاجيكي المسلم
سائر نحو تحقيق أهدافه الاسلامية على
رغم كل الضغوط والتضحيات ، وإن
طلائعه تسير قدماً في هذا الاتجاه حتى
تحقيق حكم الله في هذا البلد الصامد .
ويمكن اعتبار هذا الشعب المظلوم
والمقهور من الشعوب التي اختارت
طريق الثورة الاسلامية المباركة .

■ اذربايجان

نقطه صهيونية لتقليص عدد المسلمين
كان المسلمون في كل أرجاء البلاد
الاسلامية يتعاطفون ويتفاعلون مع
جهاد الشعب الارتريري المسلم ، ويعدون
الزمن لحلم الاستقلال ، وقد حدث هذا
قبل أكثر من عامين وأصبحت اذربايجان

دوشنبه حكومة غير شرعية لأنها
وصلت إلى الحكم عن طريق القوة ومن
خلال الدعم المباشر من موسكو ، حيث
تضاعف الوجود الروسي إلى ٢٧/٠٠٠
جندي . وتعتقد حركة النهضة أيضاً أن
الحل السلمي للأزمة يكمن في العمل من
أجل تأسيس مجلس مصالحة انتقالي
مدة سنتين يتألف من ٦٠ عضواً يكون
٤٠٪ من المعارضة و ٤٠٪ من الحكومة
و ٢٠٪ من ممثلي القوميات الأخرى
«الروس والاوزبك» التي تعيش حالياً في
طاجيكستان ، ثم يقوم هذا المجلس
بتشكيل حكومة تكون مورد قبول كافة
الأطراف ، ونزع سلاح كافة القوى
السياسية في البلاد ، ووضع دستور
جديد لطاجيكستان ، ثم اجراء انتخابات
حرة وتحت رعاية الأمم المتحدة
ومنظمة المؤتمر الاسلامي والدول
الصديقة كالجمهورية الاسلامية
الايरانية ، ويمكن أن يعتبر البيان
المشترك بين الحكومة والمعارضة
الاسلامية الذي تم توقيعه برعاية رئيس
الجمهورية الاسلامية الايرانية الشيخ
الهاشمي الرفسنجاني خطوة مساعدة
اولى نحو حل الأزمة الطاجيكية حلاً
شاملاً وسلمياً ، ومن الممكن اعتبار

لمعادلات سياسية واضحة ، يدخل العامل الاسلامي رقماً صعباً فيها .

المصادر المسؤولة في الرابطة الاسلامية الارتيرية تحدثت لمصادر صحفية عربية وسويدية في استوكهولم ، وشرحت قضية طالبي اللجوء الذين ترفضهم حكومة أسمره ، بأنه لا يمكن فهم أبعاد الموقف الذي اتخذته السلطات ، إلا في ضوء سياستها العامة تجاه المواطنين المسلمين في ارتيريا ، وهي سياسة استراتيجية تعمل من أجل تنفيذها ، وترمي هذه السياسة إلى التخلص من أكبر قدر من المسلمين وتهجيرهم إلى الخارج ، والاستيلاء على ممتلكاتهم وتوطين غيرهم ، وإزالة الهوية الاسلامية الأصيلة وإظهار الهوية التغريبية بدلاً منها .

وتقول هذه المصادر أيضاً عن سبب الهجرة الكبيرة لمسلمي ارتيريا إلى بلدان العالم المختلفة ، حيث يوجد منهم في السودان فقط « ٢ - ٣ » ملايين : إن الكفاح التحرري تصدّره المسلمون في ارتيريا ، لذلك كان الاضطهاد السياسي من نصيبهم ، إذ لم يهاجر من المسيحيين إلا أعداد قليلة إلى اوربا . وتضيف مصادر الرابطة الاسلامية أنه

دولة مستقلة معترفاً بها دولياً ، ولكن مجيء قيادة سلطوية - لم تكن في مستوى شرعية جهاد الشعب الارتيري وفصائله المسلمة المجاهدة التي حملت العبء الأعظم من الجهاد - حال دون بناء اسلامي في هذا البلد الفقير ، إذ ما كاد «اسياس افورقي» يستلم السلطة حتى فتح أبواب ارتيريا للصهاينة وراح ينتقم من أبناء الشعب المجاهدين في مؤامرة اميركية - صهيونية لتغيير الجغرافية السكانية في ارتيريا لصالح الصليبية واليهودية ، حيث يوجد عشرة آلاف لاجئ ارتيري مسلم في السويد ، ومئات من اللاجئين الجدد الذين ترفض الحكومة السويدية منحهم اللجوء بحجة استقلال بلادهم ، وتنوي الحكومة السويدية اعادة جميع لاجئي هذا البلد ، إلا أنّ السلطات الارتيرية ترفض استقبالهم ، وتشترط أن تمنح السويد المال لكل واحد منهم يعود إلى الوطن !! والملاحظ أن أغلب اللاجئين من أبناء الرابطة الاسلامية ، ومما يؤسف له أن المخطط له في هذا البلد الاسلامي هو أن يتم تحجيم السكان المسلمين فيه لتغيير معادلة السكان لصالح انتماءات عرقية ومذهبية غير مسلمة ، تنفيذاً

■ النيجر

من حصاد جماعات التفارقة بين المسلمين

استغلت الحكومة وصحافتها في هذا البلد الأفريقي نوازع الفرقة التي تبثها جماعات التفارقة التي تديرها الوهابية في أوساط مسلمي النيجر ، وأصدرت تهديدات للمسلمين ، وطالبت منظمات «حقوق الانسان» بعلنة النيجر ، فيما تحركت السفارات الغربية لكسب المزيد من المعلومات حول هذه الخلافات التي أجبت نيرانها عناوين ومنظمات مختلفة ، ووصل الحال إلى شن هجمات عنيفة واشتباكات بين أبناء الطوائف المسلمة خصوصاً في مدن نيامي ودوسو وآغذر ، هذا على الرغم من أن عملية دخول هذه الجماعات إلى النيجر ظاهرة جديدة ، ولم يشهد تاريخ هذا البلد قبل دخولهم أي صراع طائفي . وقد أعلنت جماعات التفارقة التي تديرها الوهابية أن الجهاد يعني مواجهة الفرق الاسلامية الأخرى ، وقد دخل أتباع بعض الجمعيات تحت ستار العودة إلى المصادر الاولى للاسلام دون أن يطلعوا على الأهداف والأغراض الخاصة التي تستهدفها تلك الجماعات ومن يحركها ، وما يخطط له (الاسلام) الاميركي مقابل

بعد ضغوط كبيرة من قبل الأمم المتحدة على الحكومة الارتيرية ، لارجاع اللاجئين من السودان إلى بلدهم وافقت على إرجاعهم ، إلا أنها اختلقت النزاع مع الحكومة السودانية واقفلت الحدود لتعطيل مشروع العودة .

يذكر أن حكومة «افورقي» قامت بإفراغ المناطق الاستراتيجية في ارتيريا من مواطنيها المسلمين ، خصوصاً إقليم بركة وإقليم الفاش وإقليم سحمر ، وجرى توزيع الأراضي الخصبة فيها على قادمين من مناطق بعيدة عنها ، وأن الحكومة تعمل حثيثاً لتغيير هوية المجتمع بتدمير اللغة العربية ، التي اعتبرتها الفصائل الارتيرية الوطنية منذ عام ١٩٥٢م بداية جهادها لغة رسمية ووطنية لكل الشعب الارتيري ، وتعتمد السلطات الآن سياسة جديدة في هذا المجال وتتذرع بإحياء اللغات المحلية لكل منطقة من مناطق البلاد ، إذ قامت بإحياء سبع لهجات محلية لمجرد التنصل من تعليم اللغة العربية ، وقد قامت السلطات الآن بتدريس لهجات الساهو والعفر وكنانة واللغة التغريتيية وهي كلها لهجات منقرضة ، من أجل تقليص قراءة القرآن وتعلّم مفاهيمه .

والطوائف الاسلامية الأخرى ، حظي هؤلاء بدعم ساليو رئيس المجلس الأعلى للجمهورية في الحكومة الانتقالية «وهو غير مسلم» كي يحصل على أنصار من بين الفرق الاسلامية على حساب رئيس الوزراء المسلم في الحكومة الانتقالية ، وقد انقادت جماعات التفرقة هذه خلف ساليو الذي تلاعب بأحاسيس قادة الجمعية الاسلامية الحكومية ، مستغلاً الأبعاد القبلية والقومية لتغيير السلطة لصالحه ، ومن الطبيعي أن مثل هذا التأييد لحاكم غير مسلم يسعى للسيطرة على زمام الامور في هذا البلد الأفريقي الذي يشكل المسلمون فيه نسبة ٩٧/٥٪ ما هو إلا دليل على حقد جماعات التفرقة الوهابية على جميع المسلمين بمختلف طوائفهم ، بعد أن وجدوا أنفسهم في عزلة عن باقي المسلمين والجانب الآخر من القيام بهذا التأييد يتم بواسطة أموال وعناصر أجنبية تدير اللعبة في النيجر من خلف الكواليس ، وتستخدم هذه الجماعات ورقة من أوراق هذه اللعبة القذرة ، التي لم يحصد منها شعب النيجر المسلم سوى الدمار والنهب وتأجيج الصراعات العرقية والقومية التي أجرت انهاراً من

الاسلام الحقيقي ، إذ لا يملك مسؤولو هذه الجمعيات أي وعي أو فكر اسلامي رسالي بالمستوى المطلوب ، وهذا ما لاحظته الكثير من أبناء هذا البلد الأفريقي واضحاً جلياً ، وقد انشق هؤلاء نتيجة لهذا الأمر إلى ثلاث مجموعات في مدينة مارادي ، حيث تنهم كل مجموعة الاخرى بالانحراف ، وقد فقدوا نتيجة لهذه الانشقاقات مصداقيتهم التي اكتسبوها بالأموال والخدع في بداية دخولهم النيجر ، وبدلاً من أن ينتبهوا إلى مدى التفرقة التي سادت الصفوف الاسلامية بسببهم ، اسقطوا التهمة عن أنفسهم ووجهوا هجماتهم نحو الفرق الاسلامية الأخرى للتغطية على اختلافهم الحاد ، ولا أحد يعلم كيف حصل هؤلاء على حكم رسمي من وزارة الداخلية في النيجر يسمح لهم بممارسة نشاطهم الهدام ، وما هي الأصابع الخفية وراء هذا السماح الذي يدخلون بموجبه كل الاجتماعات الاسلامية ، وكذلك الحصول على إذن للتبليغ في كل مكان بما في ذلك الاذاعة ، وارسال الطلبة من النيجر إلى الجامعات الوهابية السعودية ، وزيادة عدد الكتب الوهابية في الأسواق . ومنذ أن نشب النزاع بين هذه الجماعات

الدماء .

الكردي في تلك المنطقة وتمزيق وجودهم وتغذية الصراعات السياسية والدموية فيما بينهم ، نراهم بدلاً من صرف الأموال لمساعدتهم والمساهمة في خروجهم من أزمتهم الخانقة هذه ، يروجون الوهابية بمثل هذه الكتب دعماً لتلك المواجهة الاستكبارية الشرسة لإضعاف الصف الاسلامي والامعان في تفريقه وتوحيته أمام القوى العلمانية الموالية للتحالف الغربي الاميركي .

■ جريطانيا

هدايا سعودية !

يبدو أن بعض الفرق المبتدعة استفادت كثيراً من خطوات وعمل الصليبية والمستشرقين الذين حاولوا - ومازالوا يحاولون - جاهدين تشويه صورة الاسلام وتلويثها وطعنه في منابعه الأصلية والمهمة ، ففي هذا المجال يقدم الوهابيون مساعدات كبيرة ويبدلون أموالاً طائلة لجامعة لندن من أجل أن تخصص هذه الجامعة قسماً للدراسات الاسلامية باسم فهد بن عبدالعزيز ، وخير مثال على ذلك تقديمهم مبلغ مليون جنيه هدية لهذه الجامعة ، وقد طرح الوهابيون بأموالهم

* كردستان العراق

نشاطاته وهابية

استغلت جماعات التفرقة وزرع الفتن المدعومة من الوهابية كعادتها الثغرات الأمنية والأوضاع الاقتصادية المتردية في كردستان العراق ، وعملت تحت جناح الظلام وقامت بنشر الكتب والكراسات التي تهاجم الطوائف والمذاهب الاسلامية وخصوصاً أتباع أهل البيت (عليه السلام) لتشارك في جزء من الهجمة الغربية على الصحوة الاسلامية ، وتحقيق أهداف زرع الفرقة بين المسلمين . وتبذل هذه الجماعات بتشجيع من قوى التحالف الغربي وعلى رأسها اميركا الأموال الطائلة لهذا الغرض ، ومن ضمن هذه النشاطات المشبوهة القيام بتوزيع كتاب «تلبس ابليس» هذا الكتاب الذي يهاجم مذهب وأتباع أهل البيت (عليه السلام) بشدة ، وقد طبع طباعة انيقة ادهشت أبناء كردستان العراق الذين يعانون من الفقر والحرمان .

ومن خبث المؤامرة الاستكبارية لمسح الهوية الاسلامية للمجتمع

فتاوى بعدم جواز تهنة أتباع أهل البيت (عليه السلام) في الأعياد ، وعدم السلام عليهم والردّ فقط بكلمه «وعليكم» إذا ابتدأوا بالسلام ! جاء ذلك في فتوى عبدالله بن جبرين حول اقامة العلاقة بين أتباعه وأتباع أهل البيت (عليه السلام) ، ودعا في فتواه إلى التضييق على المسلم الشيعي واهلته وابداء الاشتمزاز والاستياء منه ليشعر بالتحقير . ويتابعه في هذه الفتوى وهابي آخر هو محمد بن صالح العثيمين في نصبه وعدائه لآل محمد (عليه السلام) وأتباعهم ، إذ يصرح أن الاسم الصحيح للشيعه هو «الرافضة» ودعا إلى نصره أتباعه على «أعدائهم» من الرافضة .

فأيّ ضلال يحكم عقول هؤلاء وهم لا همّ لهم إلّا نصب العداء للمسلمين من أتباع أهل بيت النبوة الطاهرة ، وأيّ مفارقة صارخة هذه عندما يمد هؤلاء الادعاء يد الاستسلام للصهاينة الجاثمين على أرض المقدسات الاسلامية في فلسطين ويجيزون الصلح معهم ، في حين يجاهد المسلمون الموالون لأهل البيت (عليه السلام) من أبناء حزب الله في لبنان وفلسطين العدو الصهيوني المحارب لله

فكرة قيام مؤسسة دراسات الشرق الأوسط واميركا التابعة لجامعة لندن بدراسات حول الفقه الاسلامي بمساعدة السعودية ، ومما لا شك فيه أن أمثال هذه المراكز ستقدم دراسات مشوشة ومغرضة ومدسوسة حول الاسلام ، لأن التغلغل سيكون واضحاً ويحاول أن يبث سمومه في هذه الأبحاث نتيجة لعقدة النقص الفكري والعقائدي التي يشعر بها رجال مثل هذه الفرق المبتدعة أمام الفكر الاسلامي الأصيل والشامخ الذي تطرحه وتدعو اليه المدارس الاسلامية وفي مقدمتها مدرسة أهل البيت (عليه السلام) . لهذا فهم لن يجدوا سوى تقديم الملايين من أجل تثبيت بدعهم وآرائهم الضالة .

■ السعودية

فتاوى شيطانية

لم يكتف الوهابيون بما يعملونه في مجال زرع الفرقة والخلاف بين المسلمين ، بل يصدرون الفتاوى دون خجلٍ ضد أتباع أهل البيت (عليه السلام) ؛ فرجال الوهابية الذين اجازوا الصلح مع الصهاينة ومصافحتهم والقرار لهم باغتصاب الأراضي الاسلامية يصدرون

«جبهة مشتركة» ضد الاسلاميين الناشطين في كل دول حوض المتوسط الاسلامية الذين يمتد نشاطهم إلى داخل الدول الاوربية ، واصفاً إياهم بأنهم مهددون «للسلام» الذي فرضته اميركا على منطقة الشرق الأوسط ، وقال «دوبريه» : بين الدول المتوسطة تعاون في هذا المجال ينبغي تعزيزه يوماً بعد يوم ليستساوق مع تطور نشاط الاسلاميين .

من جانب آخر طلب صندوق النقد الدولي من اليمن الحد من نفوذ التيار الاسلامي داخل المؤسسات الحكومية ، وإلغاء قرار انشاء البنك الاسلامي الذي كانت اليمن وافقت مبدئياً على انشاءه في مقابل تقديم قرض لليمن بقيمة نصف مليار دولار على مدى ثلاث سنوات مقبلة . هذا في الوقت الذي عمدت المجموعة الاوربية إلى عقد مؤتمر تحت عنوان «الاسلام في اوربا» نظمته وزارة الخارجية السويدية ، وشارك فيه «١٥٠» مسؤولاً من «١٨» بلداً من العالم الاسلامي و«١٧» بلداً من اوربا بدعوى محاولة إرساء حوار دائم ، ولعل لذلك أهدافاً أخرى في طول المواجهة أو عند عدم تحقيق تقدم في محاربة الاسلام

ولرسوله ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

« الحوار الاسلامي المسيحي المصادقية والنوايا

تعيش دول اوربا الغربية وهي على مشارف القرن الحادي والعشرين الافلاس الأخلاقي الكامل ، حيث بدت غالبيتها عاجزة وغير مستعدة للدفاع عن قيم الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان إلا عندما تكون مصالحها القومية أو مصالحها المادية معرضة للخطر ، وتعتبر هذه الدول الصخرة الاسلامية المباركة الخطر الأول على مصالحها ، في محاولة منها لتبرير عجزها عن احتواء أزمت العالم الكبرئ التي افرزتها ماديتهم المقيتة وسياساتهم المصلحية ، حيث تقول : إن الاسلام يهدد الحضارة الاوربية بالغزو لتضلل بذلك الرأي العام وتخفي عنه حقيقة المشاكل الاساسية التي يعانون منها ؛ فهذا وزير داخلية فرنسا «دوبريه» يدعو من «تونس» خلال زيارته الأولى في العهد الديغولي الجديد إلى ضرورة قيام الغرب وحكومات الدول المطلة على المتوسط بتشكيل

في الرأي الذي طرحته إحدى كبريات الصحف الصادرة في استراليا حول قضية الفساد الاجتماعي السائد عندهم، ودعت إلى رفع شعار «الاسلام طريق البشرية الوحيد» ! وأن أفضل نموذج للتطبيق الاسلامي والقيم المعنوية اليوم هو في الجمهورية الاسلامية في ايران ، حيث استطاعت هذه الدولة المسلمة التخلص من أخطر وأكبر عقد الفساد الاجتماعي من خلال تطبيق وتحكيم الاسلام .

وجاء في وجهات النظر لكبار المفكرين الاوربيين أن البلد الذي لا يفصل الدين عن السياسة لا يصدر عنه أي قرار دون الأخذ بنظر الاعتبار دراسة النتائج السلبية التي يمكن أن تنجم عن اتخاذه ، ومن ثم يتجنب الكثير من كوارث الفساد الاجتماعي التي تنعكس انعكاساً سلبياً كبيراً على مجمل حركة انسان هذا العصر .

ان مثل هذه الاطروحات والحوارات التي تُجرى بين المسلمين والمسيحيين من شأنها الخروج بأوروبا من دوامة فسادها الاجتماعي الكبير ، فيما إذا كانت الدول الاوربية صادقة في نواياها عند الحوار ، ولها الرغبة الفعلية في تجنب

والقضاء عليه . واعتبر المشاركون في المؤتمر أن «الخوف من الآخر» يساهم في تغذية سوء الفهم والافكار السلبية لدى كلّ منهما .

وأكد المشاركون المسلمون في كلماتهم وحواراتهم ان الاسلام الحقيقي لا يشكل خطراً على اوروبا ، وأنه دين يرفض العنف ويتصدى له . كما خلص المشاركون الاوربيون إلى حقيقة هي أن مستقبل الاتحاد الاوربي لا يمكن ضمانه إلا بالتعاون مع العالم الاسلامي .

ومن خلال المسار العام لخط الانسانية جميعاً نستطيع تقييم ما أفرزه هذا المسار من نتائج في جانبين :

الأول ما أفرزته اوروبا وماديتها من انتكاسات على مستوى القيم المعنوية والانسانية .

والثاني الارتقاء الروحي والرغبة في حياة أفضل تعتمد التشريعات الالهية ونبذ الفساد ، وذلك من خلال الصحو الاسلامية التي تجتاح عالمنا المعاصر .

وقد أدرك الغرب الاوربي شاء أم أبى أن القيم المعنوية السائدة عند المسلمين هي الحل الوحيد للوقوف والتحصن ضد الفساد الذي بات جزءاً من الحياة الغربية . وقد تجلت هذه النظرة واضحة

أراضي البوسنة ، والثاني كرواتي
- مسلم مندمج في صيغة الاتحاد
الكونفيدرالي .

ويلاحظ أن البند الخاص باعلان
المبادئ والقاضي باقامة اتحاد
كونفيدرالي بين الجمهورية الصربية
الـ(٤٩٪ من الأراضي البوسنية التي
احتلتها المليشيات الصربية) والاتحاد
اليوغسلافي (جمهورية صربيا والجبل
الأسود) يعني من الناحية العملية تحول
دولة البوسنة والهرسك المعترف بها
دولياً إلى كيان ذي وجود «حقوقي»
يتحول فيه المسلمون إلى أقلية داخل
المحيط الكرواتي ، وربما تكون صيغة
«الحكم الذاتي» هي السقف الأعلى
للمطلب الاسلامي في كرواتيا الجديدة .
الأمر الذي يعني شطب دولة البوسنة
والهرسك . وقد جاء السباق الاميركي في
تنفيذ خطة التقسيم نتيجة للتقدم
العسكري الذي أحرزه المسلمون
البوسنيون وتعزيز الموقف لصالحهم ،
من خلال الانتصارات المذهلة في وسط
وغربي البوسنة وتحرير مدينة خوزنتشا
والمنطقة المحيطة بها والمقدرة
مساحتها بما يقارب ٢٠٠ كلم مربع ،
وكذلك تحرير الطرق الاستراتيجية الذي

الكارثة التي تنتظر وقوعها بين الحين
والآخر ؛ فالاسلام ضمن للانسان
السعادة والاستقرار والرفاهية ، وعلى
حكومات اوربا ادراك هذه الحقيقة ، وأن
تأخذ بعين الجد التصريحات الي اطلقها
البابا بولص الثاني في نيويورك مؤخراً
بأن اميركا والغرب الاوربي تحولا إلى
مقبرة للقيم الانسانية ، وأن البناء
العائلي مأساوي لدرجة لا تصدق ، وأن
استمرار هذه الحالة يمثل كارثة لا تحمد
عقبها .

■ البوسنة والهرسك

سباق الخطة الاميركية

الثامن من ايلول «سبتمبر» من عام
١٩٩٥م ، يستحق أن يكون عيداً وطنياً
للسرب . بهذه العبارة لخصت بلغراد
على لسان وزير خارجيتها موقفها من
اعلان المبادئ الذي وقّع في جنيف على
أساس الخطة الاميركية لحل الأزمة
البوسنية عن طريق التقسيم ، هذا
التقسيم المنسجم في نهاية المطاف مع
الخطة المقترحة من قبل لجنة الاتصال
الدولية والقاضية أيضاً بتقسيم البوسنة
إلى كيانين : الأول صربي تحت اسم
الجمهورية الصربية فوق ٤٩٪ من

واحد ، مع اعطاء مجال واسع لشتى الاحتمالات والمفاجآت :

الأول هو مسار الاستفراد الاميركي بحل المشكلة البوسنية عن طريق تقسيم البوسنة بين صربيا وكرواتيا تقسيماً لا يختلف كثيراً عن صيغة الاتفاق السري المعروف باسم اتفاق «سوتشي» بين الرئيسين الصربي والكرواتي والذي تم التوصل اليه في بداية الأزمة اليوغسلافية ، وهذا المسار يفتح مجالاً واسعاً للتخوف من دخول قضية البوسنة معتركاً جديداً تلعب فيه كرواتيا دوراً «تطهيرياً» من نوع الدور الذي لعبه الصرب بحق المسلمين ، كما يتوسع هذا المسار «في ظل الاستراتيجية الاميركية لزعة اوروبا» على مساحات وادوار اخرى للاتحاد اليوغسلافي في توجيه ضربات للوجود الاسلامي في مكدونيا وألبانيا وتركيا عن طريق تحالفات مؤكدة مع اليونانيين ، ولا يستبعد في هذا الدور الدخول في تداخلات معقدة تشمل بلغاريا ورومانيا وروسيا وقد تصل اهتزازاته إلى ايطاليا .

أما الثاني فهو مسار الفشل الاميركي في احتواء الأزمة ، من خلال التدخل الروسي وما يعنيه من ابهام

نتج عنه فك الحصار عن مدينة توزلا واعادة ربطها بمدينة زينيتسا ، وتحطيم القوة الصربية المعتدية في هذا المحور والمقدرة بسنة آلاف جندي والاستيلاء على كميات كبيرة من الذخائر والاسلحة بما فيها من قطع المدفعية الثقيلة ، كما تمكن المسلمون من صد هجوم قام به سبعة آلاف جندي صربي على مدينة تشازين وكبدوهم أفدح الخسائر ، وكانت جحافل المسلمين في الوقت نفسه تتقدم بسرعة على ثلاثة محاور وسط البوسنة وجنوبها وغربها ، وتمكنت من تحرير أكثر من ستة آلاف كيلومتر مربع من ضمنها مدينة دوبني فاكوف ومدينة ليبيا ، وقد شعرت اميركا بالاستياء من الانتصارات التي حققتها القوات البوسنية المسلمة بالاضافة إلى تقدمها وتحريرها لمناطق تجاوزت فيها الحدود المثبتة في خرائط التقسيم ، لذا كلفت اميركا من تحركاتها المكوكية بين زغرب وبلغراد وموسكو لتحول دون تحقيق المزيد من الانتصارات وسط توجه واضح نحو تقسيم البوسنة .

ومن خلال الأحداث نستطيع القول : إن الوضع البوسني يتطور على مستويين متعارضين ومتداخلين في آن

■ افغانستان

الحل الاسلامي والافهام الأجنبية

للحقيقة نقول بدءاً: إن بلداً مثل
افغانستان التي انفجر فيها الصراع بعد
الانتصار الكبير الذي حققه المجاهدون ،
لم يكن ليحتمل مثل هذا العنف ، فهو
بحاجة إلى البناء والاعمار بعد مرحلة
قاسية من التشريد والجوع والهدم ،
وكان المفترض من الفصائل المجاهدة
صب كل امكانياتها وتصوراتها
السياسية وخططها في بناء البلد ، بدلاً
من توظيفها في حرب داخلية تسقط
حممها على الشعب الأفغاني المسلم
الذي تحمل القسط الأكبر من معاناة
حرب التحرير ، وكان يتطلع إلى انجازات
الانتصار الاسلامي بشوق كبير ، فضلاً
عن أن الصراع الداخلي يعرض مصداقية
الفصائل المجاهدة إلى الكثير من
التشويه ، ويساهم مساهمة كبيرة في
تعميق سياسة ضرب الاطراف ببعضها ،
هذه السياسة التي قامت اميركا
والاستكبار بتنفيذها لاحتواء الانتصار
الاسلامي ، وتوجيه الوضع الافغاني
وفق رؤى ومخططات هذه القوى التي لا
تطبق رؤية الاسلام يعلو ويحكم واقع
الشعوب الاسلامية ، لذلك فاننا نرى بين

وعودة مشبوهة لروسيا داخل حلبة
الصراع ، والحديث عن تمركز قوات
روسية في محيط سراييفو ؛ فروسيا
تعتبر الحليف الأول للصرب المعتدين ،
وقد جاء هذا التدخل مباشراً بعد
التقدم العسكري للمسلمين البوسنيين ،
وربما استباقاً لامكانية انتقال زمام
المبادرة إلى أيدي البوسنيين بالشكل
الذي كان عليه عندما كانت القوات
المسلمة تتقدم بثقة نحو تحرير كامل
التراب البوسني .

المهم في الأمر أن الشعب البوسني
المسلم استطاع في أحلك الظروف
وأصعبها الوقوف بصلابة أمام ملة
الكفر المتنوعة الأدوار ، واستطاع
أن يلحق هزائم منكرة بالمعتدين الذين
لا يواجهون كعادتهم الرجال ، بل
يمارسون الاغتصاب والقتل والتشريد
ضد الأهالي العزل ورقة ضغط
لأنهم يدركون قيمة الشرف والكرامة
عند المسلمين . ولكن مهما حاولوا
فإنهم لن يستطيعوا اطفاء نور الله
الذي بدأ يشع من كل الثغور المسلمة ،
ويبشر باقامة حكومات العدل الالهي
بعد غياب طويل .

العليا ومصالحة الشعب الأفغاني المسلم المظلوم الذي يتعرض نتيجة للتناحر إلى كارثة كبرى ، وقد جاءت هذه المبادرة الكريمة لتضع حداً فاصلاً بين اللعنة السياسية الغربية ، ومصير الشعب الذي يجب أن يكون فوق جميع الأهداف الفتوية . وقد أوضح النداء جلياً تلك السياسة الاستكبارية ، التي تمارس عملية التصعيد وتأجيج الصراع كلما شعرت أن دور الجهود الخيرة لحل الأزمة ، وخصوصاً دور الجمهورية الاسلامية ، يقترب من جمع الأطراف المتناحرة . وقد توضح الأمر جلياً حين انفجر الصراع مرة اخرى في أغلب الأقاليم الأفغانية ووصل إلى مشارف العاصمة كابل .

وبرهنت الأحداث الأخيرة على أن الأزمة الأفغانية تعمل بالتوقيت الخارجي الذي يهدف بالدرجة الأولى إلى ضرب التوجه الاسلامي في بناء الدولة ، واطهار هذا التوجه بالمظهر الدموي والمتخلف ، ولكن مهما بلغت المؤامرة من حجم ، فإن الاسلام في النتيجة سيحكم الأمور في أفغانستان ، لأن ارادة شعب هذا البلد المبتلى تتبنى أولاً وأخيراً الحل الاسلامي ، وأمل كل

آونة وأخرى دخول اطراف جديدة لتلعب دوراً على مسرح الأحداث في أفغانستان ، فبعد الطائفية التي تغذت مدة طويلة على البترول والدولار ، دخلت «الطالبان» أداة لعرقلة كل الجهود الخيرة الرامية إلى إيقاف النزيف . ويمكن الخطر الحقيقي لهذه الجماعة في أنها تحمل بالاضافة إلى طائفتها دوافع عرقية وقبلية ، وما شعاراتها العريضة التي رفعتها في بداية تحركها إلا وسيلة للمرور بالدبابات الأجنبية فوق الأراضي الأفغانية وارتكاب الجرائم البشعة .

إن بمرور مثل هذه الحركات واستمرار القتال يهددان مستقبل هذا البلد ووحدة أراضيه ، لأن الواقع الأفغاني أثبت أن الحل العسكري لا يمكن أن يوصل البلد إلى طريق الاستقرار ، بل العكس هو الصحيح .

وأمام هذا الواقع المر وجّه ولي أمر المسلمين «حفظه الله» نداءً إلى جميع الفصائل الأفغانية المتصارعة ، يقضي بحزمة الاقتتال بين أبناء الشعب الأفغاني المسلم ، ودعا الجميع إلى العودة للشريعة والعقل ، ونزع فتيل الحرب انطلاقاً من المصلحة الاسلامية

المسلمين في العالم رؤية أفغانستان
اسلامية حرة كريمة مستنقرة تسير
بسواعد أبنائها بكل عزم وتصميم نحو
البناء الاسلامي الشامخ والرصين ، الذي
يرعب أعداء الاسلام ويحبط كل خططهم
الشيطنانية الملحدة .

■ الجمهورية الاسلامية

التصدي المستمر للثبّت الاميركي

لقد بات واضحاً أن ما أرادته
واشنطن من تقويض أو تحجيم دور
الجمهورية الاسلامية لم يتحقق ، فإذا
خسرت الدولة الاسلامية بعض الأموال
القابلة للتعويض فقد حصلت على هيئة
دولية قلّما تحصل عليها بلدان العالم
النامية . ولعلّ شبكة العلاقات السياسية
الواسعة التي تربط الجمهورية
الاسلامية بدول العالم تقدم دليلاً أكيداً
على تراجع منطق الهيمنة الاميركية
وفشل خطرها المزعوم ، وهذا هو
الانتصار الكبير الذي لم يشهد العالم
مثله من قبل .

وقد أدّى الصمود الاسلامي في
ايران وتلاحم الشعب المسلم مع
حكومته إلى دخول الموجة المعادية
مرحلة العد التنازلي ؛ إذ لا يمرّ يوم إلّا

وتتناقل الأخبار انتصاراً سياسياً
ايرانياً؛ فالعلاقات الايرانية - الروسية ،
والايرانية - الصينية تتصاعد وتأثرها
يوماً بعد آخر ، وكذلك علاقة الجمهورية
الاسلامية مع الدول الاوربية التي تشعر
بالحاجة الماسة إلى ايران ، والعلاقات
الايرانية - الآسيوية ، والايرانية -
الافريقية ، وكذلك علاقاتها مع دول
اميركا اللاتينية ، إذ تتضمن هذه
العلاقات دلالات واضحة على هزيمة
المقولة الاميركية التي راهنت على
تحجيم دور الجمهورية الاسلامية ، الذي
يسعى إلى خلق جبهات قادرة على
تحقيق الأمن والاستقرار وحفظ مصالح
دول المنطقة ، ولم يكن هذا الدور
الاسلامي قادراً على تحقيق الاطار
المسعدي إلّا بعد أن أثبت من خلال
المواجهة أن اميركا نمرٌ من كارتون له
خوار اعلامي مجوف يرهب الضعفاء
فقط .

وقد اتخذت هذه المواجهة عدة
اشكال ، منها : خوض الجمهورية
الاسلامية لمضمار التكنولوجيا
المتطورة ، والاستثمار الجيد للامكانيات
الانتاجية ، والثقة بالنفس والاعتماد على
القدرات الذاتية ، وخفض النفقات ، وابداع

عن أن هذه السياسة من أهم عوامل تجذر حب الاسلام وثورته في ايران في قلوب مسلمي العالم وكل المستضعفين . وهذا هو الرصيد الحقيقي الذي حصل عليه الشعب الايراني المسلم ومكّنه من التصدي للاستكبار ، باعتبار أن الثورة الاسلامية ليست رصيذاً للمسلمين الايرانيين فقط وانما لكل مسلمي ومستضعفي العالم .

■ العراق

بين التغيير الاسلامي والتغيير الاميريكي

نتيجة لاستبداد نظام صدام وتسلمه بلغ رقم الضحايا الذين رخلتهم مقاصل هذا النظام عن الحياة وبفنون مختلفة من الابادة حداثاً لا يمكن تصوره ، كما أن صداماً برهن بشكل لا يقبل الجدل من خلال عدوانه على الجمهورية الاسلامية الايرانية ودولة الكويت أنه لم يضر بدول الجوار فحسب ، بل أضر بالعراق ضرراً كبيراً ، وقدم خدمة نادرة للسياسة الاميركية المتربصة بجغرافية النفط ، وقد برزت نتائج هذه السياسة - التي حذرت منها الجمهورية الاسلامية الايرانية قبل خمسة عشر عاماً - الآن ، إذ أصبحت هذه النتائج واقعة ملموساً

أساليب جديدة في البناء التحتي للاقتصاد ، وتحقيق الطفرة النوعية في التنمية - إذ لا يوجد في الجمهورية الاسلامية نتيجة للاعتماد على الله والذات ما يعيق حركة التنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعية - وتأمين المعدات الثقيلة وتنمية الاستثمارات ، والسعي لتحقيق الاكتفاء الذاتي الذي يقطع تبعية البلاد للاجنبي ... فهذه العوامل وغيرها جعلت المواجهة للاستكبار متوازنة وقادرة على احتواء «الاحتواء» الاميركي والاستكباري وتهميشه ، بحيث أدت سياسة الجمهورية الاسلامية المتزنة والحكيمة إلى انقلات العقد الاميركي الاستكباري ، الذي راهن على اسقاط التجربة الاسلامية الاصلية التي قادها الامام الراحل (ع) ، ويواصلها باقتدار وشجاعة ولي أمر المسلمين السيد الخامنئي «دام ظله» . ومهما يُبث من اشاعات بأن الاستحقاقات التي ترتبت على الجمهورية الاسلامية كبيرة ، نتيجة لتبنيها لمواقف ثابتة تجاه مختلف القضايا الاقليمية والدولية ، ودعمها لحركات التحرر العالمية ولا سيما الاسلامية منها ، فإن هذه الاقاويل غفلت

يؤرق الجميع . كما أخذ النظام العراقي يتركب وفق مقاييس الأهداف الاميركية والاستكبارية ، وإذا اعتبرنا أن صداماً كان لعبة بيد الادارة الاميركية أثناء اجتياحه للكويت ، فقد اثبتت الخدعة التي مررتها سفيرة واشنطن لدى بغداد آنذاك ، أن الادارة الاميركية لا تسمح لصدام بدور اقليمي أكبر من اللازم ، وهي مصممة على اثناء الأدوار الاقليمية الكبيرة ، فإما أن تعزلها وتحجمها داخل إطار ضعيف اقليمياً ودولياً ، وقوي نسبياً في أمنه الداخلي ليسيطر على الأوضاع الشعبية التي تنذر بتغيير اسلامي حتمي ، أو تشطب على هذه الأدوار نهائياً بعد توفر البديل الضامن لسياسة اميركا والاستكبار في هذه المنطقة الحساسة والمهمة من العالم . ولم تكن المواجهة بين صدام واميركا مواجهة مبدئية مبنية على أسس ودوافع وطنية أو قومية أو غيرها ؛ ففي الوقت الذي كانت ادارة البيت الأبيض تستثمر ظروف «عاصفة الصحراء» بأقصى ما يمكن ، اكتفى النظام العراقي بالقبول بالسلطة ، واعتبر الموافقة على كافة القرارات الدولية مقايضة جيدة ما دامت واشنطن قد غضت الطرف عن الحكم ،

وهنا أخطأ صدام كما أخطأ من قبل حين اعتبر الرضا الاميركي والصهيوني في تطويق انتفاضة الشعب العراقي الاسلامية في شعبان ١٤١١ هـ ضمناً كافياً لاستمراره في السلطة ، ولم يدر بخلده أن المطلب الاميركي هو الأسلحة أولاً ، ثم تندرج باقي المطالب على نحو تفصيلي متلاحق ، حتى تتمكن بسهولة من تقسيم العراق إلى أجزاء ضعيفة ، لكي لا يشكل عمقاً استراتيجياً للجمهورية الاسلامية الايرانية قبالة التحدي للصهيونية المغتصبة لأرض فلسطين ، وكذلك كسب المزيد من التنازلات المهمة حتى لو مات ودمر كل شيء في العراق . وقد اختصر فرار حسين كامل الوقت الاميركي كثيراً في ترتيب الخارطة العراقية ، فبدلاً من أن يكشف النظام عن برامج تسلحه دفع الشرخ الذي أحدثه فرار «الصهر» بصدام لكي يتعزى تماماً أمام الموقف الاميركي ؛ إذ أعطى حسين كامل للمخابرات الاميركية اسراراً قاصمة لظهر السلطة الحاكمة ، وفي مقابل ذلك حاول النظام احتواء هذا التفكك السلطوي والعائلي الحاكم بمسرحية الاستفتاء القسري للشعب العراقي ،

لعرقلة كل المشاريع والأطروحات التي تطرحها القوى الإسلامية المعارضة . وأبرز دليل على هذه المؤامرة الاميركية لاحتواء وضرب المشروع الاسلامي هو تأجيج الحرب الأهلية في كردستان ، وعرقلة المشاريع الإسلامية لانهاء النزاع وتوجيه القوة العراقية بكل مفاصلها نحو اسقاط النظام ، واقامة البديل الذي سيختاره الشعب العراقي بأسره والذي بدا موقفه واضحاً وموحداً ، مهما حاول ذلك النظام للعب بورقة الطائفية والعرقية ، فالأرضية العراقية جيدة لأن يبقى العراق واحداً يتعاون أبنائه بقومياتهم المتعددة وطوائفهم المختلفة ، من أجل بناء العراق الاسلامي .

وإذا أردنا أن نسلط الضوء أكثر على موقف القوى الإسلامية لا نستطيع القول سوى أنها تجاهد من أجل تغيير أساسي يعطي للأمة المسلمة دورها الهادف إلى بناء المؤسسات التشريعية والقضائية والتنفيذية ، بعد غياب امتد أكثر من ربع قرن .

وبطبيعة الحال أن اميركا والاستكبار واداتهم الوضيعة الصهيونية لا يرغبون في هذا الطرح ، لذا

لتظهر للرأي العام أن السلطة تتمتع بالتأييد الجماهيري ولا يؤثر عليها هروب بعض رموزها ، ولاضفاء بعض مساحيق الديمقراطية على وجه النظام ، وقد استخدم النظام كل وسائل القهر من أجل حمل المواطن العراقي المسلم على المشاركة في الاستفتاء الذي لم يكن مرشحاً فيه سوى صدام ! وأهم ورقة لعب بها النظام هي تهديده من لا ينتخب صداماً بسحب بطاقة التموين في هذه الظروف القاسية للشعب العراقي المظلوم ، وإن كانت هذه البطاقة لا تكفي إلا لأيام معدودة ، وهذا التهديد هو بمثابة القتل لأن هذه البطاقات هي المسافة بين الحياة والموت في العراق . وأمام هذا الوضع المزري للحالة العراقية بات واضحاً أن الشعب العراقي ليس لديه ما يخسره خصوصاً وأن النظام لم يترك أحداً إلا وأصابه بنكبة كبيرة ، لذا تعمل اميركا جاهدة لتقسيم العراق ، وقد ساعدها صدام بذلك حين قرر عزل المنطقة الكردية «شمال العراق» من عملية الاستفتاء ، وإن كانت معزولة عن حكومته ، وهذا دليل على تجذير السياسة الاميركية من قبل صدام ، كذلك سعي اميركا الدائب .

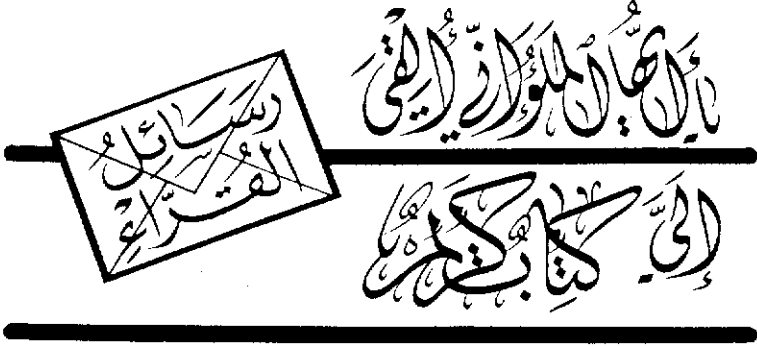
يبقى الصراع بين اميركا والشعب
العراقي على أوجه ، ولا شك أن الشعب
العراقي المسلم سيحبط كل مؤامرات
الأعداء ، ويعيد لهذا الوطن المحاصر بكل
الوسائل وجهه الحقيقي ، ويؤقّله لأن
يكون القاعدة التي سينطلق منها الامام
المهدي (عج) ، ليملا الدنيا عدلاً وقسطاً

بعد ما ملئت جوراً وظلماً .
فهل تستطيع اميركا وعملاؤها
إيقاف هذه المسيرة الالهية التي يجاهد
من خلالها الشعب العراقي المسلم ؟
سؤال مطروح على كل من يحاولون
تقطيع أوصال هذا الوطن وقتل هذا
الشعب البريء .

« وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ »

التَّوْبَةُ : ٩٦

مع قراء الثققلين



باب ننتفع منه على عوالم قراء مجلة «رسالة الثققلين» بكل ما تزخر به هذه العوالم من آراء ، فنكون معهم في أجوائهم التي يعيشونها مع مجلّتهم فكراً وثقافة ومعرفة . وفيما يلي مقاطع منتخبة من بعض رسائلهم الكريمة :
«التحرير»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«رسالة الثققلين»

موسوعة علمية عالية

يسعدني أن اشير إلى أن مجلة رسالة الثققلين قد نالت إعجابي ، فبعد أن طالعتها وجدتها مجلة شائقة مليئة بالمواضيع الاسلامية الهادفة التي تعنى بإحياء المعارف الاسلامية حيث تأخذ بيد القارئ إلى آفاق فكرية عالية : فهي موسوعة علمية تدل على أن القائمين عليها يبذلون



جهوداً تستحق الاعجاب والتقدير ، مما يجعل القارئ أكثر انشداداً واستجابة للأفكار والآراء التي تطرح فيها ، لذلك فأنا أرجو أن تجعلوني صديقاً دائماً لمجلتكم الاسلامية .

منصور الشيخ احمد ادريس
للسودان

* * *

«رسالة الثققلين»

قيمة سامية هادفة

وصلتنا هديتكم القيمة السامية

الصحيحة ومنابعه الصافية .

محمد سعيد

«هيئة الهداية الإسلامية»

سدني / استراليا

* * *

● الفتي ملحق «رسالة الثقلين»

مجلة نالت إعجابنا جميعاً

... فإنه قد نال ولدي الشرف كما

نالني بالتعرف بملحق مجلتنا الإسلامية

رسالة الثقلين ، مجلة الأطفال الإسلامية

«الفتى» ، التي قدمها أحد الاصدقاء هدية

لولدي . لقد نالت إعجابنا جميعاً كباراً

وصغاراً لما تحويه من مواضيع هادفة

وهامة ، وهذا دليل على العناية العظيمة

التي توليها الجمهورية الاسلامية في

إيران للأمة الإسلامية جمعاء ، حيث لم

تغفل عن أي مقوم من مقومات هذه

الأمة ، بما في ذلك من فلذات الأكباد

أطفال اليوم حاملي راية الإسلام في

المستقبل ، فرحم الله من تسبب في قيام

هذه الثورة الاسلامية العظيمة ، ألا وهو

الإمام الخميني طيب الله ثراه ، ورحم الله

كل من ضحّى بنفسه في سبيل انتصار

هذه الثورة المباركة .

احمد قاسم الداعي

صعدة / اليمن

* * *

«مجلة رسالة الثقلين» ، ولا يسعنا إلا أن

نقدم لكم الشكر الجزيل والثناء الجميل ،

لسعيكم الهادف إلى إيصال علوم أهل

البيت عليه السلام إلى محبيهم ومواليهم ،

لمساعدتهم على التزود بالأفكار

الرسالية بمختلف أحنائها الثقافية

والسياسية ، فتتير بمشعلها الطريق نحو

الوعي والصواب .

جواد كاظم المالكي

معسكر الشهيد أشرفي أصفهاني

دزفول / ايران

* * *

● وجدنا في «رسالة الثقلين»

بغيتنا وهدفنا

نرجو أن تتكرموا بمنحنا اشتراكاً

في مجلتكم الجامعة (رسالة الثقلين) ،

فقد وجدناها مفيدة جداً في مجال الدعوة

ونشر الإسلام في ربوع القارة

الاسترالية ، فنحن في (هيئة الهداية

الإسلامية) نسعى إلى تعريف الشعب

الاسترالي بالإسلام ورسالته العالمية ،

وهذا طبعاً لا يتم إلا بالفهم الصحيح لهذا

الدين ، واستيعاب أبعاد رسالته ... وقد

وجدنا بغيتنا وهدفنا في مجلتكم حيث

اكتساب هذا الفهم من مصادره

● **بهرت بـ «رسالة الثقلين»****لمواضيعها القيمة**

لقد استلمت عديدين من مجلة رسالة الثقلين ، وبهرت بهما بشدة لما احتويا من مواضيع قيمة حول أهل البيت (عليه السلام) ، فهي على درجة عالية من الثقافة والتوجيه الفكري نحو مدرسة أهل البيت (عليه السلام) . جزاكم الله خيراً وكل من شارك في نشر هذه التحفة العلمية .

أحمد إبراهيم
السويد

* * *

● **«رسالة الثقلين» اعجبتني****كثيراً وحلت في قلبي**

اطلغت على مجلتكم الغراء مجلة «رسالة الثقلين» عند أحد زملائي ، ومنذ تلك اللحظة وقعت في نفسي موقعاً حسناً واعجبتني كثيراً ، وحلت في قلبي محل الرضا والاطمئنان .

إني طالب في أحد المعاهد الإسلامية في السنغال ، وحاجتي ملحة إلى الثقافة والعلم والتزود منهما ، لذا فلا أتوقف عند حد من حدود الرجاء والأمل في كل ما يصدر عنكم ، وسأبقى في انتظار نوالكم .

علي جختي
السنغال

● **مجلة «رسالة الثقلين»****مجلة الارشاد والتوجيه الديني****القيوم**

من خلال متابعتي لعملكم الكريم هذا ، والمنتشر في وطننا أشيد بكم والفخر يملأ كياني فرحاً وابتهاجاً ، لما تسعون إليه من إرشاد وتوجيه ديني قوي . وإيماناً مني وتثميناً لما تقدمونه للأمة الإسلامية من فكر أصيل وسليم ، أحب أن أتقدم اليكم برسالتي هذه التي تحمل اشادتي بجهودكم الكريمة ، راجياً أن تقبلوني في عداد مريدي مجلتكم مجلة رسالة الثقلين .

عبد القيوم عبد التام
السودان

* * *

● **«رسالة الثقلين»****فيها علم خافع**

نحييكم بأزكى التحيات ، مع فائق الاحترام مقروناً بأمل السداد والتوفيق لمزيد من العطاء الثمر ، على طريق نشر فكر ومبادئ مدرسة أهل البيت (عليه السلام) . إخواني ، أنا دائم الدعاء لمجلتكم رسالة الثقلين بالدوام والاستمرار في نشر العلم النافع .

عبد الباقي يشار
تركيا

« رسالة الثقلين »

اعجبني أشد الإعجاب

لقد قرأت مجلتكم فأعجبت بها أشد الإعجاب ، لما احتوته من مقالات ومواضيع مختلفة في جوانب متعددة من الفكر الاسلامي ، وجذب انتباهي وملاحظتي اهتمامكم في باب الفقه والفتاوى ، لأنني أولي اهتماماً خاصاً لهذا الجانب ، فاعتبرت رسالة الثقلين مجلتي المفضلة من بين المجلات الأخرى ، لهذا أكتب لكم طالباً منكم أن تقبلوني ضمن المشتركين في مجلتكم ، وأدعو الله أن يعم التعااضد والتعاون وتوحيد الكلمة بين أبناء الأمة الاسلامية جمعاء ، في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى في مختلف أرجاء المعمورة .

السي محمد الشيخ
غينيا

« رسالة الثقلين »

مجلة عملاقة غنية بالمعارف

الاسلامية الاصيله

لقد شرفكم الله تعالى بجهود جبارة وجادة ، في سبيل دعم القضايا الاسلامية وأهدافها السامية في كل أنحاء العالم ، ولا سيما في البلدان ذات

الأقلية المسلمة .

لقد وصلت هديتكم العملاقة مجلة «رسالة الثقلين» الغراء ، فوجدناها هادفة وذات رسالة حقيقية في سبيل نشر الاسلام وتعاليمه ، وحل مشاكل المسلمين الثقافية والفكرية ، فهي مجلة ذات أهمية كبيرة لجميع المسلمين في العالم ، وهي كذلك غنية بالمعارف الإسلامية الأصيلة في جميع أبعادها . بارك الله في خطاكم وسددكم وأجزل ثوابكم .

مدرسة مفتاح العلوم الدينية
ساربا عبدالعزيز
ساحل العاج

* * *

« رسالة الثقلين »

تعبر عن نهضة في عالم الفكر

يسرني أن أحيي رئيس وهيئة التحرير وكل العاملين في المجلة الاسلامية «رسالة الثقلين» ، التي تعتبر بحق نهضة في عالم الفكر الإسلامي لتجديد الحياة الاسلامية ، كما تعتبر حجة دامغة ذات دلائل محكمة .

ان صدور المجلة يعطي انطباعاً على أن مجمعكم الموقر ، المجمع العالمي

تعريفهم بالعلوم الاسلامية الحقّة
لمدرسة أهل البيت عليه السلام . إني أطلب منكم
إخوتي أن ترسلوا لي جميع أعداد
مجلتكم وما يصدر عنكم .

وضاح صديق محمد
للسودان

* * *

• مجلتكم ادخلت

في قلبي السرور

أشكركم من كل قلبي لما تقدمونه لي
ولإخواني المؤمنين ، من بحوث دينية
وعلمية وأدبية في مجلتكم «رسالة
الثقلين» ، حيث وصلت لي منها أعداد
ممتابعة وقد استلمت العدد الأخير . لقد
أدخلتم على قلبي السرور ، وتذكّرت
القول المأثور لنبينا الكريم صلى الله عليه وآله :

« من لم يشكر المخلوق لم يشكر
الخالق » ، وكم تمنيت من كل قلبي أن
أكون أديباً أو شاعراً ، لكي أستطيع أن
أساهم بشيء متواضع في مجلتكم ، ولم
أجد سبيلاً إلاّ الابتهاال والدعاء إلى الله
سبحانه وتعالى أن يرعاكم ويحفظكم .
والحمد لله رب العالمين

أحمد عبدالصمد المذكور
دزفول / ايران

* * *

لأهل البيت عليه السلام قد أسس على التقوى في
سبيل إحياء الثقافة الاسلامية ، ومجمل
علوم الدين على خطى النهج المستقيم
لأهل البيت عليه السلام ، وأتباع مدرستهم
الكبيرة .

لقد وفقني الله للاطلاع على أحد
أعداد المجلة ، مما دفعني إلى أن أطلب
منكم أن تزودوني بأعداد أخرى ، كما
آمل مساعدتي في الحصول على ما
صدر أو ما سوف يصدر عنكم من
مطبوعات ونشرات أو أي شيء ترونه
مناسباً لخدمة الاسلام وخدمة محبي
أهل بيت النبوة عليه السلام .

محمد عبدالحميد الحسن
السودان

* * *

• هدف المجلة هو التعريف

بالعلوم الاسلامية الحقّة

لقد وقعت في يدي نسخة من مجلة
«رسالة الثقلين» ، حيث وجدت عند
معلم التربية الاسلامية في مدرستنا ،
وعندما اطلعت على مواضيعها وجدت
فيها فائدة عظيمة ، فاستعلمت عنها
وعرفت بأنها تصدر بعدة لغات من
الجمهورية الاسلامية الايرانية ، وتوزع
على كل المسلمين في العالم بهدف

● نحن في الغرب بأمن

الحاجة إلى ما يثبتنا على ديننا

منكم أن ترسلوا لي بعض الكتب إن أمكن ذلك ، لأنكم تعلمون حال من يعيش في دول الغرب البعيدة عن القيم الدينية ، فإنه بحاجة دائمة إلى ما يثبته على دينه .
رعد نعمة الموسوي
هولندا

لقد حصلت على عنوانكم من أحد الإخوة ، فتوكلت على الله وكتبت لكم هذه الرسالة راجياً منكم أن ترسلوا لي أعداداً من مجلتكم ، لكي اطلع عليها فيتسنى لي الاستفادة من موضوعاتها ، كما أرجو

قال الإمام الصادق (ع) :

الرَّاسِلُ بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فِي الْحَضَرِ
الرَّاسِلُ بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ
وَيَدِي السَّفَرِ الْتَكَاثُفُ

وسائل الشريعة ١٢ : ١٣٥

« مجلة رسالة الثقلين - كتاب الثقلين »

فصليان متخصصان في شؤون المدرسة الاسلامية الكبرى لأهل البيت (عليه السلام)
يصدران عن المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)

• مخاطبان :

* جميع المسلمين في أنحاء العالم وكل السائرين على خط الثقلين المباركين وصية رسول الله ﷺ الخالدة لأمته في حجة الوداع :

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ...»

• صفحاتهما مفتوحة :

* للجواب عن الأسئلة والشبهات التي تطرح حول الثقلين المباركين .

* ولبيان كل الحقائق عن معالم مدرسة أهل البيت (عليه السلام) .

• ويستقبلان :

* الأبحاث والدراسات في خط الثقلين المباركين . والمعلومات عن واقع المسلمين في أنحاء العالم.

الثقلين خطاب الحق والعلم والحقيقة لطلابها

• صدر من مجلة رسالة الثقلين :

* الأعداد من ١-١٢ للسنوات ١٤١٣-١٤١٥ هـ ق « وقد أعيدت طباعتها في ثلاث مجلدات » .

* العددان ١٣، ١٤ للسنة الرابعة ١٤١٦ هـ ق .

• صدر من كتاب الثقلين :

* الكتاب الأول : الدعاء عند أهل البيت (عليه السلام) - الشيخ محمد مهدي الآصفي .

* الكتاب الثاني : حقوق الانسان بين الاعلانين الاسلامي والعالمي - الشيخ محمد علي التسخيري .

* الكتاب الثالث : الاسلام وشبهات المستشرقين - لشيخ فؤاد كاظم المقدادي .

* الكتاب الرابع : قيادة الامام الصادق (عليه السلام) - آية الله العظمى السيد علي الخامنئي .

• وسيصدر قريباً إن شاء الله :

* الكتاب الخامس : أهل البيت (عليه السلام) والقرآن الكريم - الشيخ محمد هادي معرفة .

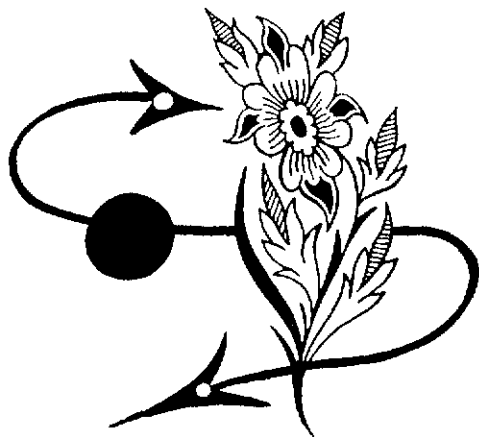
* الكتاب السادس : أهل البيت (عليه السلام) مدرسة وقيادة - الشيخ فؤاد كاظم المقدادي .

* الكتاب السابع : دور أهل البيت (عليه السلام) في بناء الجماعة الصالحة - السيد محمد باقر الحكيم .

• تطلب هذه الإصدارات من مكتبات قم المقدسة أو من المكتب الرئيسي للثقلين على اسمعوان التالي

قَالَ الرَّطَّامُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

لَا مَعْقِلَ
أَمْتَعُ مِنَ الْأَسِيلَةِ



رسالة الثقلين
مجلة إسلامية جامعة

قسمية
الاشتراك

الاسم

العنوان

المدينة

البلد

المهنة

مدة الاشتراك

ابتداء من

عدد النسخ

الاشتراك	بلد
السنوي / لمدة ٦ أشهر	الارسال
٢٠٠٠ ٨٠٠٠	<input type="checkbox"/> الجمهورية الاسلامية في ايران (بالريال)
١٥ ٣٠	<input type="checkbox"/> باقي دول العالم بالدولار الأميركي
(أو ما يعادله)	

يرافق اشتراكك: ☐ صك ☐ صك بريدي ☐ حوالة بريدية
أرسل هذه القسمية مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى العنوان التالي:
* الجمهورية الاسلامية في ايران - قم - ص.ب ٣٧١٨٥/٨٩٤

الاشتراكات

☐ في داخل الجمهورية الاسلامية في ايران تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٨٠٠٠ ريال)
بحوالة مصرفية على العنوان التالي:
الجمهورية الاسلامية في ايران - قم - بنك تجارت - شعبه مركزي - رقم الحساب الجاري
٢٦١٨ (بالريال) مجلة رسالة الثقلين.
☐ قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولاراً أميركياً أو ما يعادلها) تسدد بحوالة
مصرفية على العنوان التالي:

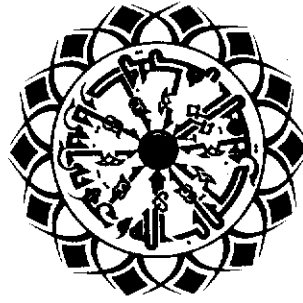
A/C No. Foreign Currency - 11C-AC-129025 - Bank Mellat Maidan Ferdowsi Independent Branch

A/C No. Iranian Rials - 11C-25631 - Bank Tejarat

6 - 8 CLEMENTS LANE, LONDON EC4N 7 AP/ENGL. ENGLAND

ثمن النسخة:

☐ الجمهورية الاسلامية الايرانية ٢٠٠٠ ريال ☐ العراق ١٠ دينار ☐ لبنان ٢٥٠٠ ليرة ☐ سوريا ٥٠ ليرة
☐ الاردن دينار واحد ☐ الكويت دينار واحد ☐ البحرين دينار واحد ☐ الامارات ١٥ درهما ☐ قطر ١٥ ريالا
☐ عمان ريال واحد ☐ السعودية ٢٥ ريالا ☐ اليمن ٢٥ ريالا ☐ مصر ٧٥ قرشاً ☐ ليبيا ١٠٠٠ درهم
☐ السودان ١٠٠ جنيه ☐ تونس دينار واحد ☐ المغرب ١٥ درهما ☐ الجزائر ١٢ ديناراً.
☐ وفي باقي دول آسيا وإفريقيا وأميركا واستراليا وأوروبا ٧ دولارات أميركية أو ما يعادلها.



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol. 4, No. 14 - Sep. - Nov. 1995

الغلاف من الداخل :

الصفحة الاولى : لوحة فنية بالخط الثلث تتضمن : حديثاً لرسول الله (ص).
في أهل البيت (ع).

الصفحة الثانية : منظر عام لأحد واجهات مسجد الشيخ لطف الله (المشير
في القرن ١١ هـ - ١٧م). وتظهر فيه روائع من العمارة الاسلامية.